محاضرات فى

علم النفس الاجتماعى

الفرقة الثانية قسم علم النفس

كود المقرر ٢١٤ نفس

أعداد قسم علم النفس

العام الجامعي ٢٠٢١ /٢٠٢٢ م

بيانات الكتاب: **مادة علم النفس الاجتماعى**

الكلية : **الآداب**

الفرقة : **الثانية**

التخصص: **علم نفس**

عدد الصفحات: **صفحة**

المحتوي	الصفحة
الفصل الأول: علم النفس الاجتماعي لمحة تاريخية وتعريفية	٣-١٤
الفصل الثانى : الإدراك الاجتماعي من المنظور المعرفي.	١٥-٣٠
الفصل الثالث : الاتصال غير اللفظى	٣١-٥٣
الفصل الرابع: الاتجاهـات الاجتماعيـــة	٥٤-٦٢
الفصل الخامس: القيم	٦٣-٩٦
الفصل السادس: التنشئة الاجتماعية	٩٧-
الفصل السابع:العدوان	١٠٩-١٢٤
الفصل الثامن:سلوك المعاضدة الاجتماعية	١٢٥-١٥٢

الفصل الأول :علم النفس الاجتماعي لمحة تاريخية وتعريفية

لمحة تاريخية
*تعريف علم النفس الاجتماعي.
*علم النفس الاجتماعي والعلوم الطبيعية.
*علم النفس الاجتماعي كمادة مستقلة.
* مناهج البحث في علم النفس الاجتماعي:
– معنى المنهج – المنهج القبلي والبعدى ، المنهج الخارجي والداخلي، البحوث التجريبية – البحوث الميدانية – البحوث الارتباطية – البحوث المسحية – دراسات الحالة – بحوث التحليل المركب .

الفصل الأول

لمحة تاريخية:

لا شيء يضير بتاريخ العلم أكثر من تجاهل الفترات الحاسمة في هذا التاريخ،أو محاولة إسقاطها،وتبدو هذه الظاهرة بالغة الخطورة حينما يتعمد ذلك كبار المتخصصين في هذا العلم أو ذاك،ولعل ذلك يصدق بصفة خاصة على محاولات علماء النفس الغربيين وهم بصدد التأريخ للعلم وتتبع حركة تطوره ،فنجدهم يجنحون إلى تجاهل أثر الحضارة الإسلامية في ميدان العلوم الاجتماعية (بصفة خاصة) في الوقت الذي نجدهم يؤكدون على أن المعارف الاجتماعية عموما قد تراكمت خلال خبرة الإنسان الحياتية على مر العصور والأجيال!!!

ومن الثابت أن الإسلام قد أسهم إسهاماً رائدا في دفع الفكر الاجتماعي دفعا قويا نحو النموذج العلمي ،إذ أن الفكر الاجتماعي الذي انطوي عليه الإسلام لم ينشأ أو يتطور في فراغ و لم يكن يحوي أفكارا مجردة وإنما تطور بوصفه نسقاً اجتماعياً وثقافياً يتعلق بالعالم الذي نعيش فيه وأبعاده الحياتية ، ولمن يشك فى هذا عليه بالرجوع إلى كتب تاريخ الإسلام ويتتبع مراحل الدعوة الإسلامية ويرى كيف تغيرت شخصيات العرب(المسلمون الأول)، من الجاهلية بغلظتها وطباعهم الشديدة إلى الهداية والاستقامة والتسامح. هذا التغير السريع الذي أحدثه القرآن الكريم ومدرسة الرسول ﷺ فى شخصيات العرب تعجز عنه كل مدارس العلاج النفسى الى اليوم .

فضلاً عن أن جذور بعض نظريات العلاج النفسى المختلفة مثل فنيات التحصين المنهجي نجد القران الكريم :أوردها منذ ألف وأربعمائة عام موضحا ذلك فى التدرج فى تحريم الخمر فمراعاة طبائع البشر التى لا تتغير بصورة مفاجئة .وإنما أى تغيير خاصة فى العادات والسلوكيات إنما يجب أن يتم **بصورة متدرجة** ففي أول الأمر نزل قول الله تعالى:(يسئلونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير ومنافع للناس وإثمهما أكبر من نفعهما)ثم نزل قوله تعالى: (لاَ تَقْرَبُوا الصَّلاَةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى) ثم بعد ذلك قوله تعالى (إِنَّمَا الخَمْرُ وَالمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ). ثم بعد ذلك نزل التحريم القاطع .

والمدقق ينظر إلى عمليات العلاج النفسى القائمة الآن والتى ترجع إلى مائة عام على الأكثر- يجد سبق القرآن منذ ألف وأربعمائة عام على تناولها بشكل واف. والأمثلة كثيرة وليس هذا موضوعنا الآن.
فلقد تضمن القرآن إشارات محددة لعدد من القضايا والمسائل التي ما تزال موضع البحث في العلوم الاجتماعية المعاصرة مثل :

١-المنهج العلمي وأسس التفكير.
٢-المشكلات الشخصية و الاجتماعية .
٣-الطبيعة البشرية والشخصية .
٤-النظام الاجتماعي والنظم الاجتماعية.
٥-الأسرة والحياة العائلية .
٦-التنشئة الاجتماعية.

ونجد ترجمة لهذه القضايا في أعمال فلاسفة المسلمين (الفارابي, الغزالي، ابن سينا، ابن رشد، ابن خلدون) والذين تناولوا موضوعات في علم النفس والاجتماع مازالت موضوع البحث حتى الآن (**محمد عثمان نجاتي ، مصطفي سويف** ١٩٨٦).

وتجدر الإشارة إلى أن الاستطراد في ذكر وتتبع هذه الإسهاماًت ليس هو هدف هذا الكتاب إذ يختص به كتب تاريخ العلم ،ولكن قصدنا الإشارة فقط و التنبيه إلى أهمية النظر بموضوعية خاصة إذا ما تعلق الأمر بإسهامات مفكرينا والعمل على نشرها بدلا من أن نردد ونشايع تلك المقولات المنقوصة (الأوروبية أو الأمريكية).

ففي كتابة تاريخ علم النفس الاجتماعي صور جوردون البورت **G.*Allport*** (أحد رواد هذا العلم) بأن جذور علم النفس الاجتماعي تكمن في الفكر الغربى(***Allport,1954***).ولسنا نريد أن نجادل البورت فيما ذهب إليه،وقد نلتمس له العذر في إغفاله لإسهاماًت اعلامنا في نشأة علم النفس الاجتماعي،إذ أن أعمالهم لم تكن منشورة أو مترجمة في تلك الفترة،ولكن من واجبنا نحن العرب أن نساعد على ذلك أو على الأقل نعمل على تصحيح ما نراه مزيفا.
.وفيما يلي نسوق بعض الأمثلة لإسهامات بعض المفكرين العرب،فمثلا (**الفارابي**) (٢٥٧هـ-٨٧٠م) في كتابة المدينة الفاضلة يشير إلى أهمية التفاعل الاجتماعي ***Social interaction***،وكذلك إشارته إلى القيادة ***Leadership*** ومواصفات شخصية القائد.

ونجد الشيخ الرئيس((**ابن سينا**)(٩٨٠هجـ-١٠٣٧م) تناول التفاعل الاجتماعي والتنشئة الاجتماعية ودور المعلم وأثر جماعات الرفاق والثواب والعقاب في التنشئة الاجتماعية ولن نستطرد في ذكر هؤلاء أو أعمالهم ولكن قصدنا التدليل على ما طرحناه.

وغنى عن البيان ان النموذج الاسلامى الذى تم تطبيقه منذ أكثر من ألف وأربعمائة عام (فى عهد الرسول والخلفاء الراشدين) أثبت بشكل قاطع فعاليته فى فهم أسس السلوك الاجتماعى والتنبؤ به بصورة غبر مسبوقة ولم تتكرر ..... و على الرغم من ذلك نجد المحاولات التي تؤرخ للعلم من بداية القرن العشرين بالتحديد في عام ١٩٠٨عندما اصدر ***Edward Ross*** –وهو أحد علماء الاجتماع-كتابا يحمل عنوان علم النفس الاجتماعي وسلوك الجماهير وما قد يؤثر فيه من تقليد وإيحاء ثم تبعه مكدوجال ***Macdougall***وأصدر كتاب مقدمة في علم النفس الاجتماعي ولعل ظهور كتاب مكدوجال مؤكدا فيه على أهمية الجانب النفسي من حيث الاهتمام بالدوافع،والتي أعتبرها المحرك الأساسي للسلوك الإنساني مثل السلوك الحيواني.

ومما لا شك فيه أن الكتابات التي قدمها العديد من الفلاسفة الاجتماعيين تضمنت أفكارا وأسسا هامة ونظرات فاحصة عن الطبيعة البشرية،مقامات أفلاطون ***Plato*** و أرسطو ***Aristotale*** ،وغيرهما مثل هونر ولوك ولا يستطيع منصف أن ينكردور رواد الأنثربيولوجي كذلك في الإسهام في تنمية هذا العلم،فأول مجلة تحمل هذا العنوان أسسها **لازوراس وستثهال**١٨٦٠ باسم علم نفس الشعوب ***Folk psycholagy***وركزت على مناقشة مدى تأثر علم نفس الشعوب باللغة والعادات والتقاليد و أدَّى ذلك إلى البحث عن قوأنين عامة وشاملة للعقل على عكس العمليات النفسية للعقل الفردي.

كما أن لعلماء الاجتماع إسهامهم في تنمية هذا العلم والذي لا يمكن إنكاره ، فقى كتابة الفلسفة الوصفية (أوجست كونت ١٨٣٠ **Cont**) ذهب كونت إلى أن الإنسان كائن اجتماعي بطبيعته ،وأن العقل البشرى لا يمكنه أن ينمو إلا بعقل المجتمع ،وأنه ينبغي أن يدرس الفرد دائما من وجهة الظروف الاجتماعية التي يعيش منها.

علم النفس الاجتماعي إذن ميدان يلتقي فيه الكثير من الاهتماماًت والحقائق،وقد نما هذا التخصص منذ الحرب العالمية الثانية نموا واضحا ، ونستعير الوصف الذي يقدمه لامبرت والاس***WAllace,w*** لعلم النفس الاجتماعي وتطوره ((بأنه طفل متفاخر وصاخب)) متفاخر لأنه له آباء كثيرين وصاخب لأنه يعاني من الام النمو (**سلوى الملا** –١٩٨٦)

ولاشك أن ميدان علم النفس الاجتماعي اليوم اصبح اكثر تجريبية واخذ على نفسه بأن يكون علما تطبيقيا ذو معنى علمي.

تعريف علم النفس الاجتماعي :

يهتم علم النفس الاجتماعي بدراسة التفاعل الذي يحدث بين الفرد والآخرين والعوامل التي تؤثر في هذا التفاعل أي أنه علم سلوك الفرد في الجماعة والمجتمع وكما نلاحظ أن ميدان علم النفس الاجتماعي يعد القاسم المشترك بين علم النفس والاجتماع ، وبعيدا عن الفصل بين علم النفس وعلم الاجتماع نود صياغة تعريف إجرائي طبقاً للموضوع **بأنه العلم الذي يتناول** بالوصف والتجريب سلوك الفرد مع الآخرين واستجابته لهم ،أي تأثيره وتاثره بهؤلاء الآخرين .ويمكننا رصد تعريفات متعددة لهذا العلم ،ولقد انتهي علم النفس الاجتماعي في أواخر العشرينيات من القرن العشرين إلى مجموعة من التعريفات التي يمكننا اختزالها **في فئتين من التعريفات كما يلى :**

الفئة الأولي: والتي يري أصحابها أن علم النفس الاجتماعي يعني بـ:
١-دراسة الحياة العقلية الجمعية .
٢-دراسة الجمهرة وظاهرة التجمع .
وبصورة تاريخية فإن ذلك قد يكون مرجعة إلى أن بدايات علم النفس الاجتماعي لم تكن الحدود الفاصلة بينة وبين علم الاجتماع واضحة مما جعل الرواد يميلون إلى التركيز علي الجماعة اكثر من الفرد (**فؤاد البهي السيد** ١٩٨١ص٢) وبذلك فأنة في هذه الحالة يصبح علم الاجتماع النفسي .

الفئة الثانية :والتي يرى أصحابها أن علم النفس الاجتماعي يعنى بـ:
١-دراسة التنشئة الاجتماعية
٢-دراسة سلوك الفرد في استجابته مع الآخرين
٣-دراسة السلوك الفردي داخل إطار الجماعة
ومما يلاحظ في محاور اهتمام الفئة الثانية للتعريفات بأنها بدأت تهتم بالفرد دون إهمال للجماعة ،وبذلك نجد أن معالم علم النفس الاجتماعي تتشكل وتتبلور بصورة واضحة في اهتمامه بدراسة تفاعل الفرد مع غيرة وتعلقاته التي تنشأ من دوافعه وشخصيته التي يحددها المجتمع والثقافة .

ويتحدد موضوع علم النفس الاجتماعي بدراسة السلوك الاجتماعي والذي يعد القاسم المشترك لاهتمام تخصصات أخرى كالاجتماع والاقتصاد والسياسة ...الخ فكل من هذه التخصصات تسعي لدراسة عوامل أخرى و مدى تأثيرها على سلوك الإنسان ولكن الأمر يختلف كثيرا" بينها و بين علم النفس الاجتماعي خاصة في جوهر تناوله للسلوك أو في وحدة التحليل الأساسية حيث يعنى بالجذور الأولى والاهتمامات الأساسية للفرد والعمليات النفسية المميزة للإنسان من عقل وذاكرة وحب وكراهية.

بينما تسعى التخصصات الأخرى للاهتمام بدراسة المحددات الخارجية (المجتمعية)،فعلماء السياسة والاقتصاد يدرسون العوامل التاريخية وأثرها على المجتمع.،وعلماء الاجتماع يهتمون أساساً بدراسة الطبقات الاجتماعية والمنظمات الاجتماعية(***Aronson,E,etal 1999 ,p11***)وتصبح مشكلة علم النفس الاجتماعي هي تفرقته عن علم الاجتماع،ويرى البعض أنه يجب على علم النفس الاجتماعي أن يقصر ميدانه على الفرد فقط في تفاعله مع الآخرين حتى يستقل بذلك عن علم الاجتماع ولكن نجد أن هناك اهتماماً لدى علماء النفس بدراسة الخصائص النفسية للجماعات ،الأمر الذي يستوجب التفرقة الواضحة بين كل من علم النفس الاجتماعي والاجتماع على أساس المفاهيم التي يقوم عليها كل منهما ففي حين نجد أن مفاهيم الأول تشتق من دراسة سلوك الأفراد نجد أن مفاهيم الثاني تشتق من التنظيمات والمؤسسات الاجتماعية ولكن هذه التفرقة هي عملية شكلية ليس إلاَّ،خاصة في حالة تداخل بعض المفاهيم المستخدمة،ولأن وجود علم النفس الاجتماعي نفسه رهن مصدرين رئيسين هما:

أ-علم النفس.
ب-علم الاجتماع.

كما أن التداخل بين العلوم (***Interdisplinary***) والإنسانية بوجه خاص تجعل ضرورة التعاون بين مختلف التخصصات في بحث الظواهر المختلفة فنجد عالم التاريخ الأنثربولوجي والسيكولوجي والاجتماع والاقتصاد والطب يبحثون معا في ظاهرة ما.

- علم النفس الاجتماعي والعلوم الاخرى :

من المؤكد أن العلاقة بين علم النفس الاجتماعي والعلوم الأخرى لا تتوقف عند علم الاجتماع والتاريخ الأنثربولوجي،لكنها تشمل علاقة أيضاً مع الأخلاق والقانون وعلوم اللغة علاوة على الكثير من العلوم الأخرى، ذلك أن المعرفة النفس الاجتماعية تتطلب أن نضع في الاعتبار ليس فقط تأثير المكونات الاجتماعية التاريخية ولكن أيضاً تأثير المكونات الفسيولوجية والبيولوجية للفرد على حالته النفسية ومن هنا تنشأ الصلة بين علم النفس الاجتماعي والفسيولوجي والطب فإذا ما تناولنا الأساس البيولوجي للإنسان فنحن نكشف عن خواص التكوين العضوي وما يحدث فيه من عمليات فسيولوجية.

فالإنسان حتى يعيش عليه إشباع الحاجات الأولية(والتي تتعلق بالتكوين العضوي من جوع،عطش...الخ،ومع ذلك يظل كائنا اجتماعيا حيث من الثابت أنه الكائن الحي الوحيد الذي استطاع تحويل هذه الحاجات من حاجات غريزية فجة-مثل الحيوان-إلى سلم أخلاقي لأنه جعل إشباع هذه الحاجات مرتبطا بالقيم الاجتماعية؛لأن هذه الحاجات عند الحيوان وسيلة للحفاظ على الحياة بينما الأمر

مختلف عند الإنسان حيث يرتبط بنوع آخر من الحاجات الاجتماعية التي هي من صنع المجتمع.كما سنرى في ثنايا هذا الكتاب في تناولنا العدوان مثلاً هذا فضلا عن دور الوراثة في اكتساب صفات بعينها وتقلص أخرى لدى بعض الأفراد وإن كان موضوع أثر الوراثة أو بالأحرى دور الوراثة أو البيئة والغلبة لأيهما لا يزال مثار جدل واسع بين العلماء.

ومن المهم أن نؤكد على دور علم النفس الاجتماعي-مثل التربية- والاستفادة من تطبيقاته في تنشئة الأجيال الصاعدة وذلك بالاستعانة بالأساليب الطبيعية-الرياضية- في تصميم وقولبة عمليات الاختلاط والمعايشة وتبادل المعلومات في الجماعات الاجتماعية المختلفة بما يتيح أفضل عائد بالنسبة للفرد والمجتمع.

وهكذا نستطيع القول بأن الاستفادة من معطيات العلوم الطبيعية في علم النفس الاجتماعي يمكن أن يسهم في تنمية وتطور المجتمع.

علم النفس الاجتماعي كمادة مستقلة :

من الثابت أن المشكلات النفسية الاجتماعية يتم بحثها بطرق مختلفة، في نطاق العلوم الإنسانية المختلفة ،ويقف علم النفس الاجتماعي في مفترق الطرق بين علم النفس العام وعلم الاجتماع.

ولكن مشكلات علم النفس الاجتماعي التي لها –بدرجات متفاوتة-طابعا فلسفيا أو اجتماعيا أو نفسيا لا يمكن أن تدرس بصورة كاملة في مجال أي من العلوم القائمة.
وهكذا فإن تمثيل علم النفس الاجتماعي في مجالات المعرفة الأخرى لا يعنى أنه يفقد حقه في التواجد المستقل.

على أن هناك مسألة أخرى أكثر أهمية وهي التقاء جهود كل العلوم بقصد الدراسة الأكثر فعالية للسيكولوجيا الاجتماعية، فالجهود الجماعية للعلماء بالإضافة إلى الاستعانة بمعطيات العلوم الأخرى يمكن أن يسهم في تحقيق طفرة كبيرة في هذا المجال.

وأخيراً يجب أن نؤكد على أن تشبع علم النفس الاجتماعي بمعطيات العلوم الإنسانية الأخرى لا يعنى الإذابة التامة لكل الحدود بين هذه العلوم.
ولنا أن نتوقع –في المستقبل القريب أو البعيد- حين يحدث التكامل وتوحيد العلوم بين العلوم الإنسانية ليس فقط الحفاظ على التخصص ولكن تطورا فيه مما يسهم بدوره في ايجاد الحلول للمشكلات الإنسانية.

مناهج البحث في علم النفس الاجتماعي

يشترك علم النفس الاجتماعي مع غيره من العلوم في الهدف العام وهو الكشف عن القوانين التي تحكم الظواهر وتفيد في التنبؤ بحدوثها كما يشترك مع هذه العلوم في منهج البحث العلمي المستخدم. ويختلف كل علم عن غيره من العلوم في الظواهر موضع الدراسة أو المشكلات موضع البحث, فيختلف عن العلوم الطبيعية أو البيولوجية في الدراسة، موضوعات التي نهتم بها فهو يهتم بموضوعات خاصة مثل التنشئة الاجتماعية وتكوين الاتجاهات والتعلم الإدراك والتفكير وغير ذلك من عمليات تعتبر بمثابة أوجه نشاط يقوم بها الإنسان وتدخل جميعا ضمن إطار مفهوم عام يطلق عليه علماء النفس مفهوم السلوك.

ويرتبط المنهج ارتباطا وثيقا بالظواهر موضع الدراسة ،بل إن الباحث الذي لا يأخذ في اعتباره طبيعة الظاهرة التي يدرسها عند اختيار أسلوب البحث يكون عرضة للخروج بنتائج لا معنى لها. وقد يلتزم باحث بأسلوب معين دون غيره فيضيع عليه نتائج قيمة كأن من الممكن الوصول إليها إذا عدل من أسلوب البحث.

وفي علم النفس كبقية العلوم نجد أن البحث ينصب على فحص مفاهيم ***Concepts*** معينة والعلاقة بين هذه المفاهيم، وقد تملى هذه المفاهيم أسلوبا معينا على الباحث. ويحدثنا تاريخ علم النفس بذلك فمثلا نجد ((فونت ١٨٧٩))الذي أنشأ أول معمل لعلم النفس واهتم كثيرا بدراسة عناصر الخبرة الشعورية للفرد ،واعتبر أن الإحساس ***Feeling*** بمثابة العنصر الأساسي للخبرة وقد أدى ذلك به إلى تبنى أسلوب البحث القائم على الاستبطان مما دفعه إلى القيام بتدريب أشخاص حول كيفيه وصف وتقرير ما يشعرون به من إحساسات.
وبعد حوالي أكثر من ربع قرن أتى(جون واطسون)وعارض فونت بشدة ونادى بأن يكون علم النفس كالعلوم الطبيعية مما يتسم به من موضوعية ورفض الاستبطان الذي يتسم بالذاتية، وحاول توجيه البحث إلى الملاحظة الموضوعية.

مما سبق يتبين لنا العلاقة بين المحتوى والطريقة في المثالين السابقين، فعلم النفس عند فونت لم يكن مفهوم أو محتوى فقط ولكنه بالإضافة إلى ذلك طريقة في البحث تقوم على الاستبطان .
أما واطسون فقد اتخذ الملاحظة الموضوعية للسلوك هي الطريقة الملائمة في البحث .
ويجب ألاَّ يغيب عن أذهاننا أنه لا توجد طريقة أفضل من غيرها إلاَّ بالنسبة لظاهرة بعينها،وقد تصلح طريقة في دراسة مشكلة ولا تصلح لأخرى .

وقبل التصدي لمعرفة طرق البحث الشائعة في علم النفس الاجتماعي يحسن بنا معرفة المناهج التي تنتمي إليها تلك الطريقة ولذلك فتتناول معنى المنهج ***Method*** والفرق بينه وبين الطريقة:-

أ-معنى المنهج : يشير لفظ منهج البحث بالانجليزية ***Methodology*** ويعنى المقطع الأول الطريقة والثاني إلى العلم أي علم طريقة البحث وهي من فروع المنطق.وتعنى بدراسة قواعد البحث العلمي وصياغتها صياغة إجرائية.

وتصنف المناهج إلى :-

أ-قبلية **ب_بعدية**

وذلك إذا كان أساس التقسيم هو توقيت حدوث الظاهرة وتوقيت طريقة البحث.

وتصنف إلى خارجية وداخلية إذا كأن أساس التقسيم هو نسبة الظاهرة لغيرها أو لمكوناتها الداخلية (فؤاد البهي السيد ١٩٨٠).

١) المنهج القبلي والبعدى :-

كما سبق أن ذكرنا فأن هذا التصنيف يعتمد على العلاقة بين حدوث الظاهرة وطريقة البحث المتبعة، بحيث إذا سبقت الطريقة الظواهر وقمنا بالتخطيط لحدوثها وقياسها...الخ، سمى المنهج قبليا ***Priors***.ويتدرج تحت هذا الطرق التجريبية نظرا لأنها تهتم باستحداث التغير للكشف عن العوامل والأسباب وكذلك رصد ما يحدث من تغيرات في المتغيرات التابعة نتيجة لأحداث التغير في المتغيرات المستقلة.

ومن أمثلة المنهج ألبعدي ***Post***طريقة الملاحظة لأنها تعتمد على تسجيل الظواهر كما تحدث.

٢) المنهج الداخلي والخارجي:-

يسمى المنهج الخارجي الأرسطالي ***Aristotelian Methodology*** وهو منهج في البحث يؤكد على العلاقات القائمة بين الجنس وأنواعه أو الفئة أفرادها أو بين القاعدة والحالات التي تنتمي إليها .إذن فهو منهج استقرائي في دراسته للظواهر بهدف الكشف عن العلاقات القائمة بينها للوصول من تلك العلاقات إلى القضايا العامة أم القوانين كما يستخدم التفكير الاستنباطي كذلك في بناء نظام معين من الظواهر في ضوء القانون.

يسمى المنهج الداخلي بالجاليلي***Galilean Methodology*** ،والذي يسعى إلى تفسير الظواهر في ضوء قوى المجال التي تؤثر فيها ويتأثر بها فينظر إلى الظاهرة على أنها كل متكامل.

وجدير بالذكر أن علم النفس الاجتماعي يستخدم في بحوثه المنهج الأرسطالي عندما يستخدم الطريقة التجريبية ،والجا ليلي في دراسة ديناميات الجماعة والتفاعل الاجتماعي.

ب-معنى الطريقة:

تعنى الطريقة مجموعة الإجراءات ***Procedures*** المتبعة للإجابة على استفسارات بحثية.والحصول على البيانات التي تكشف عن العلاقات القائمة بين متغيرات البحث.
ولقد طور علماء النفس الاجتماعي عدة طرق للبحث في هذا المجال وهي:
١_البحوث التجريبية.
٢_البحوث الميدانية.
٣-الدراسات الارتباطية.
٤-البحوث المسحية.
٥-دراسات الحالة.
٦-بحوث التحليل المركب.

من الملاحظ أن لكل من تلك الطرق ميزتها الخاصة في معالجة إحدى الظواهر وفي نفس الوقت عدم صلاحيتها في كل الحالات وإمكانية الخطأ فيها فالتصميمات التجريبية تقدم أفضل ضبط للمتغيرات في حين نجد صعوبة في تعميم نتائجها على حياتنا اليومية.
على أية حال سوف نحاول إلقاء الضوء على تلك الطرق .

(١) البحوث التجريبية *Experimental research* **:**

تهتم البحوث التجريبية بتوفير أعلى درجة من الضبط للمتغيرات موضع الدراسة ومن ثم إمكانية إلقاء الضوء على العلاقات القائمة بين المتغيرات المستقلة وتلك النابعة، وذلك بإحداث تغييرات مقصودة في المتغيرات المستقلة للكشف عن أثر ذلك في المتغيرات التابعة وذلك بهدف الوقوف على الأسباب والعوامل المؤثرة.
والطريقة التجريبية في بحوث علم النفس الاجتماعي تتطلب أن يهيئ الباحث الظروف ويوفر الشروط لإنشاء الموقف الذي تحدث فيه الظواهر.

من أبرز الأمثلة على تهيئة الظروف التجريبية ما قام به سولومون آش ***Asch 1951*** في دراسة لأثر الضغوط الجماعية على سلوك الفرد ، طلب الباحث من سبعة أفراد أن يحددوا طولا غير صحيح لخط واضح الطول,وليكن هذا التحديد ٥سم بينما الطول الحقيقي للخط ٤سم وترك الباحث للفرد الثامن وحده ليحدد هو بنفسه طول الخط الذي يراه، وكان على كل فرد من الجماعة أن يعلن حكمه.وقال كل فرد من المجموعة أن طول الخط هو٥ سم وعندما جاء الدور على الفرد الثامن كان عليه إما أن يخضع لرأي الجماعة أو يعلن رأيه المستقل.
ففي الحالة الأولى يكون تحت ضغوط الجماعة وتأثيرها وفي الحالة الثانية يكون مستقلا عنها.

ومن الملاحظ أن المتغير المستقل هنا هو رأي الجماعة في طول الخط ويستطيع الباحث أن يتحكم في ذلك زيادة ونقصاناً وفق ما يريد والمتغير التابع هنا هو رأي الفرد الذي لم يحدد له الباحث مسبقا أي طلب.

ومن الجدير بالذكر أن أولى التجارب في علم النفس الاجتماعي تلك التي قام بها تريبليت ***Triplett*** ١٨٩٨ والتي تعد أساساً في فهم التيسير الاجتماعي ***Social Faciliation*** وتقوم على فكرة مؤداها أن سلوك الفرد يتحسن حينما يكون الفرد في جماعة عنه حينما يكون بمفرده. (***Aronson,etal 1999)***.

ثم تطور التجريب بعد ذلك في علم النفس الاجتماعي ولم تعد نظرة العلم إلى الجماعة الصغيرة على أنها متغيرا مستقلا داخليا، حيث بدأ ينظر إلى الجماعة على أنها تمتاز بوحدة عضوية تحدد سلوك أفرداها،ولعل تلك هي إسهاماًت كيرت ليفين ***Levin*** والجشطلت عن ديناميات الجماعة..

الجماعة التجريبية والضابطة:-

بصورة مبسطة يمكننا القول أن الجماعة التجريبية هي تلك التي يتعرض أفرادها للمتغير المستقل، والجماعة الضابطة هي التي يناظر أفرادها أفراد الجماعة التجريبية في كل الجوانب ولا يتعرضون للمتغير المستقل.

فإذ، كان الهدف مثلا هو قياس اثر وجود الجماعة على أداء الفرد فأن الجماعة التجريبية في هذه الحالة يمكن أن تتكون من مجموعة من الأفراد بحيث يعمل كل فرد من أفرادها في مواجهة جماعة من الناس وتصبح المتغيرات التابعة في هذه الحالة هي مقدار الإنتاج الذي يقومون به.

وتتكون الضابطة بنفس الطريقة من مجموعة من الأفراد الذين تتكافأ لديهم كافة المتغيرات مثل المجموعة الأولى من سن وجنس وتعليم.....الخ،ويعمل أفرادها بمعزل عن جماعة المواجهة وبذلك لا يتعرضون للمتغير المستقل وتصبح المتغيرات التابعة أيضاً هي إنتاج الأفراد.

(٢) البحوث الميدانية *Field Studies*:

هناك ثلاث أنماط يمكن أن تندرج تحت هذه البحوث وهي:-
١)-الملاحظة الطبيعية.
٢)-الملاحظة المشاركة.
٣)-التجارب الميدانية.
لعل الميزة الرئيسية التي يمكن أن يسهم بها هذه الطرق في إثراء معارفنا هو إمكانية تعميم نتائجها نظرا لأنها أتت من مواقف طبيعية أي تمت بدون صناعة أو استحداث،ففي الملاحظة الطبيعية يقوم الباحث بملاحظة سلوك الأفراد كما يحدث بالفعل وبالطبع فأنه قبل ذلك لديه تخطيط واضح لما يريد ملاحظته, وعلى من سيقوم بالملاحظة ,وكذلك عدد الأفراد المناسب ،وكذلك لابد أن يكون القائم بالملاحظة على وعى بما يحدث بالفعل, وتفسيره لما يحدث وعدم الخلط بينهما .

ومن الضروري ألا يشعر الفرد بأنه موضع الملاحظة حتى يكون سلوكه طبيعيا، ويجب ألا تنسى احترام الباحثين لأخلاقيات الملاحظة وعدم تطرقها لانتهاك خصوصيات الأفراد.

وفي الملاحظة بالمشاركة وإلتى يقوم الباحث فيها بدور عضو في الجماعة موضع الملاحظة حتى يمكنه الاندماج في هذه الجماعات ويتعرف على كل الجوانب التي يريد أن يسير أغوارها ولا يمكن له ذلك من خلال الملاحظة البسيطة وإنما عليه المعايشة مع الجماعة.وفي التجربة الميدانية والتي يسعى الباحث أن يرصدها في الموقف الطبيعي ويجب على الباحث أن يحدد متغيراته وأسئلته التي يحاول الإجابة عنها ويورد بننجتون ***Pennigton,etal,1995*** مثالا لذلك حيث كأن السؤال الرئيسي لتجربته هو ...هل يبدى الأفراد ميلا للمخاطرة حينما يشاهدون نموذج يقوم بذلك بصورة أكثر أم يقومون بذلك في حالة غياب نموذج؟

واستدعى الإجابة على هذا التساؤل أن يكون ميدان التجربة في الشارع وفي أثناء الانتظار في إشارة المرور قام الباحث (النموذج)بالسير أثناء الاشارة الحمراء وبالطبع تبعه بعض المارة.في هذه الحالة يقوم الباحث بتسجيل عدد الأفراد الذين قاموا بهذه المخاطرة.

(٣) الدراسات الارتباطية *Co relational studies***:**

تهدف الدراسات الارتباطية إلى تقييم :-
١- إذا كأن هناك تلازم بين متغيرين أو أكثر.
٢-فحص العلاقة بين متغيرين .

والمنهج الارتباطى يسعى إلى فهم العلاقة بين المتغيرات عن طريق معامل إحصائي يسمى معامل الارتباط ويتراوح بين – ١،+١ , وللارتباط الإيجابي +١ , يعنى تمام التلازم والتطابق بين المتغيرين, والارتباط السلبي-١يعنى انعدام العلاقة بين المتغيرات, الارتباط الذي يدور حول الصفر يعنى ضعف العلاقة.

وبصفة عامة تتلخص أهمية الدراسات الارتباطية في أنها تكشف عن الخصائص المشتركة كمتغيرات عدة مهما كان نوعها،فهي بهذا المعنى تمتد إلى ما بعد التعرف على الظواهر العلمية المختلفة التي تنتهي عندها بحوث المسح التتبعية إلى اكتشاف التنظيم بين الظواهر المشتركة.
ويجب ألاَّ يغيب عن أذهاننا أن الارتباط لا يعنى السببية فنتيجة الارتباط أن هناك علاقة بين المتغير أ، ب ولكن ليس معنى ذلك أنه هو سببه.

(٤) البحوث المسحية *Archival research*

تختص البحوث المسحية بتجميع البيانات من التقارير والجداول أو كليهما معا-ويعتمد المسح على أدوات مختلفة لتجميع البيانات من أهمها الملاحظة والقوائم والتقارير الوصفية التي يكتبها الباحثون كذلك الوثائق والاستبيانات والمقابلات.

ويجب على الباحث أن يحدد مدى شمول البحث المسحي الذي يرغب فيه إما أن يكون إحصاءاتاما لكل مفردات المجتمع أو عينة ممثلة تمثيلا صادقا للمجتمع المراد مسحه, فإذا كان المجتمع مثل طلاب مدرسة أو خلافه فإن في هذه الحالة لابد من الاعتماد عليهم جميعا،لكن في حالة كبر أفراد المجتمع فإن من

الضروري أن يعتمد على عينة مناسبة بطريقة علمية كأن يختار مفرداته ومن العشوائية الطبقية أو العشوائية فقط....الخ.

(٥) دراسة الحالة ***Case study*:**
هي نوع من البحث المتعمق وراء العوامل المتشابكة التي تسهم في وحدة اجتماعية ما بصورة فردية,سواء كان ذلك شخصا أو أسرة أو جماعة أو مؤسسة.وتأتى بيانات دراسة الحالة من مصادر متعددة منها معلومات يحصل عليها من المفحوص أثناء إجراء المقابلة أو إجراء الاختبار أو من أولئك المحيطين بالفرد,أو من خلال الوثائق الشخصية والمذكرات اليومية....الخ.

وتفتقر هذه الطريقة إلى الموضوعية خاصة بالنسبة بالباحث ولذا فمن الصعوبة إمكان تعميم نتائج مثل هذه الدراسات.

(٦) بحوث التحليل المركب ***Meta-analysis*:**
إن نتائج التجربة في علم النفس الاجتماعي بمفردها لا تعد دليلا كافيا يمكن الاعتماد عليه وصياغة تعميم بناءا عليه وتظل نتيجة التجربة بمثابة دليل على مجموعة الأفراد التي أجريت عليهم.
لذا فإن التحليل المركب للبيانات المختلفة (***Rosenthal 1991***)يسهم بصورة منهجية في تحليل نتائج مجموعة من الدراسات المتعددة وتقييمها من حيث اهتمامها بنفس الموضوع والتعرف على نتائجها,ومدى اتساق الدراسات المختلفة في النتائج التي أفضت إليها يمثل دعما وتأييدا يمكن الباحثين من تعميم النتائج وبنفس الطريق نجد أن التضارب في نتائج الدراسات المختلفة لموضوع ما واختلاف نتائجها قد يوحي بعدم مصداقية النتيجة.

الفصل الثاني

الإدراك الاجتماعي من المنظور المعرفي.

***الإدراك الاجتماعي .**
*** أنماط المخططات .**
*** كيفية عمل المخططات صور التحيز في كيفية عمل المخططات.**
*** تشكيل الانطباعات عن الناس .**
*** صور التحيز في تشكيل الانطباعات.**

الإدراك الاجتماعي من المنظور المعرفي.

إدراك الذات والآخرين:

لا يقل اكتشاف الآخر أهمية وقوة عن أي اكتشاف او ابتكار علمي حديث. انه تعرّف على حقيقة لا تحوزها الأنا، وإدراك لكائن مماثل يحتل مساحة وجود لا يمكن للأنا أن تتمدد في فضائها. الآخر هو اللا - أنا الذي يحدّها ويعرفها، إنه مدى الحياة المتنوعة وصور الوجود المتعدد، وحقل إمكانات خصبة ومحطة توليد خيارات لا متناهية. بهذا يكون الآخر مصدر تحرر الأنا من أنا نهائية وحتمية، وساحة اكتشاف وتعرف على ميدان انتشار وتحقق جديد لها، أي يكون الآخر وسيط خروج من الذات وطريقاً للعودة إليها، ومجالاً لاكتشاف النقص فيها وطريق امتلائها في آن، هو اكتشاف لخارطة وجود الأنا التي لا ترسمها الذات، بل يرسمها وضع وتموضع الذات ضمن نسيج الآخرين. واكتشاف الآخر لا ينفك عن الاعتراف به، ولا ينفصل عن ترتيب الأثر الوجودي على حقيقته ، وكما يقول هيجل: كل عقلي هو واقعي وكل واقعي هو عقلي، وكما يقول ادموند هوسرل: المعرفة هي معرفة بشيء. لذلك، ورغم ان هيدجر اعتبر ان الوجود مع الغير في العالم، من شأنه ان يزيف الوجود الحق ويحوله الى حياة زائفة مبتذلة، الا أنه رأى ان تحقيق الإمكانات الوجودية لا يكون الا بالمشاركة في العالم الذي يوجد فيه.

ورغم ان سارتر أيضا وجد ان الغير يهدد الذات، فالغير هو الجحيم كما يقول، إلا أنه اكتشف أن حرية الذات تتوقف تماماً على حرية الآخرين، وأن الفرد مضطر ان يختار الحرية للغير في الوقت نفسه الذي يختار فيه الحرية لنفسه. وقد أدرك كارل باسبرز أن الآخر ضروري لوجودي، كما أنه ضروري للمعرفة التي لدي عن نفسي ومعرفة الآخر لا تتحصل بالنظر إليه من بعيد أو من خارجه، بل تتحصل بالدخول الى أعماقه وبتحسس حقيقته المحتجبة وراء التصوّر. وهنا يكمن مأزق الفلسفة الذي كشف عنه ايمانويل كانت، حين دعا الى تواضع الفلسفة لأنها تقف عند تخوم الشيء في ذاته فلا تدرك إلا ظاهره، وتعجز عن إزاحة حجبه. عندها بدأ البحث عن ذلك البعد الذي يخرج المعرفة من سجن ظاهريتها. يقدم الفصل الحالي موضوعا جديدا في علم النفس الاجتماعي هو "المعرفة الاجتماعية " ***Social Cognition***".ويمكن تعريف المعرفة بأنها الطريقة التي يكتسب بها الناس المعلومات ويشغلونها وينظمونها ويستخدمونها. والمكونات المركزية في علم النفس المعرفي هو الانتباه، الإدراك، الذاكرة، التفكير؛ اللغة.على هذا، تهتم المعرفة الاجتماعية بنفس هذه الموضوعات ولكن في السياق الاجتماعي.

. وبصورة محددة كيف تؤثر المواقف والسياقات الاجتماعية المختلفة في هذه العمليات المعرفية داخل الناس. ويمكن تعريف المعرفة الاجتماعية بأنها الطريقة التي يفسر بها الناس المعلومات عن عالمهم الاجتماعي ويحللونها ويتذكرونها ويستخدمونها (***Boron&Byrne , 1997***)

وباستخدام القليل من المعلومات والمعارف يتشكل الانطباع وهو ما يطلق عليه فيسك وتايلور ***Taylor & Fiske*** بالبخل المعرفي ***Cognitive miser***، ويفسر جلبرت ***Gilbert*** ذلك فى نظريته الاعتقاد الآلي ***Automatic Believing*** ***((in: Aronson E et al., 1999)*** لما نراه ونسمعه ***(Seeing is believing)*** حيث نميل إلى الاعتقاد فيما نراه ونشاهده بصورة آلية. ومن المثير للدهشة أنه مع تحول العالم إلى قرية صغيرة وزيادة فرص الاتصال بين الجماعات بدأت تسود العالم موجات من العنف والتوتر!!!! وذلك إما لعدم توفر معرفة سليمة أو لتعمد عرض معلومات من شأنها تزييف وعى مجتمع بعينه, بتعمد نشر أو بث معلومات خاطئة عن الآخر والحكم عليه بصورة مسبقة ومتحيزة كما يعالج الاعلام الغربى المشكلة الفلسطينية، كما أظهرت أحداث سبتمبر ٢٠٠١ رؤية متحيزة للأمريكي عن الإسلام والمسلمين لا تستند إلى حقائق واقعية.

وتسعى إلى إظهار اليهود على أنهم دعاة سلام فى مقابل الفلسطينيين وما يحدث فى العراق من مجازر وحشية يفسر على أنه نشر للديمقراطية.... الخ.

وما دامت عمليات التصنيف النمطي للأفراد والجماعات رغم سلبيتها تمثل حقيقة من حقائق التفاعل الاجتماعي (محمد خليل ١٩٩٢: ٧٣) تعمل على تأكيد النظام الاجتماعي السائد فالنتيجة الحتمية لذلك كما يقرر وولتر ***Walter 1996*** أن المشكلات التى تواجه عمليات التفاعل الاجتماعي ستظل موجودة عبر الثقافات والمجتمعات المختلفة وباتت تهدد عملية التفاعل والاتصال بين الثقافات بل وحتى داخل الثقافة الواحدة ولها نفس الآليات والتأثيرات بما يؤدى إلى الغموض والارتباك فى التفاعلى الاجتماعي (فى: مجده أحمد ٢٠٠٤، ١٥٠) مما يفسر لنا انتشار مظاهر التوتر والصراع بين الجماعات المختلفة دينياً أو سياسياً... الخ عما ذي قبل سواء بين الثقافات أو حتى داخل الثقافة الواحدة كدالة لإدراك مشوه لصورة (الآخر) وعدم الاعتراف به أو محاولة تصفيته فى مقابل تضخم الأنا.

الأمر الذي يفرض على المتخصصين فهم الظاهرة ووضع البرامج اللازمة لحلها فالعلاقات بين الأفراد فى المجتمع الواحد يجب أن تسير فى إطار قبول "الأنا" لـ "الآخر" داخل المجتمع الواحد على الأقل والأمر كذلك بين المجتمعات والدول.

وفى المجتمع المصري تشير الأدلة إلى وجود بعض مظاهر الخلل فى الجوانب الاجتماعية والسياسية والتربوية والاقتصادية والدينية، بدأت تسود بعض جماعاته ففي جماعة الطلاب نجد سلوكيات العنف والغش والإدمان وتبنى البعض منهم طقوس مخالفة لمعايير المجتمع أى رفض الآخر، وعلى المستوى السياسي أيضاً نجد تبايناً واضحاً بين الشعارات المطروحة والسلوك الفعلي للنخبة السياسية، وعلى المستوى الديني نجد هناك من يعطى نفسه حق تكفير الآخرين وفى المستوى الاقتصادي نجد الممارسات غير المشروعة (مصطفى سويف ٢٠٠٠، أحمد كمال أبو المجد٢٠٠٢، فرج طه ١٩٩٤، أحمد أنور ١٩٩٣).

مما يفسر لنا مظاهر الاضطراب فى التفاعل الاجتماعي الذي قد يرجع بصفة أساسية الى سيادة أحادية الرؤية وعدم الاعتراف أو رفض الآخر والإسراف فى الأنا.

تتعدد صور الآخر وتتباين الأساليب التى تؤكد التنشئة على إتباعها حيال كل منها ويصف "قدري حفني" الآخر فى ثلاث صور هى:
الآخر المجهول - الآخر الصديق - الآخر العدو (قدري حفني ٢٠٠٠/ ٢٣٥)
ومن الأحرى بنا فى الوقت الذي تتعالى فيه مقولات صراع الحضارات "وتقبل الآخر" من الأولى أن نتعرف على الصورة التى ندرك بها من نتفاعل معهم أفراداً أو جماعات فى مجتمعنا المصري لنتعرف على مدى تقبلنا أو رفضنا للآخر القريب؛ لنتعرف على أوجه القصور والضعف فى تفاعلاتنا ونسعى لتغييرها قبل أن نلقى اللوم على الآخر الخارجي أو نطلب منه تقبلنا فالوعي بالذات وعيوبها هو أول خطوة على طريق الشفاء من أمراضها، وليس معنى هذا أن نتجاهل الآخر الخارجي وإنما محاولة فهم الذات أولاً يجعلنا نتعامل مع الآخر بصورة أفضل.

تبصراً بأهمية معرفة صورة الذات والآخر لدى المصري فقد نشطت العديد من الدراسات النفسية لتناول هذا الموضوع، ومن الجدير بالذكر أن هذا الاهتمام قد أثرى معلوماتنا فى هذا الجانب إلا أنه يمكن ملاحظة التعارض بين نتائج الدراسات التى أجريت فى هذا السياق.

نجد الدراسات التى اختصت برصد صورة الذات والآخر الداخلي (الغريب) فى المجتمع المصري، يمكننا ملاحظة أن بداية الاهتمام بدراسة خصائص الشخصية القومية قد نشأ عقب نكسة ١٩٦٧ لمحاولة تفسير ما حدث وتبريره, فيعرض السيد يس (٩٩٣) لمجموعة من الدراسات العربية التى ناقشت صورة الذات العربية إزاء هذه الفترة, ويقلل البعض من قيمة تلك الدراسات على اعتبار أن معظمها دراسات انطباعية تأمليه (أحمد زايد١٩٩٠, ٢١:٣٠)

وبصفة عامة يمكن تصنيف الدراسات حسب منهجها في التعرف على صورة الذات إلى ثلاث فئات هى:-

الفئة الأولى:- الدراسات التى اعتمدت تحليل المضمون سواء للكتب الدراسية أو الأعمال الأدبية أو المواد الإعلامية في استخلاص ملامح لصورة الذات, يمكن إدراجها ضمن الدراسات الانطباعية- مع تسليمنا بأهمية منهج تحليل المضمون فى بعض الدراسات الاجتماعية - طالما لا تعطينا بيانات إمبريقية تؤيدها. وبالتالى لن نتناولها فى دراستنا الحالية.

الفئة الثانية:- الدراسات التى اختصت رصد صورة الذات والآخر الداخلي (القريب) فى المجتمع المصري من خلال أدوات متعددة لذلك, نجد مثلا دراسة عزة حجازي (١٩٨٣) والتى هدفت التعرف على طبيعة الإدراك المتبادل بين جماعات الموظفين والحرفيين وأصحاب المهن العليا واستخدمت المقابلة الشخصية والاستبيان, ومن بين نتائجها أن أدرك الحرفي والمهني أنفسهم بصورة إيجابية بينما صورة الموظف عن نفسه مشبعة بالسلبية, إدراك الموظف المهني جيد وإن بدت صورته لدى المهني غير ذلك, كما إدراك الموظف الحرفي بصورة يغلب عليها التناقض بين الإعجاب والاحتقار. وفى دراسة ميدانية منضبطة نشرها المركز القومي للبحوث الاجتماعية عام (١٩٩٠) كشفت النتائج عن وجود بعض السمات السلبية التى يراها المصري عن نفسه فالازدواجية بين الأحكام المثالية والسلوك العملي والتناقض بين العام والخاص وازدواجية المعرفة السياسية والسلوك السياسي والشك فى السلطة والتعلق بالأشخاص وليس بالمؤسسات (أحمد زايد ١٩٩٠ ص ١٥٧: ١٧٦) وتمثل هذه ملامح صورة للذات من منظور تفاعلي يكشف عن جوانب ضعف واقعية، وفى نفس الاتجاه اهتمت (منى أبو طيره ١٩٨٥) بمعرفة صورة كل من الجنسين عن نفسه والآخر لدى طلاب الجامعة واستخدمت المقابلة واختيار تفهم الموضوع واختيار رسم الشخص، كشفت نتائجها عن ملامح واقعية أيضاً فجاءت الأنثى لدى الذكور معبرة عن علاقة مادية سطحية بينما جاءت صورة الذكر لدى الجنسين محتفظة بالسيادة والايجابية والتميز الاجتماعي بينما الأنثى تتسم بالدونية والتبعية.

الفئة الثالثة: الدراسات التى اعتمدت على القالب النمطي ***Stereotype***:
ففي دراسته المعنونة كيف يرى المصريون أنفسهم؟ اهتم محمد خليل (٢٠٠٤ص ٨٧: ١٧٢) بالتعرف على مكونات القالب النمطي للمصري والمصرية وهل يختلف تصور كل منهما عن الآخر. استخدم مقياس القالب النمطي وقائمة خاصة بالمرأة المصرية على عينة مكونة (١٥٤٦) مفرده (٩٨٨ ذكور، ٥٥٨ إناث) من الريف والحضر والطلاب والمهنيون والعمال وأصحاب المصانع، ومن أبرز نتائجه أن

صوره الذكر لدى الجنسين تتسم بدرجة عالية من الإيجابية والأنثى على العكس من ذلك، والنتائج فى مجملها تؤكد على أن المصريين يقدرون أنفسهم تقديراً عاليا يتمثل فى تلك الصورة الناصعة الخالية من السمات السلبية على النحو الذي تقدمه هذه الصورة المليئة بالصفات المتطرفة: (محمد خليل ٢٠٠٤ صـ١٤٩).

كما تأتى نتائج دراسة مجده أحمد (٢٠٠٤) عم ملامح صورة الذات والآخر بين جيلين (الآباء والأمهات) و (الأبناء والبنات) مستخدمه قائمة عين شمس للصفات النمطية (إعداد محمد خليل وآخرون) وكشفت نتائجها عن صورة الذات الإيجابية للإباء والأمهات، بينما صور الأبناء عموما لديهم سلبيه كما رأى الأبناء والبنات صورتهم سلبية.

وحاول طه المستكاوى (٢٠٠٤ ، ٢٦٣-٣٥٥) دراسة صورة الصعيدي والبحراوى لدى عينة من الصعايدة من طلبه جامعة أسيوط، كشفت نتائجه أيضا عن تلك الصورة الإيجابية للذات عند الصعايدة وكذلك صورة الآخر (والبحراوى) لديهم كانت إيجابية !!.

ولعل التناقض بين نتائج دراسات ميدانية عنيت بنفس الموضوع (صورة الذات) فى فترة زمنية قصيرة فى نفس المجتمع (المصري) أمر يستوجب الوقوف للتأمل، وربما يكمن التعارض فيما بين نتائج دراسات (أحمد زايد ١٩٩٠، منى أبو طيرة ١٩٨٥، عزة حجازي ١٩٨٣) فى إبرازهما لصورة بها قسمات سلبيه (واقعية) بينما دراسات (محمد خليل ٢٠٠٤، مجده أحمد ٢٠٠٤، طه المستكاوى ٢٠٠٤) تشير إلى إبراز صورة إيجابية. الأمر الذي أثار تساؤل البعض بقوله "الشيء المؤكد أن صورة المصري هذه ينقصها الكثير من الواقعية، فلا يوجد إنسان يخلو من السمات السلبية على النحو الذي تقدمه هذه الصورة المليئة بالصفات المتطرفة) محمد خليل (٢٠٠٤، ١٤٩).

ربما يرجع كون هذا الاختلاف إلى اعتماد الدراسات الثلاث الأخيرة على مقياس القالب النمطي الجامد الذي قد يصلح لتفسير عملية الإدراك المتبادل بين الجماعات المتصارعة ، أو بين صورة الآخر الخارجي (البعيد) الذي لم تتوافر لدينا معلومات كافية عنه، كما يضيف البعض أن الصورة الذهنية التى تعكسها القوالب النمطية الجامدة يكونها (الأنا) عن الآخر بغض النظر عن واقعيتها ومدى صدقها دون دراية ومعرفة به (عبد المنعم شحاتة ٢٠٠١).

لكن عند محاولة التعرض لفهم صورة الذات أو الأخر المتمثل فى الجماعات التى يخبرها الفرد أو يتفاعل معها بدرجات متفاوتة نجد هذا التناقض الذي كشفت ملامحه نتائج الدراسات بين صورة واقعية وآخري مثالية لا يتوافر لها الصدق الواقعي.

ونتناول أولا تحديد هذه المكونات الأساسية للتفكير الاجتماعي, والنماذج الأصلية٠ ***prototype*** ويمكن تعريف المخططات والنماذج الأصلية بأنها بني عقلية أو أطر عمل تتيح لنا تنظيم مقادير هائلة من المعلومات المتنوعة بطريقة فعالة ((***toyLor1990&Fiske*** فإذا تشكلت المخططات والنماذج الأصلية ؛فإنها تميل إلى الثبات والاستمرار حيث تؤثر بقوة على كيفية معالجتنا للمعلومات الجديدة وعلى هذا ؛يمكن إن تكون دقة معالجة المعلومات موضع شك ؛ولهذا فمن المحتم أننا نضطر إلى أخذ شزرات صغيرة من المعلومات والتعامل معها على أنها تمثل مقادير هائلة من المعلومات .
وسنبدأ هذا الفصل بتحليل العمليات والمكونات الداخلة في الإدراك الاجتماعي .

- الإدراك الاجتماعي:

-١- التصنيف *Categorization*:

هو العملية التي يقوم عليها الإدراك. من حيث كيفية تحديد للمثيرات و تجميعها معا كوحدات في فئة معينة ، و صور التشابه بين هذه الفئات الاخري و صور الاختلاف كذلك . و يحدث التصنيف تلقائيا ، و بقليل من الجهد المعرفي . فمثلا ، من السهل تصنيف كل من الكتاب و الشجرة و الحيوان بصور متمايزة. و بمجرد تصنيف الوحدات ، يتم ترتيب المواد الاخري في البيئة الفيزيقية و العالم الاجتماعي المعقد . نحن كذلك نضع أنفسنا في فئات، فعندما نملا استمارة عمل مثلا، يطلب منا وضع أنفسنا في فئات تتعلق بالنوع، الجنسية، العمر، الحالة الاجتماعية. ..... الخ.

-٢- النماذج الأصيلة *Prototypes*:

يتضح هذا من استخدام فئة معبرة عن " الطيور " كنموذج ، (فمثلا العصافير و الحمام) أكثر تمثيلا للطيور من البط و الإوز رغم اشتراكهما أيضا فى نفس الفئة ،و لان هناك ملمحا مميزا مهما للطيور هو أن الطيور تطير فيكون الأفضل للنموذج هو العصافير، و علي هذا يمكن وضع أعضاء فئة ما علي متصل من حيث الانطباق التام علي النموذج الأصلي إلى عدم الانطباق التام ، و من هنا تحديد الأكثر تمثيلا لتلك الفئة .

و يزعم كانتور و ميشيل ***Mischel 1979&Cantor*** أن النموذج الأصلي يحدد في علاقته بعدد الخصائص التي يشترك فيها أعضاء الفئة ، و رغم وجود وحدات تشترك فيها مع أعضاء فئة أخري أو أكثر .

و يستمر كانتور و ميشيل في الاقتراح بأن الناس ذوي النماذج الأصيلة هم الأسرع في تشغيل و معالجة المعلومات ، إذن فمن السهل التنبؤ بسلوكهم.إننا نتبنى " نماذج عقلية " أو نماذج أصيلة عقلية لكثير من الجوانب المختلفة للناس: القرويين، أهل الصعيد. او من خلال التخصصات مثل: المحامين أو الأطباء أو علماء النفس، رجال الدين، المجانين، .... الخ.

-٣- مفهوم المخطط :

إن المفهوم ذي الصلة بالنماذج الأصلية هو المخطط. ويمكن تعريفه على انه إطار عمل ***Framework*** عقلي يحتوى على معلومات تتصل بالذات والآخرين ومواقف وأحداث محددة. فإذا تشكلت المخططات، فأنها تساعدنا على تفسير المواقف الجديدة وتوجيه السلوك.وقد حدد فسيك وتايلور ***Taylor &Fisk*** (١٩٩١) أربعة أنماط رئيسية تخدم كلها وظائف متشابهة في ضوء فهم (حل الشفرة) المعلومات الجديدة وذاكرة المعلومات القديمة. الأنماط الأربعة هي: مخططات الذات، مخططات الشخص، مخططات الدور ومخططات الحدث.وتقودنا المخططات كذلك إلى عمل استدلالات في غياب معلومات أخرى، وممكن إن يؤدى هذا إلى إصدار أحكام خاطئة عن الناس أو الإحداث.

-١-مخططات الذات:

يمكن تعريف مخططات الذات على أنها العموميات المعرفية عن الذات التي تقوم على الخبرة السابقة.وهي تنظم وتوجه في تشغيل المعلومات المتعلقة بالذات(***Markus,1977***) وتشكل مخططات الذات المكون المعرفي لمفهوم الذات وتنظم حوله السمات أو الملامح النوعية التي نعتقد أنها مركزية ومهمة في صورة الذات لدينا.

والسمات المخططية ***Schematic traits*** هي تلك التي نستخدمها غالبا عندما نريد تعريف من نكون نحن.ولهذه السمات تأثير في كيفية شعورنا إزاء أنفسنا، ولكل فرد سمات أو ملامح مختلفة تعد مركزية في مفهوم الذات لديه فمثلا، قد يكون ذكاء طالبتي الجامعة سلمى ونهى متوسطا وتتمتعان بحب الرياضة وبالنسبة لسلمى.فمستوى الذكاء مهم وقلقة بخصوص الحصول على التقديرات العالية بين مجموعة رفاقها.في المقابل، تعمل نهى بجد وجدية وتحصل على تقديرات طيبة إلى حد ما ولكن الأكثر أهمية لها هي إن تكون مميزة ضمن فريق التنس وتكون كابتن فريق الجامعة .وعلى هذا، فرغم إنهما متشابهان في السمات والقدرات،فهما مختلفتان في درجة الأهمية التي يحدد أنها فيما يتعلق بمفهوم الذات لديهما. وباستخدام المصطلحات التي قدمها ماركوس ***Markus***، فلدى سلمى سمة مخططيه تتعلق بالذكاء وسمة غير مخططيه تتعلق بالرياضة، بينما لدى نهى سمة مخططيه تتعلق بالرياضة وسمة غير مخططيه تتعلق بالذكاء،.وبينما لأي مخطط للمعلومات قوة في أي معالجة المعلومات الجديدة، يظل هناك تساؤل عما اذا كان لدى كل فرد مخطط ذات مفرد يكون نشطا في كل المواقف أم إن لديه عدد مختلف من مخططات الذات بالنسبة للمجالات المختلفة من الحياة.ويمكن إن يرتبط هذا مخطط الدور الذي سنتناوله لاحقا، حيث إن لدى أغلب الأفراد عددا من الأدوار في حياتهم.

وقد افترض لينفيل ***Linville*** (١٩٨٧) أن الأفراد يختلفون في الدرجة التي ينظم بها مفهوم الذات لديهم إلى بناءات فرعية لتتوافق مع الأدوار المتعددة. وتشير إلى بعد تعقد الذات***Self Complexity*** الذي يتصل بالدرجة التي يدرك بها الأفراد أنفسهم على نحو مختلف أو بنفس الطريقة عبر المواقف أو الأدوار المختلفة. ويعد الأفراد منخفضين في تعقد الذات اذا هم اعتمدوا على مخطط ذات واحد،ومرتفعين في تعقد الذات إذا كان لديهم عدد من مخططات الذات متصلة بالأدوار التي يؤدونها ووفقا للينفيل، فلتعقد الذات متضمنات ذات أهمية، بالنسبة لتقدير الذات لدى الشخص.فمثلا،اذا حدث حادث ضاغط في أحد مجالات حياه الشخص التي تؤثر على صورة الذات لديه،وإذا كان مستوى تعقد الذات لديه منخفضا،فمن ان تنتقل التأثيرات إلى مجالات أخرى من حياته .ومع ذلك،اذا كان لديه تعقد ذات مرتفع ، فانه يعمل كملطف لان بإمكان الفرد ان يضم تأثيرات الحدث السلبي في ذلك الموقف ويحتفظ بمستوى تقدير الذات لديه كما هو عبر المواقف أو الأدوار الأخرى (***Linville,1987***).

وهناك جانب آخر لكيفية استخدام مخطط الذات في معالجة المعلومات هو مفهوم الذوات الممكنة ***Possible selves***.وفي محاولة لتوسيع عملها، تعتقد ماركوس أن مختلف مخططات الذات التي نملكها في الوقت الراهن "هنا والآن" يمكن أن تتسع لتشمل كيفية تخيلنا لما سنكونه في المستقبل.ويمكن أن تشمل هذه كلا من الجوانب الايجابية والسلبية للذات. ويعتقد ماركوس ونوريوس ***Markus &Nurius*** (١٩٨٦) ان هذه تفيد كوظائف دافعية مهمة . وفي ضوء الجوانب الايجابية التي تشجع الفرد لبذل الجهد المطلوب لتحقيق الذات الممكنة وبصورة بديلة إذا كان بإمكان الشخص ان ذلك سيكون ضعيفا في المستقبل ومحبطا ولاامل فيه .. الخ ,فان ذلك يدفعه ليأخذ حيطته لتحاشي هذه العواقب وتشجيع إدراك الذوات المستقبلية يؤثر بقوة علي الأداء في الوقت الحاضر

ويقترح هيجبينز (١٩٧٨) ***Higgins*** وجود ثلاثة أنماط أخري من مخططات الذات لها متضمنات فيما يتعلق بكيفية شعور الفرد إزاء نفسه وهي :
الذات الفعلية :كيف نكون في الوقت الحاضر .
الذات المثالية :ما نرغب في أن نكونه .
الذات الواجبة:***Ought*** كيف نذكر فيما يجب ان نكونه .

فإذا كان هناك مدى واسع بين مخططات الذات الفعلية والمثالية فان تقدير الذات يمكن ان يكون منخفضا أما التناقض بين مخططات الذات الفعلية والمتوقعة فمن الممكن ان يسبب القلق أو التهديد أو حتي الخوف وأفضل طريقة لحل التناقض ومن ثم التأثيرات اللاحقة علي تقدير الذات ومشاعر التهديد إذا حدث ما يستدعي ذلك في موقف من المواقف هو العمل بجدية في الامتحانات وربما تعرف هذا كله فهذه الأنماط الثلاثة للذات التي اقترحها هيجنز ***Higgins*** (١٩٨٧) تذكرنا بمفاهيم فرويد عن الأنا الفعلية والأنا الأعلي التي تتكون من الأنا المثالية (الذات المثالية هنا) والضمير (الذات المتوقعة هنا)

٢- مخططات الآخر :
مخططات الآخر هي بناءات عقلية تمثل المعرفة بسمات أو أهداف إما نمط معين من الأشخاص أو شخص معروف (***Taylor 1991&Fiske)***فمثلا إذا وجه شخص ما سؤالا : ماذا يشبه س او ص ؟ ربما تجيب في ضوء مخططات الآخر فتستخدم كلمه انبساطي ***extrovert*** لوصف س او ص . وبامتلاكه هذه المعرفة سيكون الشخص قادرا علي توقع كيفية تعرف س أوص في اللقاء القادم حيث ان مخطط انه انبساطي قد علقت بذهنه .

٣- مخططات الدور :
تشير مخططات الدور إلى معرفة الناس بالبناءات التي لديهم بخصوص المعايير و السلوكيات المتوقعة من الذين يقومون بدور محدد في المجتمع و يمكن إنجاز هذه الأدوار أو عزوها و تكتسب الأدوار المنجزة بالجهد والتدريب كما في الأدوار المهنية بينما نشير الأدوار المعزوة إلى تلك التي لا نملك سيطرة عليها مثل العمر والنوع و العرق وغالبا ما تعتبر مخططات الدور شكلا من أشكال التنميط ,***Fisk Taylor 1991)***و خاصة اذا اتصلت بالأدوار المعزوة للنوع او العرق والتنميطات هي بصورة عامة نمط من المخططات ناتج عن عملية التصنيف التي تنظم الفئات الاجتماعية .

و بالنسبة للنوع ***gender*** قدمت ساندرابيم***SandraBem*** نظرية مخطط النوع (***Bem 1981*** تذكر بم أن تنميطات دور الجنس البشري تعمل كمخططات تنظيمية للمعلومات المرتبطة بالنوع في الطفولة المبكرة وتعتقد أن نمو الطفل غالبا وعمره يتراوح من١٨ حتي ٢٠ شهرا يسمح له بتقييم المعلومات الداخلة إليه علي أنها إما ملائمة او غير ملائمة لجنسه ونتيجة لذلك يصبح مفهوم الذات لدي الطفل متمثلا في مخطط النوع .

٤ - مخططات الحدث :

يتضمن النمط الرابع من المخططات أطر العمل العقلية المتصلة بمواقف أو أحداث محددة أنها أوصاف ***scripts)***توضح ما المتوقع أن يحدث في سياق معين وتساعدنا مخططات الحدث علي توقع كيفية التصرف في مواقف معينة . ولدي أغلبنا مثلا مخططات لأحداث الزفاف و الجنائز و تناول الطعام في

المطاعم و ركوب الطائرة الخ... و توجه مخططات الحدث هذه قراراتنا فيما يتعلق بأي شيء نرتدي والوقت الذي نتوقع ان نقضيه وكذلك السلوك المعياري لهذا الحدث او ذاك و قد بحثت تجربة قام بها روزو فريز ***Rose Frieje*** (١٩٩٣) ما يتوقع المراهقون حدوثه عندما يقابلون أحد افراد الجنس الاخر في أول موعد (غرامي) ذكر كل من الذكور و الاناث أوصافا عن الحدث " الموعد الاول " حيث يصطحب الفتي فتاته للنزهة و يكون قلقا بشأن مظهره ويأخذها إلى مكان لتناول الطعام أو مشاهدة السنيما ثم يوصلها لمنزلها و يقبلها قائلا طابت ليلتك و كلما تصرف الطرفان (الفتي والفتاة) وفقا لمقتضيات أوصاف الموعد الأول كلما كان ذلك طيبا ومع ذلك إذا لم يتصرف لما هو موصوف قد يصبح الموعد الأول آخر موعد كذلك !

يستلزم عمل المخططات ثلاث عمليات رئيسية داخلة في المعرفة الاجتماعية هي الانتباه, تشفير الرسائل والاسترجاع.

الانتباه :

إن عالمنا الاجتماعي ملىء بالمثيرات الاجتماعية ولهذا فمن المستحيل للفرد أن يولي انتباهه لكل شيء حوله فمن الضروري الانتقاء ،ونحن أكثر احتمالا أن نلاحظ بعض جوانب الناس والمواقف أكثر من الجوانب الاخري وتزودنا المخططات الأخري بمحكات للانتقاء ونحن غالبا ما نلاحظ المعلومات او الأحداث غير المتسقة مع المخططات الموجودة مقارنة بالمعلومات المتسقة مع المخططات وهذا ليس غريبا لأن المخططات تساعدنا علي التنبؤ بما يمكن أن يحدث فإذا حدث شيء غير متوقع أو كان سلوك شخص ما غير متوقع اذن فمن المحتمل أن يشد الشيء أو السلوك انتباهنا إليه فمثلا إذا كنت طالبا تحضر محاضرة فأنت تتوقع أن يقف المحاضر علي المنصة أمام الطلبة ولهذا تستغرب أن يسترقوا إلى المحاضرة من حجرة خلفية إنه سلوك غير متوقع ولا يتلائم مع ما هو موصوف ***scribt*** للحدث .ويؤدي مثل هذا السلوك غير المتوقع إلى البحث عن الأسباب لتفسير الانحراف عما هو موصوف .

تشفير(الرسائل) ***Encoding*** والاسترجاع :

وجدت البحوث المبكرة على الذاكرة-بصورة عامة-أن المخططات تسهل استدعاء المعلومات، وأن المواد المتسقة مع المخططات تكون أفضل في تذكرها من المواد غير المتسقة مع المخططات.وقد تدعم هذا من خلال البحث التجريبى الذي أجراه كوهين ***Cohen***(١٩٨١).فقد عرض على المشتركين في التجربة شريط فيديو لزوجين يتناولان العشاء.وأخبر نصف المشتركين بأن الزوجة أمينة مكتبة،بينما أخبر النصف الآخر بأن الزوجة نادلة(عاملة في كافيتريا) .استدعى المشاركون الذين قيل لهم ان الزوجة أمينة مكتبة ملامح النموذج الأصلى المتصل بمخطط الدور هذا مثل "ارتداء النظارة "(وهي الملامح التي حكمت المجموعة الاخرى أنها النموذج الاصلى لأمينات المكتبة).وبصورة بديلة استدعى المشاركون الذين قيل لهم بان الزوجة تعمل نادلة ملمح النموذج الأصلى مثل "شرب الجعة".وتأثر وقت العمل في الاسترجاع بما إذا كانت المعلومات الداخلة متسقة أم غير متسقة مع المخطط.فقد كانت معالجة المعلومات المتسقة كذلك مع المخطط تتم تلقائيا ولا تحتاج إلا للقليل من الجهد،ولكن المعلومات غير المتسقة مع المخطط استغرقت عملا عميقا أكثر .وسنرى في الجزء التإلى ان معالجة المعلومات بعمق ليست ممكنة دائما.

تشكيل الانطباع عن الناس

نحن بصورة منتظمة نشكل الانطباعات عن الآخرين ، و بالمثل يشكل الآخرون الانطباعات عنا . هذه العملية المتبادلة من الطرفين لتشكيل الانطباعات تمثل لب التفاعلات الاجتماعية . و غالبا ما تشكل هذه الانطباعات في ضوء القليل من الخبرة المباشرة (بل وانعدام الخبرة احيانا)مع الطرف الآخر،حيث غالبا ما تأتى المعلومات بصورة غير مباشرة من شخص اخر . كذلك تزودنا الاشارات غير اللفظية التي تشمل من بين ما تشمل المظهر الخارجي بمعلومات لها اهميتها . و للانطباعات المتبادلة المشكلة نحو شخص ما متضمنات مهمة ، حيث أنها تميل إلى الاستمرار و قد تؤثر علي ما إذا كانت ستنمو علاقة أم لا . و بالمثل ، وفي المواقف الرسمية مثل المقابلات يقوم الانطباع المبدئي إما علي جانب يمكن أن يؤثر في تقديم الوظيفة أو علي جانب قبولها . و مع ذلك ، كما سنري ، يمكن أن تكون الانطباعات الأولي غير دقيقة ، حيث تعكس خطأ في معالجة المعلومات أو تفكيرا نمطيا أو حتي تعصبا. و علي هذا ، فقد تكون قاسية و تمثل نظرة انتقائية تعكس ما يرغبه الشخص بالفعل.

و قد مثل تشكيل الانطباعات مصدرا لكثير من البحوث في علم النفس الاجتماعي عبر الخمسين سنة الاخيرة ،. و لفهم تسلسل الفكرة من المنطقي أن نأخذ منظورا تاريخيا.وسوف نستهل هذا الجزء بتناول الأعمال المبكرة لسولومن آش ***Solomon Asch*** (١٩٤٦).فقد شكلت أعماله حجر الزاوية لكل الأعمال اللاحقة عن تشكيل الانطباعات،ومرت سنوات قبل أن تتبلور رؤية بديلة على يد اندرسون ***Anderson***(١٩٦٨)وكان يعتقد في البداية أن مدخل اندرسون القائم على الجبر المعرفي ***Cognitive Algelva*** يأخذ الاتجاه العكسى لنموذج آس،ولكن العمل اللاحق الذي قام به فيسك ونيوبرج ***Fiske &Neuberg*** (١٩٩٠)أوحى بأن النموذجين يكملان بعضهما أكثر من كونهما متعارضين.ونتيجة لذلك،افترض فيسك ونيوبرج نموذجا على شكل متصل لتشكيل الانطباعات.وسيتم التعريف بهذه النماذج في المناقشة التإلية.

سولومون آش ***Asch***والنموذج الشكلى
نظرية الشخصية الضمنية
أثر الهالة
نموذج المتصل لفيسك ونيوبرج

١- سولومون آش *Asch*والنموذج الشكلى *Configral*:

زعم سولومون آش(١٩٤٦)-من المنظور الجشتلطى-أن نوع الخبرة النفسية ككل أكبر من مجموع أجزائها المفردة.ولفهم هذا التصور يمكن تشبيهه بالتناغم الموسيقى،الذي يعنى أكثر من مجموع النغمات المفردة التي تشكله،بينما يعد الأداء الاوركسترالى أكبر من مجموع الأداء الفردى لكل عازف.
في البداية وعندما كان آش(١٩٤٦) يفكر فى النموذج الشكلى وجد أنه عندما يطلب من الناس تشكيل انطباع عن شخص مفترض على أساس سمات شخصية تصوره،كان بإمكانهم تشكيل الانطباع بسهولة.بل كانوا قادرين على خلق أوصاف أخرى للشخص باستخدامهم صفات أكثر بل واقترحوا نوع الوظيفة التي يقوم بها هذا الشخص المفترض .ونتيجة لذلك ،ابتكر آش طريقة تجريبية رائدة استخدمت في مناسبات لا تعد ولاتحصر لبحث تشكيل الانطباعات.وبصورة اساسية ،يتم اعطاء قائمة من الصفات تصف الشخص (سمات المثير)،ثم يطلب من المشاركين اعطاء مجموعة اخرى من الصفات(سمات الاستجابة)تصف هذا الشخص على ضوء الوصف المقدم لهم.وببحث السمات المركزية

والمحيطية،اعطى آش قوائم مختلفة قليلا نت الصفات التي تصف شخصا مفترضا.وفي هذه التجربة كانت توجد أربعة ظروف تجريبية وظرفا ضابطا.في الظرف الضابط،تم إعطاء المشاركين سبع سمات مثير.

وسمات المثير الاضافية (واحدة لكل ظرف تجريبى)اعتقد آش انها مركزية،وفيما يلى توضيح كل هذه الظروف التجريبية.
-المجموعة التجريبية (أ):ذكى،ماهر كادح،دافئ،حاسم،عملى،حذر.
-المجموعة التجريبية (ب):ذكى،ماهر،كادح،بارد،حاسم،عملى،حذر.
-المجموعة التجريبية(جـ):ذكى،ماهر،كادح،مؤدب،حاسم،،عملى،حذر.
-المجموعة التجريبية(د):ذكى،ماهر،كادح،فظ(عديم الاحساس)،حاسم،عملى،حذر.
وكما نرى،تم إعطاء المجموعتين أ،ب سمتين إضافيتين متضادتين(دافئ،بارد)وتم إعطاء المجموعتين جـ،د نفس السمة العكسية(مؤدب،فظ).ثم طلب من المشاركين ما إذا كانوا يعتقدون أن الشخص المفترض كريم،حكيم،بهيج،يعتمد عليه ومهم.ويلخص جدول ٢-٢النتائج.

جدول -٢:النسب المئوية للمشاركين الذين يعتقدون أن الشخص المفترض يمتلك صفات الكرم والحكمة والسعادة والبهجة في دراسة آش(١٩٤٦)(نقلا عن:***Pinnington,etal,1999,p.126***)

الصفه	المجموعه الضابطه	المجموعه"أ"	المجموعه"ب"	المجموعه"جـ"	المجموعه "د"
كريم	%٥٥	%٩١	%٨	%٥٦	%٥٨
حكيم	%٤٩	%٦٥	%٢٥	%٣٠	%٥٠
سعيد	%٧١	%٩٠	%٣٤	%٧٥	%٦٥
بهيج	%٦٩	%٩٤	%١٧	%٨٧	%٥٦

و يوضح الجدول أن المشاركين الذين أعطو سمة " دافئ" اعتقدوا أن الشخص "كريم"(٩١%)وسعيد(٩٠%)وبهيج (٩٤%).وفي المقابل ،لم يعتقد الذين أعطي لهم سمة"بارد" أنه تخيلك مثل هذه السمات.والمشتركون الذين أعطيت لهم سمة"مؤدب"او"فظ"كانت أحكامهم أقل تطرفا.وهذا يتضح-على سبيل المثال-من حقيقة ان٥٨%فقط , ٥٦%اعتقدوا أن الشخص المفترض كريم وبهيج على التوالي (قارن هاتين النسبتين بالنسب المئوية للمجموعتين أ،ب).وفي ضوء هذه النتائج،يحاجج آش بأن الدفء/البرودة سمات مركزية،بينما الأدب/الفظاظة سمات محيطية.ويعتقد آش أن السمات المركزية يستدل عليها من وجود سمات معينة أخرى تؤثر بقوة في الانطباع النهائى.ومن جهة أخرى فليس للسمات المحيطية-مثل الأدب/الفظاظةإلا القليل من التأثير على الانطباع الكلى .
وقد دعمت الدراسات اللاحقة فكرة السمات المركزية والمحيطية سواء في الدراسات التجريبية أو في المواقف الطبيعية مثل التعليم.فمثلا قام كيلى ***Kelley***(١٩٥٠) بتوزيع نسختين تصفان السيرة الذاتية لمحاضرضيف على الطلاب الذين قابلهم لاحقا.اشتملت إحدى النسختين على سمة"الدفء" وضمت

الاخرى سمة"البرودة".وعند وصول الضيف لبدء المحاضرة قام المجرب بتسجيل كم مرة اشترك فيها كل طالب معه في مناقشة.وبعد الجلسة،وبعد مغادرة المحاضر /طلب من الطلاب تقدير المحاضر على مقياس متدرج يضم ١٥ سمة.قام الذين اعطيت لهم سمة انه "دافئ"بتقدير المحاضر إيجابيا على سمات مثل أنه مراعى لحقوق ومشاعر الاخرين،لا يهتم بالرسميات،اجتماعى،بهيج،لديه روح الفكاهة،عطوف كما أنهم اشتركوا أكثر في المناقشة.وقد تم إجراء مطابقة لهذه الدراسة في سياق تعليمى آخر بعد مرور ٣٨ سنة وكانت النتائج متشابهة(انظر:١٩٨٨ ***loy& wiolmeyer***).وهنا نتيجة إضافية خرجت بها هذه الدراسة اللاحقة وتمثلت في أن المحاضر الضيف تم تقديره على أنه محاضر أكثر فعالية من جانب الطلاب الذين قدمت لهم سمة "الدفء"قبل الالتقاء به وعلى هذا ينشأ عن السمات المركزية توقعات معينة عما يكونه هذا الشخص وهذا يؤثر –من ثم-على كيفية معالجة المعلومات الجديدة عن هذا الشخص.وسيتم تناول هذه المسألة مرة أخرى عند الحديث عن صور التحيز الملازمة لتكوين الانطباعات والانتقاد الذي يوجه لهذا المنحى هو التساؤل عن كيفية تحديد السمات المركزية.ومن المنظور الجشطلتى،فإنه يعتمد على درجة ارتباط السمة بالسمات الاخرى إلا أنه يمكن الاعتماد على السياق حيث انه في تجارب آش،تم اعتبار سمات الدفء/البرودة مركزية لأنه بعد ارتبط سيمانتيا بأبعاد الاستجابة.

٢- نظرية الشخصية الضمنية *implicit*

كان برنر وتاجيورى ***Tagiori&Bruner*** (١٩٥٤) سباقين لاقتراح أن لكل فرد فكرة خاصة به عن خصائص الشخصية المنسجمة والمتسقة مع الخصائص الأخرى. وكانت نظرية الشخصية الضمنية ***The implicit personality*** – وهو الاسم الذى أصبحت معروفة به – تطويرا آخر قام به روزنبرج وزملاؤه. ***Rosenberg, et al.,*** (١٩٦٨). طلب روزنبرج وزملاؤه من طلبة الجامعة أن يفكروا فى عدد الناس الذين يعرفونهم ولكنهم مختلفون عن بعضهم بعضا. وتم إعطاؤهم بعد ذلك ستون (٦٠) سمة وطلب منهم وضعها فى فئات منفصلة ، كل فئة تمثل وصفا لكل شخص مختلف معروف لهم حصل كل الطلبة على نفس السمات الستين ، ولكن كان كل طالب يفكر فى أناس مختلفين. أظهرت نتائج تحليلهم للسمات الستين أنه (أ) توجد نظرية الشخصية الضمنية مشتركة بينهم ، (ب) يوجد نمطان مرتبطان ولكنهما متمايزان للتقييمات الجيدة – السيئة. أطلق على أحد النمطين البعد العقلى ***intellectual*** الجيد – الردئ ، والآخر البعد الاجتماعى ***social*** الجيد – الردئ. فهذا قد يفسر بدرجة ما مركزية تمايز الدفء – البرود فى تشكيل الانطباعات التى وجدها آش (١٩٤٦) ، حيث وقعت هاتان السمتان على طرف فى محور المرغوبية الاجتماعية. والأفكار المبكرة لنظريات الشخصية الضمنية سبقت الجهود البحثية على نظرية المخطط ، ولكن نظريات الشخصية الضمنية تفيد وظيفة أى مخطط. وتوضح النظريات نزعتنا لأن نكون بخلاء معرفيا ***Cognitive*** (***Tayor, 1991) &Fiske*** ***Cognitive misers*** عندما نكون انطباعاتنا عن الناس باستخدام القليل من المعرفة عنهم أو لا نقضى إلا فترة قصيرة جدا معهم.

وقد اتضح التنوع الثقافى فى نظريات الشخصية الضمنية (***Hoffman, et al., 1986)***. وقد لاحظ هوفمان وزملاؤه أنه فى الثقافة الغربية ، يكون لدينا فكرة مشتركة عن شخص ما له شخصية فنية ***artistic*** ، أى أن خصائص الإبداع تكون وقتية ومن المحتمل أن يكون له أسلوب حياة غير تقليدي ومع ذلك ، فبعض الثقافات – كالصينية مثلا – ليس لديها فى أدبياتها الثقافية شخص له تلك التجميعة من الخصائص. وبالمثل ، هناك أفكار مشتركة عن أنماط الشخصية يتبناها الصينيون لا توجد فى الثقافة الغربية. فمثلا ، نمط شى جو.***Shigu*** هو الشخص الذى له توجهات أسرية وعالمية (مهتم بقضايا العالم)

ولديه مهارة اجتماعية ولكنه متحفظ ,ولاختبار صحة هذا الاختلاف الثقافى ، كتب هوفمان وزملاؤه ***Hoffman, et al.,*** (١٩٨٦) قصصا تصف كيف يتصرف الشخص الفنان ولكن بدون تسمية لفظية وقد تم كتابة القصص بكل من اللغة الإنجليزية والصينية. والقصص بالإنجليزية أعطيت للمتكلمين بالإنجليزية والذين يتكلمون الإنجليزية من الصينيين. أما النسخة الصينية فقد أعطيت للصينيين. ثم طلب من المشاركين كتابة انطباعاتهم عن الشخصية التى تصفها القصص.

٣ أثر الهالة *Holo effect*

التحيز التقييمى شائع عند تكوين الإنطباعات ولتأثير الهالة.– كما يتضح من اسمها – على إدراكاتنا حتى بالنسبة للخصائص الموضوعية للشخص الآخر. والجانب الإقناعى لتأثير الهالة هو أنه يرتبط إلى حد بعيد بالخصائص الفيزيقية. ويبدو أن القول بأن "الجمال هو فقط بعمق قشرة الجلد" لا ينطبق ، لأن الذين يتسمون بالجمال يخضعون لتقييمات إيجابية متحيزة لصالحهم. وفى مراجعة بحثية ، وجد ايجلى وزملاؤه ***Eagly, et al.,***(١٩٩١) أنه مهما تأسس حكمنا على ما هو جميل فإنه يؤثر كذلك على تقييمنا لما هو جيد (طيب) وبتطبيق هذه الظاهرة على النظام القضائى ، وجد عدد من الباحثين (***e.g., Founs*** ***Lyons, &*** ١٩٩١) أن المتهمين الجذابين – سواء كانوا ذكورا أو إناثا – حصلوا على عقوبة أخف من عقوبة المتهمين غير الجذابين جسميا. وترتبط الجاذبية الجسمية كذلك بالكفاءة المدركة. فقد وجد جاكسون وزملاؤه. ***Jackson, et al.,*** (١٩٩٥) – لدى كل من الأطفال و الراشدين – أن الأشخاص الجذابين يتم إدراكهم على أنهم أكثر كفاءة من غير الجذابين. وكانت التأثيرات أقوى بالنسبة للذكور عن الإناث ، وكذلك فى حالة غياب المعلومات الفعلية عن الكفاءة مقارنة بوجود تلك المعلومات. وإحدى مشاكل هذا النمط من البحوث هو التوصل إلى مجموعة موضوعية متفق عليها من المحطات التى تحدد الشخص الجذاب وغير الجذاب. وهذا يختلف بالاعتماد على ما إذا كنت تدرك نفسك جذابا أو غير جذاب فى المقام الأول !

٤. نموذج المتصل لفيسك ونيوبرج

كنتيجه لنتائج فيسك ونيوبرج ***fiske & neuberg***(١٩٩٠) تم ابتكار نموذج المتصل ***continuos model***عن تشكيل الانطباع فى البداية نحن نصنف الشخص على أساس المعلومات التى نملكها عنه ٠ وقد تكون هناك علامة بارزة للتصنيف مثل لون البشرة ، النوع ، العمل ٠ واذا لم يكن هناك انشغال شخصى أو كان الشخص لا يهمنا ، فمن غير المحتمل أن تستمر العملية لمدى أبعد من ذلك فمثلا ينطبق هذا على شخص نقابله مقابلة عابرة فى القطار او على قارعة الطريق ولكن إذا دخلنا فى تفاعل اجتماعى مع الشخص وكان يمثل أهمية لنا ، فنحن أكثر ميلا لأن نولى انتباهنا للمعلومات الواردة عنه ومن ثم يتم بحث المعلومات بمضاهاتها مع تصنيفها المبدئي ، فاذا كانت متسقه مع التصنيف ، تأكد الانطباع المبدئي ٠

أما اذا كنت المعلومات الاضافية غير متصفة مع التصنيف الذى أجريناه سلفا فالمرجح أن يستخدم تصنيف بديل وإذا لم تؤكد فئات تصنيفية، متاحة يتم تبني العملية التدريجية التى تركز على الصفات فى تكوين الانطباع وقد اعتبر فيسك (١٩٩٠) التمثيل المخططى لنموذج المتصل عن تكوين الانطباع العمليات القائمه التصنيف المبدئي) والعمليات المتركزة حول الخصائص والانطباعات المكونه على معلومات اضافيه لاحقه) عند احدى طرفى المتصل ويستخدم فى ذلك اما تأكيد التصنيف أوإعادته أو التكامل التدريجى بين طرفي المتصل ، وهذا يعتمد على الموقف ٠ ويبدو هذا تفسيرا معقولا ، إذا قبلنا بأن الانطباعات التى تقوم على التصنيف يكون لها الأولوية عندما لا يوجد الا القليل من الوقت او

الدافعية لتلقى معلومات اخرى ٠ وفى المواقف التى يمثل تشكيل انطباع دقيق امرا حيويا ، كما فى مقابلا ت التوظيف فى العمل ، لابد من استخدام تشكيل الانطباع تدريجيا ومن ثم يرجح أن يكون هناك تصارعا او عدم اتساق فى المعلومات ٠ وعلى هذا تكون فى حاجة إلى نظرة متوازنة وتقييم متغير يتعلق معينه بهدف الوصول إلى حكم دقيق قدر الإمكان. ويبدو أن الأفراد ينهمكون دائما فى عملية التشكيل خطوة خطوة جنبا إلى جنب مع عملية التصنيف بصورة تلقائية. وهم لا يطيقون إلا العملية التى تقوم على الخصائص إذا كانت دافعيتهم عالية أو إذا كانت طبيعة الخاصية أو السمة تستعصى على إعادة تصنيف الفرد إلى جماعة معينة.

صور التحيز فى تشكيل الإنطباعات

يؤدى تشكيل الإنطباعات عن الآخرين فى الغالب إلى أخطاء من التحيز فى الإنطباعات والأحكام عنهم ، وفى الأوقات التى لا يكون لدينا إلا القليل من المعلومات عن الشخص ، فإننا قد نجرى تصنيفا تلقائيا ودع الأمور كما هى. وفى أوقات أخرى يكون لدينا قدر كبير من المعلومات المتاحة يقابلها قدرة محدودة على معالجة هذه المعلومات. وقد تؤدى مصطلحات مثل الشح المعرفى ***Cognitiviemiser*** عند استخدامها مع الموجهات المعرفية ، قد تؤدى غالبا إلى تشكيل انطباع متحيز.

وفى هذا الجزء سنلقى نظرة على ثلاثة أسباب رئيسية للتحيز : تأثير الأسبقية ، المعلومات الإيجابية والسلبية عن الشخص ، نبوءة تحقيق الذات.

١- تأثير الأسبقية *Primacy effect*

يمكن أن يكون لترتيب تقديم المعلومات تأثير عميق على الانطباع اللاحق. ففى سلسلة من التجارب ، استخدم آش ***Asch*** (١٩٤٦) ست سمات ليصف شخص مفترض للمشاركين فى التجارب بالنسبة لنصف المشاركين : تم وصف الشخص بأنه ذكى ، مجد ، منفع ، انتقادى ، حسود ، أى تم البدء بالسمات الإيجابية أولا : وبالنسبة للنصف الآخر من المشاركين ، تم إعطاؤهم نفس هذه السمات ولكن بترتيب معكوس. وجد أنه تم تقييم الشخص بصورة ايجابية من قبل المشاركين الذين تلقوا السمات الإيجابية أولا ، وهذا دليل قوى على تأثير الأسبقية. (ممدوح سلامة ، ١٩٩٤) وهناك سببان رئيسيان لتأثير الأسبقية. الأول هو فرضية تناقص الانتباه. يميل الأفراد إلى الاعتقاد بأنهم يشكلون انطباعا دقيقا عن الشخص ، ومن ثم لا يولون انتباههم للمعلومات التالية المناقضة لهذا الإنطباع. وقد وجد بلمور ***Belmore*** (١٩٧٨) أنه عندما يطلب من الأشخاص قراءة سلسلة من العبارات عن شخص ما ، فإنهم يستغرقون وقتا أقل كلما تابعوا القراءة من القائمة ، وعلى هذا ، فإنهم يعطون انتباها أكبر للمادة التى تظهر فى البداية. والسبب الثانى لتأثير الأسبقية هو أنه ما دام الشخص قد كون انطباعه ، فإن كل المعلومات الأخرى غير المتسقة مع هذا الانطباع تفسر فى ضوء الإنطباع. ويمكن تفسيره على أنه احترام للذات ، ولكن إذا كان الانطباع سلبيا. فقد يعنى الغرور (***Brehm * Kasin***.

وقد أوضح لوشينز ***Luchins*** (١٩٥٧) تأثير كل من الأسبقية والحداثة (الجدة) ***recency*** فى دراسة لاسيكية عن تشكيل الإنطباع. ويأتى تأثير الحداثة عندما يكون للمعلومات امقدمة أخيرا تأثيرا أقوى فى تكوين الإنطبع. قدم لوشينز للمشاركين فى تجربته وصفين اثنين لشخص كل وصف مكون من فقرة واحدة. إحدى الفقرتين تصور الشخص – جيم ***Jim*** – على أنه انبساطى ، والأخرى على أنه انطوائى ، هكذا.

فقرة الانبساطى : غادر جيم المنزل قاصدا مكتبة لبيع الأدوات المدرسية. سار فى الشارع مع اثنين من أصدقائه يستدفئ بأشعة الشمس. دخل جيم المكتبة التى كات مليئة بالناس. تحدث جيم مع أحد معارفه بينما ينتظر أن يفرغ له البائع. ثم توقف – بعد أن كان البائع على وشك أن يحضر له ما يريد – ليتحدث مع زميل له فى المدرسة دخل للتو إلى المكتبة. وبعد أن غادر المكتبة ، سار نحو المدرسة. وفى طريقة قابل فتاة كان عرفها به أحد زملائه الليلة السابقة. تحدثا معا لفترة ، ثم تركها جيم متوجها إلى المدرسة.
فقرة الانطوائى : بعد حلول موعد انتهاء الدراسة غادر جيم الفصل بمفرده ، وسار لفترة طويلة قاصدا المنزل. وكان الشارع مضيئا مليئا بأشعة الشمس. سار جيم فى جانب الشارع الذى به ظل. وخلال سيره ، رأى فتاة جميلة قابلها مساء أمس. قطع جيم الشارع ودخل محلا للحلوى. كان المحل غاصا بالطلبة ، ولكنه لم ير سوى عدة وجوه مألوفة له. انتظر جيم بهدوء حتى تفرغ له البائع ثم أعطاه طلبه. أخذ مشروبه وجلس على منضدة. وبعد أن فرغ من شرابه ، توجه للمنزل.

وبدلا من التزويد بتقديرات عن الأوصاف ، طب من المشاركين أن يذكروا إن كانوا يحبون جيم وإن كانوا يرغبون فى التحدث معه. وطلب لوشينز كذلك من المشاركين أن يتخيلوا ما سيفعله جيم فى الموقف التالى : كان جيم ينتظر دوره فى محل الحلاقة. نظر الحلاق إليه ليسمح لزبون آخر أن يتقدم ليأخذ دوره مع أنه قد وصل للتو. ماذا فعل جيم ؟"

كشف لوشينز أن تأثير الأسبقية يحدث عندما تقرأ الفقرتان الواحدة بعد الأخرى بدون أى فاصل زمنى ، ولكن تأثير الحداثة يأتى عندما يكون هناك فاصل زمنى بين قراءة الفقرتين ، ويتم شغل وقت التأخر هذا بمهمة مشتتة للانتباه (قراءة قصة كوميدية مثلا)
(***Pennington et al., 1999, PP. 137-138)***)

٢ المعلومات الإيجابية والسلبية

المعلومات السلبية عن شخص ما أو وجود سمات سلبية لديه تميل إلى أن تأخذ أهمية فى تشكيل الانطباع أكبر من أهمية المعلومات الإيجابية. ومن المهم كذلك أنه إذا تشكل الأنطباع السلبى ، فمن غير المحتمل أن يتغير حتى فى ضوء معلومات جديدة إيجابية.

وفى مراجعة لتفسيرات ذلك ، يعتقد سكرونسكى وكارلستون ***Carlstion&Skouronski*** (١٩٨٩) أن المعلومات السلبية مميزة ومعتادة تشد الانتباه أكثر فى المواقف التى نود – إجمالا – أن نفترض حسن النية فى الناس وبصورة بديلة ، ثد يتمثل الأمر فى أن المعلومات السلبية تميل إلى أن تكون إشارة على ظهرمحتمل ، لهذا نكون على وعى بقيمتها البقائية لنا. ومع ذلك ، يمكن أن يكون لها متضمنات مهمة جدا بالنسبة لحكم الشخص ، كما سنرى فى الجزء التالى.

-٣ نبوءة تحقيق الذات

إن نبوءة تحقيق الذات هى العملية التى بمقتضاها نجعل الشخص يتصرف بطرق تثبت فى النهاية توقعاتنا عنه. فقد أجرى روزنتال وجاكبسون ***Jacobson&Rosental*** (١٩٦٨) دراسة على جانب كبير من الأهمية ،فى الفصل. أخبر المدرسون فى مدرسة سان فرانسيسكو بأن عشرين (٢٠) تلميذا فى فصولهم لديهم طفرة فى النمو العقلى (المزدهرون). وذكر المجربون نسب الذكاء ، ولكن الواقع أنه تم اختيار العشرين تلميذا هؤلاء بصورة عشوائية. وعلى الفور قام المدرسون بتقدير المجموعتين من التلاميذ بصورة مختلفة ، حيث تم اعتبار غير المزدهرين أقل حبا للإطلاع وأقل اهتماما

وأقل سعادة من المزدهرين. وقد أظهرت نتائج نسب الذكاء على مدار سنتين اثنتين درجات أعلى بصورة دالة للتلاميذ الذين تم تحديدهم على أنهم مزدهرون. ومتضمنات هذا البحث تتمثل فى أن توقعات المدرس الإيجابية تؤثر فى أداء التلميذ ، وتسبب بعض القلق. ويمكن توجيه الإنعقاد لهذا البحث لأنه لو كان هذا كذلك ، فإن توقعات المدرسين السلبية عن التلاميذ يمكن أن تؤثر بالمثل على أداء التلاميذ سلبيا. (***Pennington, et al., 1999, P. 138)***.

وبينما قد يقال إن البحث الأصلى قد عفا عليه الزمن ، فإن روزنتال ***Rosental***(١٩٨٥) وجد بعد تحليل أكثر من أربعمائة (٤٠٠) تجربة مصممة لاختبار صحة الغرض الأصلى أنه فى ٣٦% من الحالات أثرت توقعات المدرس بصورة دالة على أداء الطالب.
وقد اتضح أن التأثير عمل فى سياقات غير السياق التعليمى.

فمثلا باستخدام نفس النموذج ***paradigm*** : جند ايدن ***Eden*** (١٩٩٠) ٢٩ فصيلة من الجنود الإسرائيليين ، تشكل ما مجموعه أكثر من ألف (١٠٠٠) رجل. أجبر بعض قادة الفصائل أن يتوقعوا أن يحصل أفراد مجموعتين على درجات أعلى من المجموعات الأخرى فى التدريب ، بينما لديهم فى الواقع قدرة متوسطة. وبعد عشرة (١٠) أسابيع ، تم تقييم أداء كل المتدربين ، وحصل أولئك الذين تم تحديدهم بتوقع مرتفع على درجات أعلى فى الأمتحانات التحريرية وفى اختبار العمليات الحربية.

وقد زودنا بريم وماش ***Kassin&Brehm*** (١٩٩٦) بتفسير بسيط بسبب وكيفية تحويل الناس التوقعات إلى حقيقة. ومع ذلك ، ورغم الإقرار بهذه التأثيرات ، فهى ليست تلقائية. فعندما يكون لدى القائمين بالإدراك دافعية عالية لاكتشاف ما هو عليه الشخص فى الواقع ، فى حالة – مثلا – أنهم يعرفون أن الشخص مهم لهم ، فإنهم يختبرونه بعمق وغالبا ما يفشلون فى إثبات النبوءة.

كذلك ، عندما يوجد تفاوت فى القوة بين القائم بالإدراك و الشخص المستهدف ، فإن الذين فى موقف قوة أقل أو المرؤوسين لا يثبتون التوقعات لأنهم مدفوعون أكثر لتقديم أنفسهم بطريقة تجعلهم محبوبين (***Copeland,*** ١٩٩٤) والقيد الثالث يتمثل عندما تتصادم توقعات القائم بالإدراك مع مفهوم الذات للشخص المستهدف.

الفصل الثـالث

الاتصال غير اللفظى

- مقدمة
- الاتصال فى عالم الحيوان.
- السلوك غير اللفظى.

الاتصال غير اللفظى

مقدمة :
اللغة أحد العوامل الرئيسية المؤسسة لأي مجتمع، لأنها أهم الوسائل التواصلية بين الأفراد والجماعات، على الصعيدين المباشر منها وغير المباشر، وتتنوع المواقف الاتصالية؛ كالشعائر الدينية، المقطوعات الموسيقية، القصائد الشعرية، الإعلانات التجارية أو الفنية، أو السياسية وغيرها، نشرةالأخبار، المحادثة بين الطرفين، الصور المتحركة، النُكْتة أو الفكاهة، إشارات المرور، دستور الدولة وقوانينها الخ..... واللغة ما هي إلا نظام من العلامات الصوتية، ينشأ ويتطور مرتبطاً بتاريخ الناطقين بها ، ويستخدم وسيلة تواصل ووسيطاً للتفكير ومجالاً للتعبير عن الأفكار والعواطف والمشاعر.

العلاقة بين اللغة والاتصال علاقةً وثيقةً أدركها علماء العربية منذ القدم، ونكتفي بما قاله "ابن جني" في خصائصه: " إن اللغة أصوات يعبر بها القوم عن حاجاتهم، وأغراضهم"، الأمر الذي نستدل منه على مقومات اللغة وطبيعتها، وأهميتها، ووظيفتها الاجتماعية الاتصالية. والمقصود باستخدام اللغة في التواصل هو "عملية تبادل المعلومات بين الأفراد والجماعات ويظهر هذا التواصل اللغوي على شكل عبارات أو تعابير شفهية أو كتابية تتبادلها الأطراف في موقف معين لغرض معين عن واقعة معينة".
وتعتبر اللغة أرقى أنواع الاتصال البشري بكافة صوره وأشكاله، ولكنه لا يعني أبداً؛ أن اللغة والاتصال مترادفان. فالمضمون اللغوي أهم العناصر الأساسية التي تقوم عليها عملية الاتصال والتواصل باللغة وهو المعنى المراد توصيله للآخرين، والمقصود بالتعبير عنه كأحد المهام الرئيسة المنوط بها لأي لغة بشريةٍ والتي بها تحقق أهم وظائف اللغة المنتظرة، وهي التخاطب بين أبناء الجماعة اللغوية الواحدة. وعبر الاتصال الجماهيري لا نرى مصدر الاتصال وجهاً لوجه، ويعتبر التحرير الإعلامي صلبه ومنطلقه، ولا يمكننا تمييز الرسالة الإعلامية عن غيرها من الرسائل الأخرى، من حيث الفهم أو الرفض إلا عن طريق النتائج المتوقعة، أو ردود الأفعال التي يمكن تقديرها .

واللغة قد تكون غير مباشرة، تنتقل عَبر أجهزة الإعلام التي تقوم بنقل المعلومات، والقيم بين المُرسِل والمُستَقبِل. وأن هذه بعكس حال الاتصال الشخصي المباشر بين طرفي الاتصال. وأن اللغة الجديدة تصلُ إلى الجماهيرية العريضة ***MASSES***، لاسيما في عصر الفضائيات، والأقمار الصناعية. وأن الاتصال يتم بسرعةٍ مذهلةٍ، بل وأثناء الحدث (الإخباري) مثلاً. وأن القائم بالاتصال يضطر إلى افتراض إنسان متوسط الثقافة يوجه إليه رسالته، ولكن هذه المتوسطات متعددة.

ومما سبق نخلص إلى أن اللغة اللفظية ومضمونها يتبلور في عدد من الخصائص المشتركة:
أولاً- إن المفردات (المضمون الثقافي الصادر عبر الوسائط الإعلامية) في المواقف السابقة تنتجها الكائنات الإنسانية، بهدف تشكيل السلوك الإنساني أو لتوجيهه في اتجاه معين، أو إقامة نوع ما من العلاقة لِمُنْتِجِ هذا الموقف (المنبه) وبين المستجيبين له.
ثانياً-إن الاستجابة تجاه كل مفردة مما سبق من المواقف تختلف تبعا لاختلاف المفردة اللغوية ذاتها
ثالثاً- إن هذه المفردات توجد علاقة خاصة بين المنتجين لها وبين المستجيبين لها، علما بأن هذه العلاقة ليست علاقة آلية.
رابعاً- إن هناك اختلاف بين درجات الاستجابة التي يثيرها المنبه أو الموقف الاتصالي؛ فإشارات المرور بخلاف المقطوعة الموسيقية أو الشعرية، أو الإعلانية، أو ...الخ.

فقد بلغ التواصل البشري أقصى مدى له في العصر الحالي، لما ينم عن تفجُر التكنولوجيا، والمعلومات، وما يمكن أن تؤديه رسائل الأجهزة الإعلامية لاسيما المنطوقة منها، من تأثير فكري، وشعوري، وانعكاس ذلك على السلوك البشري، لاسيما في مجال الدعاية والإعلان حيث يلجأ العاملون فيه لاستغلال الكلمة، بل كل الوسائل اللغوية الممكنة في الترويج، والإقناع للقراء والمستمعين للإقبال على البضائع التجارية، واقتنائها، وما زال السياسيون يتنبهون يوماً بعد يوم إلى قوة تأثير الكلمة وسلطانها على النفوس البشرية.إننا نقضى كثيراً من حياتنا الاجتماعية نتفاعل وجهاً لوجه أو مع شخص أو مع مجموعة صغيرة من الناس ويحدث هذا من خلال كل من اللغة المنطوقة والاتصال غير اللفظى.

ويمكن تعريف الاتصال اللفظى بأنه الكلمات المنطوقة، بينما يشمل الاتصال غير اللفظى كلاً من السلوك الصوتى وغير الصوتى ويشير السلوك الصوتى ***vocal*** إلى جوانب من الكلام من قبيل ارتفاع وانخفاض الصوت ونغم الصوت ***Pitch*** السرعة والتأتأة. أما السلوك غير اللفظى فيشمل السلوكيات التواصلية الأخرى مثل التلامس الفيزيقى (اللمس)، لغة الجسد، الإيماء والتعبيرات الوجهية ، الحيز الشخصى، المظهر والعوامل البيئية أنظر شكل ٣-١).(***Hargie et al***., ١٩٩٤)

يمكننا اعتبار أن هذين النمطين من الاتصال يفيدان فى وظائف مختلفة. رغم ذلك فمن الأهمية بمكان أن نأخذ فى الحسبان أن الاتصال غير اللفظى يمكن أن يكون بديلاً للغة، وأفضل مثال على ذلك هو لغة الإشارة التى يستخدمها الصم. ومن الناحية الوظيفية، يستخدم الاتصال اللفظى. فى شكل لغة لإيصال الأفكار المنطقية أو المجردة، بينما يعيد الاتصال غير اللفظى فى مدى متسع من الوظائف (***Hazrgie, et al., 1994***)

وقد أكدت البحوث المبكرة على السلوكيات غير اللفظية الى التركيز على "قنوات" الاتصال فى العزلة . ينظر إلى كل نمط مختلف من السلوك غير اللفظى – مثل التقاء العين والتقارب المكانى واللمس .... الخ – على أنه قناة مختلفة، تماماً مثل قنوات التليفزيون. إلا أن البحوث الأحدث قد ابتكرت منحى عبر القنوات، ذلك المنحى الذى يجعل من الممكن تحديد الوظائف التى تفيد فيها أنماط مختلفة من السلوك غير اللفظى (***Paterson, 1990***). وقد تم تحديد ثلاث وظائف أساسية للسلوك غير اللفظى بصورة مبدئية من قبل الباحثين فى أواخر الستينيات وأوائل السبعينيات من القرن العشرين هى:
(أ) تزويد الآخر (أو الآخرين) بالمعلومات.
(ب) تنظيم التفاعل بين أثنين أو أكثر من الناس.
(جـ) التعبير عن الحميمية وخاصة فى مواقف الحب والغرام.

وحديثاً أقترح باترسون ***Patterson*** (١٩٨٧) أربع فئات إضافية، تضم: الضبط الاجتماعى أى حدوث تأثير فى الطرف الآخر المتفاعل، تمثيل الذات ***self – presentation*** أى خلق كيان وهوية مرغوب فيها. معالجة الأثر ***effect – management***، حيث يتم تنظيم وتعديل الخبرة، فمثلاً ردود الفعل السلبية قد تتضح بأساليب التجنب وتقليص النظر. أما الوظيفة الإضافية الرابعة فهى وظيفة خدمة المهمة ***Service Task*** التى ترتب بصور التبادل مع المتخصصين مثل الأطباء وأطباء الأسنان، حيث توجد مستويات عالية من التواصل..

ومن الصعب أحياناً – رغم أنه يكون يسيراً فى أحيان أخرى – إيصال تفاعل دقيق بالهاتف، أو من خلال شخص يرتدى نظارة سوداء ، والسبب فى هذا هو نقص التغذية المرتجعة البصرية لسلوك الشخص الآخر. وتعكس البحوث هذه الصعوبة فى إجراء تمييز وظيفى بين السلوكيات اللفظية وغير اللفظية، وتميل تلك البحوث إلى التركيز على العلاقة بينهما. (***Palmer, 1990&Cappella***)
وسوف نبدأ بمناقشة متعلقة بالدرجة التى تعتبر بها السلوكيات غير اللفظية ضرورية للاتصال وإذن فمن الملائم تحديد القنوات الرئيسية أو أنماط السلوك غير اللفظى باختصار قبل النظر بمزيد من التفصيل إلى المنحى الوظيفى. وسيتم تناول قضية النوع (ذكر / أنثى) والقضايا الثقافية ذات الصلة بكل من السلوكيات اللفظية وغير اللفظية. ويستمر هذا الفصل فى مناقشة كيف تتفاعل السلوكيات اللفظية وغير اللفظية مع المحادثة فى علاقتهما بصورة المقاطعة ومعالجة الخلفية والخداع والتأدب والمكاشفة الذاتية. وأخيراً، سيجرى تطبيق لبعض هذا العمل على التفاعل بين المعالج والمريض .

٢ـ الاتصال فى عالم الحيوان

لقد افترض تشارلز دارون وجود بعض جوانب من السلوك غير اللفظى الانسانى عبر الثقافات، وأنها قد توازى ما هو موجود فى المملكة الحيوانية.
وقد اقترح دارون أنه توجد ست تعبيرات انفعالية عامة تظهر على الوجه الانسانى هى: السعادة، الدهشة، الغضب، الخوف، الاشمئزاز، الحزن، وتعرض الرئيسات ما دون الإنسان على سبيل المثال – سلوكيات غير صوتيه مفصلة ومعقدة ترتبط بمناطق النفوذ والرفقة وهرم الهيمنة. فمناطق النفوذ يمكن أن تكون قريبة الشبه بفكرة الحيز الشخصى لدى البشر الذى سنتناوله لاحقاً فى هذا الفصل.
ويدعي فان هوف ***Van Hooff*** (١٩٦٧) الذى تتبع المغزى النشوئى الارتقائى للابتسام والضحك لدى البشر أن غالبية الرئيسات تعرض أسنان بادية وفم مفتوح مرتخ" تماماً كما يبدو البشر وهم يضحكون (***In : Peinnigton, et al, P. 179***).

وقد يتمثل الفرق الجدير بالأهمية بين البشر والحيوانات فى اللغة التى نمتلكها. فاللغة تسمح لنا بالتفكير والكلام والكتابة عما نراه ونشعره ونتخيله لكى نتمثل العالم الذى نحيا ونتفاعل مع الآخرين. وتملك الحيوانات – بخلاف الإنسان – نظم اتصال ولكنها ليست مفصلة أو متطورة أو مكتسبة فى جزئها الأعظم (***Hockett,*** ١٩٦٠).

وبين اللافقاريات، يبرز رقص نحلة العسل – الذى كان أول من وصفه فون فريش ***Von Frisch*** (١٩٥٤) كنظام مفصل لتوصيل المعلومات عن الاتجاه والمسافة الخاصة بمكان الرحيق أو حبوب اللقاح لأفراد النحل الآخرين

هذه النظرة السريعة على مثالين للكائنات غير البشرية توضح كيف أن السلوك غير الصوتى يمكن أن يعمل كوسيلة للاتصال، وربما يكون وراثياً كمحصلة للنشوء والارتقاء. إن صور التشابه بين الكائنات غير البشرية وخاصة الرئيسات والسلوك الانسانى غير الصوتى موجودة والآن ننتقل إلى موضوع السلوك الإنسانى غير اللفظى وغير الصوتى.

٣- السلوك غير اللفظى

لقد أوصت البحوث فى مجال علم اللغة بأن التفاعل بين شخصين يستلزم وجود ثلاثة جوانب مرسل, الرسالة ، متلقي (أو مترجم) الرسالة (***Weiner, el al, 1972***). فأحد الأشخاص (المرسل) يقوم بتوصيل الرسالة من خلال نظام (الشفرة) الذى يفهمه كلا الطرفين بصورة متبادلة، وهذا ما يفسره الشخص الثانى (المستقبل أو متلقى الرسالة). وقد افترض الباحثون الأول فى هذا المجال أن هذه العملية تتشابه مع الاتصال غير اللفظى. إلا أن ريدلى ***Radley*** (١٩٩٦) اعتبر أن مثل هذا السلوك ضيق ومحدود جداً، ويزعم أن أغلب الدراسات فى الميدان قد تركزت فقط على تفسير السلوك من جانب المتلقى وقد نتج عن هذا بعض الغموض فى تفسير نوايا ومقاصد المرسل تلك النوايا غير الواضحة دائماً، بل وغائبة فى بعض الحالات. والرسائل الشفرية ***codes*** غير اللفظية لم تعرف جيداً، وقد برزت كمعايير اجتماعية وثقافية مشتركة، وملازمة لها بصورة ضمنية فى العادة. وقد تكون إحدى أفضل الطرق للوعى بمثل هذه "القواعد المدونة" هى كسرها أو التعرف بطرق غير متوقعة من جانب الآخرين فى موقف ما. فمثلاً، إذا ركبت أتوبيساً خالياً تقريباً ورأيت شخصاً يجلس فى مقعد مزدوج مع وجود الكثير من المقاعد المزدوجة الخالية اجلس بجانب هذا الرجل الوحيد فى الأتوبيس!

حدد بوسنر ***Posner*** (١٩٨٩) ثلاثة أنواع من السلوك غير اللفظى، هى الاتصال، المعنى أو المغزىوالتبيين ***indication***، وقد اقترح بوسنر أن أى تفاعل تام يتضمن المرسل والرسالة والعلامة ***sign*** والمتلقى. ويمكن تحديد اللغة المنطوقة فى هذا السياق بأن المرسل والمتلقى يشتركان فى نظام شفرة أو إشارة. رغم ذلك، فإن السلوك غير اللفظى لا يتوافق دائماً مع هذه المحطات، كما سنرى فى موضع لاحق من هذا الفصل. ويأتى المعنى ***signification*** عندما يستخدم النظام الشفرى الإشارات التى تطلقها الحركة أو التعبير وليس بالضرورة أن يكون لدى الشخص النية لإرسال رسالة بسلوكه غير اللفظى ولكن يقوم المتلقي بتفسيرها باستخدام النظام الشفرى المشترك. وحتى عندما يحاول الآخرون إخفاء الانفعالات أو الاتجاهات، يمكن أن تتسرب" من خلال القنوات غير اللفظية، التى ليست هى دائماً تحت سيطرة الفرد (***De Paulo, 1992***). أما التبين فيأتى عندما لا يتم إدراك الإيماء أو التعبير ضمن النظام الشفرى. وقد تستخدم مختلف التلميحات والأوضاع والجسمية والتعبيرات لإيصال انطباع محدد ولكن بدون نظام شفرى مشترك، ومن غير المحتمل أن يكون له أى تأثير فى المتلقى. وعلى ذلك، فمصطلح السلوك غير اللفظى سوف يستخدم خلال هذا الفصل بدلاً الاتصال غير اللفظى.

ومن الملائم تحديد القنوات غير اللفظية الرئيسية، ولكن من الأهمية بمكان تذكر أنه من النادر وجود قناة بمعزل عن الباقية. ومن المهم كذلك الاعتراف بأن بعض الإشارات ***cues*** غير اللفظية أكثر بروزاً وإعطاء للمعلومات من الأخريات. فمثلاً فى التفاعل اليومى الطبيعى نحن أكثر أحتمالاً لأن نقض وقتاً فى النظر إلى منطقة الوجه لشخص ما وخاصة العينيين أكثر من النظر إلى قدميه! كما يحدد السياق وطبيعة التفاعل الإشارات التى قد تدفع إلى الانتباه. فمثلاً، لا تسمح المحادثات الهاتفية إلا باستخدام إشارات لغوية متوازية، لهذا ينصرف الانتباه إلى نغمة الصوت، وهذه ترتبط من ثم بوقت المحادثة مصور التوقف اللحظى فيها.

اساليب الاتصال غير اللفظى

١ –النظرة والتقاء العيون:

غالباً ما يتم اعتبار النظرة وإلتقاء العين من الأنماط ذات الأهمية فى الاتصال غير اللفظى. ويمكن تعريف النظرة ***gaze*** بأنها تحدث عندما ينظر المرء إلى آخر فى منطقة العينين، سواء كان الشخص الآخر يلتفت إليه أم لا. ويحدث إلتقاء العين ***eye Cantact*** عندما ينظر كلا الشخصان بصورة متبادلة إلى منطقة العينين. وهذا يمكن من تلقى الشخص الآخر العلامات غير اللفظية – وخاصة التعبيرات الوجهية وتصل إليه الرسالة (***Argyle, 1994***). ويمكن تفسير (أول شفرة) المستوى العالى من إلتقاء العيون على أنه علامة على الحب أو الحميمية (***Kleinke, et al 1986***). والنظرة المستمرة – التى قد تحدث بصرف النظر عما نفعله أو نريده، يمكن تعريفها "تحديق بارد" ، ويتم تفسيرها غالباً لحاجة إلى الهيمنة. وقد وجد دوفيديو وزملاؤه ***Dovidio, etal.*** (١٩٩٨) أن معدل إلتقاء العين يرتبط بالمكانة والهيمنة. وفى سلسلة من الدراسات التى تبحث العلاقة بين الهيمنة البصرية والقوة الاجتماعية، وجد دوفيديو وزملائه أن الناس المهيمنين – بصورة عامة – ينظرون وهم يتحدثون، بينما ينظر الناس من ذوى المكانة المنخفضة أكثر وهم يستمعون. ويستخدم النظر وإلتقاء العيون كذلك فى الحديث المتزامن – وخاصة فى توزيع حق الكلام – أى عندما يأخذ الشخص حق الكلام. ومن ثم يتكلم..

Figure 110 *The social gaze*

Figure 109 *The business gaze*

٢- التعبيرات الوجهية

نظرا لأن - التعبيرات الوجهية لغة عالمية فان تعبيرات معينة تكون سهلة الإدراك كعلامات على انفعالات محددة (***Russell, 1996&Carroll***). وفى التفاعل اليومى، نرصد بصورة مستمرة الحالة الانفعالية وردود أفعال الآخرين. وقد وجد أن الحالات الأساسية التى يكمن التعرف عليها على المستوى العالمى، وهى السعادة، الخوف، الدهشة، الحزن، الغضب، الإشمئزاز (***Ekan, et al., 1987***). وقد فرقت الدراسات التالية بين الاشمئزاز والازدراء والأخيرة وجد انها عالية كذلك (***Izard,*** ١٩٩٤). ومع ذلك، فكثير من هذه الأبحاث كان تجريبياً ومعملياً يقوم على ظروف تجريبية صارمة الضبط. وقد انتقد كارول وراسل ***Russell&Carroll*** (١٩٩٦) هذا النمط من البحوث بإعتباره مفرط التبسيط، حيث أنه أخفق إخفاقاً فى تحديد السياقات الموقفية. وفى السياق التجويبى التقليدى، يستقبل القائم بالملاحظة صورة فوتوغرافية للتعبير الوجهى بالتوازى على الموقف الذى يتم وصفه لفظياً. ومن ثم يطلب من القائم بالملاحظة الاختيار من بين قائمة معدة سلفاً للإنفعالات المحتملة، تلك القائمة التى يختارها الباحث. وهذا الوضع يخلق طريقة الاختيار المقيد ويستبعد المعنى النوعى لذلك التعبير بالنسبة للقائم بالملاحظة فى علاقته بالموقف. وقد اعترف كارول وراسل بأن التجارب المعملية لديها القدرة على الاستبصار بما يمكن أن يحدث، ولكنها فى حاجة إلى أن تكون مكملة للدراسات التى توضح ما يحدث فعليا فى الحياة اليومية للمبحوثين. وقد أجريت محاولة لتحديد الدلائل على طريقة الاختيار المقيد فى دراسة حديثة أجراها روزبنرج وإيكمان ***Ehman&Rorenlery*** (١٩٩٤) فقد طلبا من المشتركين فى الدراسة أن ينظروا إلى شرائح عليها صور لغرباء يظهرون مختلف العبيرات الوجهية. وبعد ذلك طلب من المشتركين أن يحددوا نوع التعبيرات على النحو لتالى: (أ) إختيار واحد من سبع مسميات زودها بهم الباحث (ب) أحد سبع قصص تم تزوديهم بها كذلك (جـ) إعطاء وصف من عندهم للإنفعالات الذى رأوه. وجدت عالية من الدقة، بصرف النظر عن الأحكام التى صدرت.

و تشير البحوث المبكرة إلى إعطاء الانطباع بأن التعبيرات الوجهية للناس هى ببساطة "كتب مفتوحة يمكن قراءتها". وهذا خطأ لأن القيود والمعايير الاجتماعية تعمل على تنظيم التعبير الانفعالى. فمثلاً، تعتبر الأعراف الاجتماعية أنه من غير المناسب أن يبكى الرجال على ملأ. وبصورة متشابهة، قد تكون متضايقاً من التحدث إلى شخص ما، فمن غير المحتمل أن تعبر عن هذا الشعور – سواء لفظياً أو بصورة – وستنتظر الإشارة المناسبة فى الموقف لإنهاء التفاعل بطريقة مهذبة.

٣- لغة الجسد

لغة الجسد هو مصطلح عام يضم السلوكيات غير اللفظية مثل اللمس، اتجاه الجسم، وضعه، حركات اليدين وإيماءات الرأس. ويعتمد كيفية تفسير اللمس على سياق وطبيعة العلاقة بين الطرفين. وقد قام جونز و ياربرو ***Yarlrough&Jones*** (١٩٨٥) بتحليل ١٥٠٠ إتصالاً جسمياً بين الناس وحدد خمس فئات متمايزة. و تشمل المشاعر ***affect*** الإيجابية، والتى يأتى فى أقصى طرقها الإهتمام الجنسى ذى المغزى، اللعب والضبط (السيطرة) والسلوكيات الطقوسية والمرتبطة بها والأخيرة متعلقة بالوظيفة المهنية، مثلاً عند قياس النبض أو أى فحوص أخرى ضرورية خلال الاستشارة الطبية وقد أضاف بورجون وزملاءؤه ***Burgoon, et al.*** (١٩٩٥) فئتين إضافيين هى: الشعور السلبى، الذى يشمل الدفع الخفيف والإزعاج، والإحتكاك العدوانى مثل الصفع والركل والدفع العنيف ,ويلخص جدول١ هذه الفئات ويعطى أمثلة عليها.

جدول -١: فئات اللمس التى أقترحها كل من ***Yarbrough&Jones*** (١٩٨٥) وبورجون وزملاؤه ***Burgoon, etal***. (١٩٩٥).

الفئات	أمثلة على السلوك
المشاعر الإيجابية	التربيت باليد على وجه شخص آخر
المرح واللعب	التلامس الجسمى فى اللعب
السيطرة	تقييد شخص من يديه
السلوك الطقوسى	تقبيل يد رجل الدين
السلوك المرتبط بالمهمة	عند قياس الطبيب نبض المريض
المشاعر السلبية	دفع شخص ما بعيد باليد
الاحتكاك العدوانى	لكم شخص ما فى أنفه

ويمكن مناقشة وضع ***Posture*** الجسم فى علاقته بوظائفه. وهذه تشمل الأوضاع المتمايزة بين المتفاعلين، والاتجاه الإيجابى أو السلبى والمستوى الانفعالى للتفاعل والإقناع (***Hargie, et al., 1994***). فمثلاً، فى وضع وقفة الشخص ذى المكانة الاجتماعية الراقية يقف فى حالةا رتخاء ويضع يده فى جيبه غالباً، بينما يكون للشخص ذى المكانة الاجتماعية الاقل وضعاً أكثر جموداً وأستقامة. يمكن إيصال الاتجاه الإيجابى نحو الشخص وموضوع المحادثة بالميل إلى الأمام بدلاً من الميل إلى الخلف. وقد لوحظ مبكراً أن التعبير الوجهى يوضح انفعالات معينة ولكن وضع الجسم يقوم بتوصيل شدة ذلك الانفعال. فمثلاً، وجد فيش وزملاءه ***Fisch, et al.*** (١٩٨٣) أن وضع الجسم مؤشر ذو مغزى عند التفريق بين المرضى شديدى الاكتئاتب وأولئك الذين يتماثلون للشفاء خلال المقابلات مع الطبيب.

ويمكن تمييز الإيماءات ***gestures*** وظيفياً بتلك التى ترتبط بكلام والإيضاحات وتلك الموجهة نحو الذات (***Rime, 1991&Feldman***). ويقصد من الإيضاحات الاتصال، بينما قد تفسر الإيماءات الموجهة للشخص الآخر على أنها علامة على التوتر أو التحرر من التوتر. فمثلاً، تحريك يديك مع عصرها هى علامات على كل من العصبية والقلق. وقد لاحظ هاريجان وزملاؤه ***Harrugan etal*** (١٩٩١) أنه كلما زاد عدد السلوكيات الصادرة عن جزء من الجسم التى تتلاقى مع بعضها، كلما دل ذلك على مستوى مرتفع من الإستثارة أو العصبية التى يشعر بها الشخص، مثل تدليك الأذن بإستمرار بين الإبهام والسبابة.

أما الظاهرة المثيرة التى كشف عنها عدد من الباحثين فهى الإنسجام الوصفى ***Posturacl congruence*** (***Bull,*** ١٩٨٣). ويتم هذا عندما يعرض طرفاً التفاعل نفس الوضع فى نفس الوقت وكأن أحدهما إنعكاساً فى المرآه للآخر. وقد أقترح الباحثون أن ذلك محمل الحدوث الإيجابى ويساعد فى إقرار صلة وئام بين الشخصين. ويمكن لوضع الجسم المتزامن والحركات المتزامنة أن تأخذ الصيغة الوظيفية أيضاً. فقد أجرى لين ومينير ***Mynier&Lynn*** (١٩٩٣) تجربة ميدانية فى المطاعم

وبمقتضى التجربة اتفقا مع النادلين والنادلات أن يأخذوا إما وضع القائم او الجالس قرب العملاء عند تلقيهم للأوامر من العملاء. وفى حال الجلوس يكون إلتفاء العين أكثر احتمالاً لمدة أطول ، ولهذا وضع الباحثان فرضاً مؤداه أن الذين يتخذون هذا الوضع سيحصلون على بقشيش أكثر. وقد أكدت النتائج ذلك بصرف النظر عن كون الخادم ذكراً أو أنثى. رغم ذلك، فالفرق العام بين الجنسين كان واضحاً ومؤداه أن الخدم (الذكور) تلقوا بقشيشاً أكثر من الخادمات (الإناث).

وتحدث حركات (إيماءات) الرأس بصورة متكررة عندما ينهمك شخصان فى محادثة، وهى تفيد كتغذية مرتجعة للمتحدث، وتوضح على سبيل المثال ما قد فهمه الشخص الآخر أو وافق عليه، كما أن هذه الحركات تعطى تدعيماً للمتحدث ان يستمر. ويمكن أن تستخدم حركات الرأس كذلك لتوضح للمستمع أن الدور قد جاء عليه ليتحدث.

٤- الحيز الشخصى

يشار إلى دراسة الحيز الشخصى غالباً بأنها دراسة التقارب ***Proxemics*** إنه المجال ذو الحدود غير المتطورة التى تحيط بجسم الشخص حيث يصعب على المتطفلين تجاوزه. والمتغير الحاسم هو ما يفسر على أنه تطفل، حيث يحدد هذا ما إذا كما نشعر بأن حيزنا الشخصي قد انتهك. وفى دراسة مبكرة أجراها هول ***Hall*** (١٩٩٦) ، اتضح أن المسافة بين المتفاعلين يمكن تصنيفها فى أربع مناطق رئيسية، وهذا يعتمد على طبيعة العلاقة والغرض من التفاعل . ويمثل جدول ٣-٢ هذه المناطق.
ومن الأهمية بمكان أن نأخذ فى الحسبان الفروق فى المكانة بين المتفاعلين. فقد وجد زان ***Zahn*** (١٩٩١) أن الناس ذوي المكانة المتساوية يميلون إلى جعل المسافة قريبة بين بعضهم بعضاً أكثر من الناس ذوي المكانة المختلفة فمثلاً، من غير المحتمل أن يقترب الشخص ذو المكانة المنخفضة من شخص ذى مكانة مرتفعة بنفس درجة القرب بين شخصين من نفس المكانة. وقد ينتج عن إنتهاك الحيز الشخصى تهديد بإستجابة عنيفة، او بمستويات متفاوتة من القلق.

Figure 9 *Zone distances*

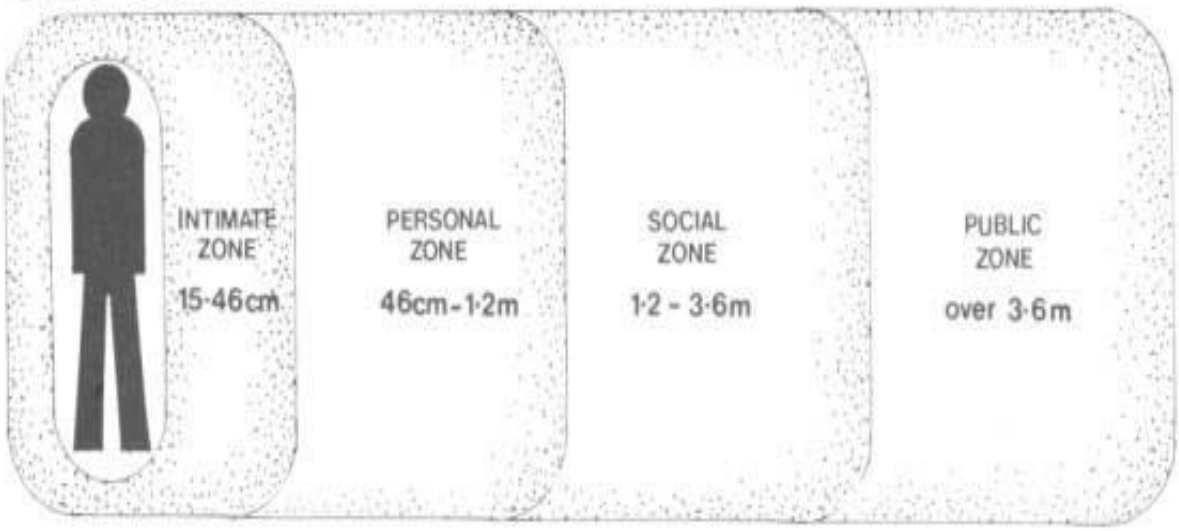

جدول -٣ : المناطق الرئيسية للحيز الشخصى (عن هول ١٩٩٦)

المنطقة	الوصف
المنطقة الحميمية	تتسم فيها العلاقة والتفاعل والحميمة وتمتد من خمسين سنتمتر فأقل.
المنطقة الشخصية	وتتم فيها العلاقة الشخثية، أى بين الأصدقاء وتمتد من خمسن سنتيمتر إلى متر واحد.
المنطقة الاجتماعية	إن المسافة من ٢-٣ متر مناسبة للتفاعل مع زملاء العمل أو إتمام المهام بينهم .
المنطقة العامة	المتحدثون فى مناسبات عامة يقفون على مسافة من ٣-٤ متر تفصلهم عن المستعملين.

وقد أوضح كل من جارفنكل ***Garfunkel*** (١٩٦٤) وفيليب وسومر ***Sommer&Felipe*** (١٩٩٦) آثار إنتهاك الحيز الشخصى فى سلسلة من التجارب الميدانية. فقد قام هؤلاء المجربون بإنتهاك الحيز الشخصى فى أماكن عامة مثل المكتبات ومقاعد المتنزهات ، ووجدوا أن الناس يظهرون الحرج والارتباك فى تعبيراتهم الوجهية. فمثلاً، الجلوس بجوار شخص ما رغم وجود مقاعد خالية فى المتنزه يجعل هذا الشخص يقوم بأحد أمرين إما النهوض أوالانتقال بعيداً عن المكان. (***Pennington, et al., 1991, P. 187***).

-٥- اللغة الموازية *Paralanguage*

يشار بصورة عامة إلى اللغة الموازية على أنها ما يبقى بعد طرح المحتوى اللفظى من الكلام. فاللغة الموازية ليست ما تقوله، ولكنها الطريقة التى تقول بها كم مرة سمعت عن هذا أو قلته انت لنفسك.

إن الجوانب الموازية للغة من الكلام تشمل (نغمة الصوت، الشدة، الوقت والوقفات). وتشمل النغمة الانفعالية للصوت، اللهجة، اخطاء الكلام (مثل التأتأة، الثأثأة.... الخ). والسرعة التى يتحدث بها الشخص غالباً ما تفسر على أنها علامة على القلق، إذا كان الكلام سريعا جداً. والناس الذين يعانون من صعوبات فى الكلام مثل التمتمة أو الثأثأة او الكلام الذى يصعب فهمه بعد تعرضه لسكتة دماغية غالباً ما تجعل الطرف الآخر المتحدث "الطبيعى" غير الحساس محبطاً. والأخير غالباً ما يقاطع أو يحاول إتمام ما بدأ الشخص الآخر فى التكلم فيه اخيراً، فنحن غالباً ما ننمط الناس الذين يتكلمون بطريقة غير معتادة وخاصة شديدى البطء او ذوى الصوت السطحى على أنهم أقل ذكاءً. قد يكون لجوانب الكلام التى يطلق عليها اللغة الموازية آثار درامية على التفاعل الإجتماعى والتصنيف الاجتماعى.

- بعض القضايا الثقافية المرتبطة بالسلوك غير اللفظى

فى مراجعة للتراث البحثى وجد هول ***Hall*** (١٩٨٤) عدداً من الفروق المتسقة بين الجنسين فى السلوك غير اللفظى. فمثلاً، تميل النساء إلى الابتسام والنظر إلى الآخرين فى التفاعل الاجتماعى أكثر من الرجال فى العادة. وتفسير هذه النتائج متضارب عام التضارب، لأن الابتسام يفترض أن يكون جزءاً من الدور الأنثوي. وأوضح دويتش وزملاؤه ***Deutsch, et al*** (١٩٨٧) أن النساء اللائى لا يبتسمن قد حصلن على تقييمات سلبية، فقد تم تقديرهن على أنهن أقل سعادة وأقل أسترخاء سواء بمقارنتهن بالرجال او بالنساء الأخريات المبتسمات. وهذا يفترض أنه كمعيار اجتماعى أن تبتسم النساء، وأن الناس سيتفاعلون بسلبية عندما تخفق الناس فى أداء الدور الأنثوى "المعيارى" المنوط له وهو الابتسام. والنساء أكثر إراحة كذلك من الرجال فى التفاعلات البين شخصية الوثيقة.

وعلى نقيض النظرة ***gaze*** وفيما يتعلق بإلتقاء العين، اتضح أن الهيمنة البصرية أى: الانخراط فى مستويات عالية من التقاء العين ترتبط بالقوة. وقد يتوقع أن الذكور أكثر هيمنة من الناحية البصرية فى تفاعل إجتماعى يكون طرفاه ذكر وأنثى. وقد بحثت دوفيديو وزملاؤها ***Dovidio, et al*** (١٩٨٨) هذه العلاقة عندما قسمت طلاب الجامعة إلى زوجين مختلطين طالب وطالبة وطلب من كل زوج مناقشة ثلاثة موضوعات بالتتابع. كان السيناريو الأول عبارة عن موقف طبيعى تتساوى فيه قوة الأدوار، وتضمن الموضوع الثانى. إعطاء أحد الزوجين نقاطاً إضافية بحيث يكون دوره أكثر قوة.

وفى الظرف التجريبى الثالث كانت الأدوار معكوسة. أوضحت النتائج أنه بالنسبة للمجموعة الضابطة، نظر الذكور إلى زميلاتهم فى التجربة مدة أطول خلال الحديث، بينما نظرت الطالبات أكثر خلال الاستماع، وهذا يعكس المكانة المتفاوتة المفترضة بين الرجال والنساء، عندما تم تحديد النساء فى دور أكثر قوة فى التفاعل، نظرت أكثر من الرجال عند التحدث، بينما نظر الرجال أكثر وهم يستمعون. علاوة على ذلك، عندما وضعت النساء فى وضع القوي اجتماعياً أصبحن أكثر هيمنة بصرية فى الأزواج التى تضم كلا الجنسين .
(عن : ***Dovidio*** ,***et al*** . , ١٩٨٨)

وقد وجد هول وفيشيا ***Vecia&Hall*** (١٩٩٠) أن النوع (ذكر / أنثى) والعمر يتفاعلان لإظهار الفروق فى سلوك اللمس. فبالنسبة للأزواج من الشباب يكون الذكور أكثر قليلاً للمس من الإناث فى البداية، ولكن مع اضطراد العمر – وخاصة بعد الأربعين – تنعكس الصورة حيث لوحظ أن الإناث هن اللاتى يبدأن باللمس أكثر وقد حاول هول (١٩٩٦) تفسير هذه النتائج فى علاقتها بثبات العلاقة. فبالنسبة للأزوج الشباب، فمن المحتمل أن تكون العلاقة قد استمرت جيداً، لهذا فقد يسود الدور الجنسى التنميطى، حيث يكون استخدام الذكور للمس كعلامة مشاهدة على الاستحواذ ***Possessivencess*** على الذكور الآخرين. وعندما تنضج العلاقة، تحتاج الإناث بالمثل إلى إظهار علاقة مشاهدة على الاستحواذ، الذى يفسره المستوى المتزايد لديهن على اللمس. رغم ذلك عندما ضمت المجموعات العمرية معاً لم تكن هناك فروق إجمالية بين الجنسين.

وقد أيد سميث وأرشر وكوستانزو ***Costangzo&Smith, Archer*** (١٩٩١) نتائج البحث السابق، حيث وجد هؤلاء الباحثون أن النساء أكثر دقة فى فك شفرة العلاقات ***cues***غير اللفظية. وإجمالاً، وجدت البحوث أن الرجال – بالمقارنة مع النساء – أقل مهارة فى إرسال واستقبال الإشارات الدالة على الإنفعال، كما أنهم أقل حساسية للإشارات غير اللفظية. والرجال يبتسمون ويضحكون بصورة أقل ولا يعرضون إلا قليلاً من الإيماءات والتعبيرات الوجهية. كما أن الرجال أكثر احتمالا لتفصيل مسافة أكبر فى التفاعل البين شخصى (***Hall, 1984***). ومن المنظور الأنثوى ، تعتقد هول أنه ينبغى التركيز على صور "العجز" الذكورية هذه لأنها قد تسبب إعاقة للرجال عند إستغلالهم العلاقات الاجتماعية والاحتفاظ بها وقد اعتبرت هول أن السلوكيات ومهارات الاتصال التى تتفوق فيها الإناث يجب ان نعلى من قيمتها فى المجتمع الذى يرتفع فيها الاغتراب والتنافس بإستمرار.

رغم أن التعبيرات الوجهية ترتبط بصورة عامة وشاملة مع انفعالات معينة، فإننا فى حاجة إلى البحث على ما إذا كانت هذه الشمولية تمتد عبر الثقافات. ويزعم جالويس ***Gallais*** (١٩٩٣) بأن التعبيرات الوجهية كقناة إتصال مهمة، من المحتمل وجود قواعد ثقافية وموقفية ملحوظة تتصل بها وقد وجد أرجايل ***Argyle*** (١٩٩٤) أن هذه القواعد المعروفة بإسم قواعد العرض ***Display reules*** واضحة سواء بالنسبة للثقافات أو النوع ***gender***، فمثلاً تشجع النساء على التعبير الانفعالى بصورة عامة، ولكن فى ثقافات حوض البحر الأبيض المتوسط، يشجع كل من الرجال والنساء على ذلك، وفى الثقافات الأوربية والأسيوية يعاق الرجال من التعبير الانفعالى. وفى دراسة مقارنة على الثقافتين الأمريكية واليابانية، وجد ماتسوموتو ***Marsumoto*** (١٩٩٠) أنه عند الحكم على نماذج من الثقافة الأمريكية فقط، تحصل أحكام الأمريكيين على درجات عالية من الدقة بالنسبة للإنفعالات السلبية.

وفى علاقة بهذا الموضوع، لاحظ هوج وفوجهان ***Vaughan&Hogg*** (١٩٩٥) كذلك أنه يتم تنشئة اليابانيين على التحكم فى التعبيرات الوجهية المتعلقة بالإنفعال السلبى. وهم يستخدمون الابتسام أو الضحك للتغطية على الغضب أو الحزن. وتتسق هذه النتائج مع معايير المجتمعات الجماعية، التى تعد اليابان أحدها. وتحاول المجتمعات الجماعية جاهدة تحاشى الصراع وتحقيق استراتيجيات إنقاذ ماء الوجه بأى ثمن (***Kitayama, et al***). وفى إعادة لتحليل الدراسات عبر الثقافة الخاصة بالتعرف على التعبيرات الوجهية للإنفعالات، وجد سشيماك ***Schimmack*** (١٩٩٦) أن البيض (القوقازيين) يتعرفون بصورة أفضل على الانفعالات من غير البيض. ويمكن إرجاع الأخطاء المنهجية بوجود مجموعة من المثيرات المتميزة ثقافياً فى الدراسات وقواعد العرض التى اعتبرها أرجايل من قبل أكثر جموداً فى ثقافات البيعة (***Friesesn, 1972&Eknan***).

وفيما يتعلق بالإيماءات، فبعض الرموز التى تعرف كإيماءات تستخدم لتحل محل الكلمة المنطوقة او ترمز لها – تفهم ثقافياً، بينما توجد رموز أخرى تحدد بثقافة نوعية. وقد أوضح موريس وزملاؤه ***Morris, et al.*** (١٩٧٩) هذا عندما قاموا بتحليل كيفية استخدام ٢٠ رمزاً مستخدمة فى أوربا الغربية والجنوبية ومنطقة حوض البحر المتوسط. وهناك مثال آخر على الفروق الثقافية يتمثل فى الإيماءة الجانبية من الرأس، وتعنى "كلا" فى الهند. وفى تركيا، يتم التدليل على "لا" بتحريك الرأس للخلف وتحريك العينين لأعلى. وعلى ذلك، يبدو ان فك شفرة السلوكيات غير اللفظية عبر مختلف الثقافات يمكن أن تمثل مشكلة تماماً مثل فك شفرة التعبيرات الوجهية. (***Pennington, et al.,*** ١٩٩١, ***P.191***) وقد ميز الأنثروبولوجيون الثقافات المتصلة بالعالم مثل ثقافة شمال إفريقيا والثقافات غير المتصلة بالعالم مثل أوربا والهند وأمريكا الشمالية (***Argyle, 1994***). وبصورة متشابهة، توجد فروق

ثقافية فى التوجه والمسافة فى العلاقة البين – شخصية. فالأوربى أو الأسيوى الذى يتفاعل مع عربى أو أمريكى قد يشعر بعدم الارتياح بسبب شعورهم بأن حيزهم الشخصى قد انتهك.. وفى مثل تلك المواقف، من المحتمل أن يرجعوا للوراء لتعويض الحيز الشخصى، إلا إذا وجدوا ان الشخص الذى يتفاعلون معه سيعود للاقتراب منهم وقد اقترحت هول ***Hall*** (١٩٩٦) أن هذا قد يكون عائداً لكون الأمريكيين اللاتينيين وسكان جنوب البحر الأبيض المتوسط يعتمدون أكثر على معلومات اللمس والشم، بينما يعتمد البريطانيون أكثر على الإشارات البصرية.

أما البحوث اللاحقة عن المسافة البين شخصية – حيث تم ملاحظة التفاعلات فى سياقات طبيعية فى إنجلترا وفرنسا وإيطاليا واليونان وسكوتلانده وأيرلندا، فقد وجدت أنه بالنسبة للأزواج (ذكر وأنثى) فى أيرلندا وسكوتلاندة، كانت التفاعلات أكثر قرباً مقارنة بالتفاعلات فى فرنسا وإنجلترا وإيطاليا واليونان (***Remland, et al., 1995***). وهذا يدحض نتائج هول (١٩٩٦) التى أقامت تمييزاً بين الثقافات المتصلة بالعالم وتلك غير المتصلة، وعلى ذلك يمكن التنبؤ بأن اليونانيين والإيطاليين يقفون أقرب من الثقافات غير المتصلة بالعالم مثل إنجلترا وأيرلندا وسكوتلاندة وهولندة.. وهناك متغيرات أخرى لا يمكن التحكم فيها فى الدراسات الميدانية مثل العلاقات بين المتفاعلين وموضوع المحادثة وشخصية الأفراد هى على قدر أهمية المعايير الثقافية إن لم تزد عليها أهمية. كذلك قد يتمثل الأمر فى أن المعايير الثقافية تتغير ببساطة، وقد يكون ذلك انعكس من خلال الفرق الزمنى بين الدراستين، وهو حوالى ٣٠ سنة تقريباً.

وظائف السلوك غير اللفظى

فى مستهل هذا الفصل تناولنا بإيجاز الوظائف المختلفة التى يقوم بها السلوك غير اللفظى بالنسبة للفرد والآن سنلقى نظرة على هذه الوظائف بشئ من التفصيل.

-١- تنظيم التفاعل

تتعلق وظيفة تنظيم التفاعل بدور السلوك غير اللفظى فى المساعدة على جعل المحادثة تنطلق بسلاسة وبطريقة مرتبة. وقد تم تحديد عدد من الأنماط العامة المرتبة بسلوكيات المتحدث والمستمع. وقد وجدت الدراسة المبكرة التى قام بها كندون ***Kondon*** (١٩٦٧) وأستخدم فيها نظام الكتابة بالصور وتضمنت تحليل إطار ***Frame*** لمحادثة بين شخصين –فقد وجد انه خلال فترة الكلام الطويلة (٥ ثوان أو أكثر)، ينظر المستمع إلى المتحدث، ولكن المتحدث ينظر بعيداً عنه، وخاصة عندما لا يكون واثقاً من محتوى الكلام. وعندما يود المتحدث إنهاء كلامه، ينخرط فى إلتقاء العين التى تفسر على أنه يعطى الإشارة للمستمع بالكلام. وهذا يؤدى إلى أن ينظر المتحدث الجديد بعيداً عن المتحدث الذى سبقه بينما ينظر الأخير إلى المتحدث الجديد.

وفى بحث لاحق أجراه دونكان وفيسك ***Fiske&Duncan*** (١٩٧٧) تم تحديد علامات أخرى تدل على استعداد المتحدث لتسليم زمام الحديث للطرف الآخر وتضم هذه العلامات خليطاً من الإشارات اللفظية وغير اللفظية وتضم رفع أو خفض طبقة الصوت عند نهاية آخر عبارة وانقطاع الإيماءات وانخفاض حدة الصوت كما وجد دونكان وفيسك أنه إذا استمر المتحدث فى استخدام حركات اليدين فإنه يتجاهل فى الحقيقة محاولة المستمع ليأخذ الحق فى الكلام وتتميز عميلة الانتقال العامة من المستمع الى المتحدث بايماء مضطرد وأخذ شهيق مسموع وارتفاع كبير فى البنود القليلة الأولى من الكلام وكل هذه العلامات غير اللفظية تأتى معاً لتسهيل الانتقال السلس من متحدث لآخر فى التفاعل الاجتماعى اليومى.

-٢- التزويد بالمعلومات

ترتبط الوظيفة المعلوماتية بكل من ارسال الشفرة وحلها وبالإشارة الى عملية فك الشفرة أولاً يتضح من المناقشة المتعلقة بالقنوات الفردية التى تؤخذ فرادى فإن لها قيمة معلوماتية للمشاهد ولا تفسر التعبيرات الوجهية فقط على أنها تعبيرات على الانفعال عبر أرجاء العالم بل إن الإشارات الصوتية مثل طبقة الصوت والارتفاع ووتيرة الكلام يمكن أن تستخدم كذلك فى تحديد الحالات الانفعالية النوعية بدقة ملحوظة وإذا أخذنا كل ذلك معاً فإن مستوى الدقة سيرتفع كثيراً.

وقد قام كل من وولبرت وشير ***Scherer &wallbott*** (١٩٨٦) بتنويع الوسيلة التى يتم التعبير بها عن الانفعالات وقد وجدوا أن دقة فك رموز الرسالة كانت أعلى بصورة عامة عندما يكون الملاحظ قادراً على استخدام مزيج من العلامات السمعية والبصرية أو القنوات البصرية فقط مقارنة باستخدام القنوات السمعية فقط وتوضح هذه النتائج أهمية التفاعل البصرى وقد تم بحث الوظائف النوعية للنظر والتقاء العين بصورة جيدة ولكن تركز على مدى العلامات الاجتماعية المتاحة التى يتم الحصول عليها من كون الشخص قادر على رؤية الشخص الآخر عند التفاعل معه حيث يمثل هذا قيمة معلوماتية (***Rutter, 1984)*** وقد تنبأ روتر ***Rutter*** بأنه كلما كان عدد العلامات (الإشارات) الاجتماعية غير اللفظية المتاحة منخفضاً (ندرة العلامات) فلابد أن تتسم المحادثة بالطابع غير الشخصى المتمركز حول المهمة.

ويمكن ملاحظة أثناء ندرة العلامات فى البحث الذى أجراه روتر مع روبنسون ***Robinson&Rutter*** (١٩٨١) حيث قارنا دروسا خصوصية فى الجامعة المفتوحة تتم إما وجهاً لوجه أو عبر الهاتف وتركزت الدروس الخصوصية فى كلا الظرفين التجريبيين على المهمة واتسمت بالطابع غير الشخصى ولكن تميزت دروس الهاتف بمواد تسعى الى إسهامات وإجابات من الطلبة كذلك كان أسلوب المحادثة أقل تلقائية وأكثر تنظيماً فى دروس الهاتف.

وبينما تندر البحوث التى ربطت مباشرة الوظيفة المعلوماتية بعملية إرسال الرسالة فهناك نظرية يمكن تطبيقها هى نظرية إدراك الذات لبيم (***Bem,*** ١٩٦٧) ***Bem's self – perception theory*** .

تذكر هذه النظرية أن ألأفراد يستخدمون سلوكهم لعمل صور من العزو نحو مشاعرهم واتجاهاتهم نحو الآخر وهم يلاحظون سلوكهم ويستخدمونه كمؤثر على مشاعرهم وأحكامهم فمثلاً قد يستخدم على المعرفة التى مفادها أنه ابتسم ونظر نظرة طويلة إلى عزة ويستدل من هذا أنه يستلطفها (إننى أبتسم لعزة وعلى ذلك لابد أننى معجب بها)

٣- التعبير عن الحميمية

تعد الحميمية مفهوم مركزى عند تحليل السلوك غير اللفظى فى التفاعلات الاجتماعية وفى ضوء مزج عدد من القنوات اللفظية اقترح أرجايل وديـن ***Dean&Argyle*** (١٩٦٥) نموذج التوازن) ***equilibrium model*** ويزعم هذا النموذج أنه عندما يؤخذ ما يلى معاً : المسافة بين المتفاعلين ومستوى النظر والابتسام ومستويات الحميمية فى المحتوى اللفظى فمن الممكن تنظيم مستوى الحميمية المطلوب وإذا لم يكن المستوى الإجمالى للحميمية ملائماً أو غير مريح لأنه من المتفاعلين على أى من هذه ألأبعاد السلوكية فمن المحتمل أن يحدث تعويض فى بعد آخر من هذه الأبعاد ويمكن استجلاء هذا بتذكر موقف وجودك فى مصعد مزدحم من المحتمل أن تشعر بعدم الارتياح نتيجة القرب المفرط المفروض عليك مع أناس آخرين غير مألوفين لك ويحدث التعويض من خلال تحاشى التقاء العيون وبإدارة رأسك بعيداً إلى أسفل عادة لتنظر الى الأرض وأعلى ناظراً الى السقف .

قام باترسون ***patterson*** (١٩٩٠) بمراجعة لعدد كبير جداً من الدراسات التى تناولت تزايد مستوى الاتصال غير اللفظى بتزايد حميمية العلاقة وقد أجريت أغلب البحوث على أزواج من ذكور وإناث أظهرت مجموعة من الأمور هى تقلص المساحة فى التفاعل وتزايد مرات اللمس وتزايد النظر المتبادل كانو كاس للحميمية.

(In : penningtiom et al 1999, P. 194))

٤- الضبط الاجتماعى

يمكن النظر الى الضبط الاجتماعى فى ضوء : السيطرة والخضوع ، الاقناع والمطاوعة واستخدام الإنطباع وسوف نلقى نظرة سريعة على كل واحد من أنماط الضبط هذه:

السيطرة والخضوع : يعتقد أرجايل (١٩٩٤) أن السيطرة أو القوة تتبدى فى الاتصال بعدم الابتسام وتقطيب الوجه والوقوف فى مكان أعلى وتمديد الصدر والأيدى على الجانبين وإصدار إشارات إيمائية ولمس الخصم دون أن يلمسه والحملقة الطويلة فيه ,وعلامات السيطرة أو التوكيدية مهارة اجتماعية

مهمة وقد أوضح كالما ***kalma*** (١٩٩٢) أنه فى حضور جماعة من ثلاثة أفراد ، فإن القائد الذى يسيطر هو الذى يتحدث وهو يعطى نظرة طويلة نحو فرد من هذه المجموعة.

وقد حصلنا على نتائج متضاربة من الدراسات التى تتناول إعطاء الرسائل ولكنها توحى بأن المكانة المرتفعة تسمح بمرونة أكبر فى عدد إشارات التفاعل غير اللفظى التى يكون الشخص قادراً على إصدارها، وعلى الجانب الآخر لا يكون لدى الأفراد ذوى المكانة المنخفضة الفرصة للقيام بهذا ويضطرون الى أخذ الإشارات من الشخص ذى المكانه الأعلى.

الإقناع والمطاوعة :أوضحت الدراسات على أن الطلبات البسيطة بالمساعدة – مثل الإحسان أو علامات التوسل تكون اعلى إذا زادت النظرة وقل الإتصال مصحوباً بقرب فيزيقى شديد عند الطلب(***batterson*** , ١٩٨٧) ويفسر باترسون هذه النتائج على أنها نتيجة الإنخراط المرتفع لطالب المساعدة ، مما يؤدى الى إدراكه بأنه جذاب وبصورة بديلة ، يمكن إدراك هذا الانخراط على إنه سيطرة ، ما يسبب الشعور بالتهديد للشخص المعنى ويمكن أن ينتهى الوقت بالإذعان للطلب.

استخدام الانطباع ***Impression management*** : إن استخدام السلوك غير اللفظى فى خلق انطباع ما هوإلا أمر شائع فمثلاً يتم تقييم اللذين تجرى لهم مقابلة وينظرون مطولاً ويبتسمون ويحركون رؤوسهم يتم تقييمهم بصورة إيجابية والإبتسام مهم بصورة خاصة عندما يحاول الشخص إيصال انطباع ايجابى فمثلاً إذا كنت تحاول إما أن تبدو مؤدباً وتخفض الانفعال السلبى أو تكون مداهناً أو تحاول إبداء بعض الإهتمام بشخص ما ، ابتسم أكثر.

٥ – تمثيل الهوايات والصور:

بالاعتماد على عمل قام به جوفمان ***Goffman*** (١٩٧٢) عن المنحى الدرامى التراجيدى ، اعتبر باترسون ***pattersen*** (١٩٨٧) أننا نستخدم الأنماط التمثيلية لخلق هوية أو كيان مفضل أو متخيل لدى ملاحظ يمثل طرفاً ثالثاً. وقد وصف جوفمان ذلك على أنه آداءات ***performances*** تكون موجهة نحو طرف أو الى الحضور بصورة أوسع. أو قد تكون كذلك تمثيلاً للذات أو مصممة لخلق صورة مفضلة للعلاقة ويزعم باترسون (١٩٨٧) أنه قد يكون تعاون الطرف الآخر توظيفاً لكلا الطرفين لدعم علاقة معينة. فمثلاً ، الزوجان المنخرطان فى جدال يصل لحد الشجار ووصل الى مستوى اجتماعى يضم أصدقاء لهما قد يعطيان ايحاءا بالإنسجام كزوجين. ولكى يؤديا هذا الدور فإنهما يظهران علامات مبالغ فيها على الحميمية. وعلى هذا يمكن لأنماط التمثيل أن تظهر مستويات مرتفعة بصورة مبالغ فيها أو منخفضة على هذا النحو من الانشغال بالطرف الآخر لإعطاء صورة أو هوية محددة للمشاهد وهذا جانب يوضح كيف أننا نستخدم السلوك غير اللفظى لإعطاء الإنطباع الذى نود أن يأخذه الآخرون عنا.

٦-استخدام الوجدان

الحرج : هو شعور (أو وجدان) سلبى شائع وعندما يكون منتظراً فى التفاعل تنشط أساليب التجنب ؛ مثل تجنب النظر وتزايد الحركات والإبتسامات الإيمائية أما الوجدان الإيجابى فغالباً ما يتضح بتزايد اللمس فمثلاً النجاح غير المتوقع أو السعادة الشديدة أو كسب يناصيب بمبلغ كبير غالباً ما يصاحبه العناق والقبلات وتزايد الإبتسام والضحك والنجاح فى الأنشطة الرياضية ما يتبعه زيادة فى اللمس بين أعضاء الفريق والظهور أمام العامة بمظهر الحميمية والأنماط الطقوسية من اللمس تكون مشتركة غالبا بين الفرق المتنافسة مثل المصافحة التهنيئية وتبادل قمصان اللعب بعد المباراة.

٧ – تسهيل الخدمة و أهداف المهمة

تتضح هذه الوظيفة فى صور تبادل الخدمة المهنية كما فى مواقف التعامل مع الأطباء وأطباء الأسنان ومصففى شعر النساء فى تلك المواقف تكون المسافة فى التفاعل بين الطرفين صغيرة وتزايد اللمس و التمعن المكثف بالنظر أمور شائعة, هذا المستوى المرتفع من الانخراط هو جزء ضرورى فى الخدمة المقدمة للعميل أكثر من عناصر العلاقة الشخصية وغالبا ما تتبع السلوكيات غير اللفظية "نظاما"مسبقا أو مجموعة من المعايير المهنية وقد تكون السلوكيات غير اللفظية منحصرة فى أهداف المهمة. وكلما كان الإختيار من بين السلوكيات غير اللفظية المتاحة ضئيلا من مثل هذه السياقات كلما حددت شخصية الفرد اختيار الوظيفة فمثلا الانبساطيون هم أكثر استعدادا من الانطوائيين لاختيار العمل الذى تكون فيه المسافة فى التفاعل بين الأشخاص صغيرة وإمكانات النظر عالية .

٦–تفاعل السلوكيات اللفظية و غير اللفظية فى المحادثة

١-صور المقاطعة وإدارة دفة الحديث

إن وجود صورة من التناوب فى الحديث أمر ضرورى حتى تتدفق المحادثة بين شخصين أو أكثر بسلاسة وقد تم مناقشة دور العلامات غير اللفظية فى التبادل السلس للحديث فى موضوع سابق من هذا الفصل و ما يبقى هنا مرتبط بصور المقاطعة اللفظية وما يتصل بها من أمور وغالباً ما يتم تحديد صور المقاطعة على نحو خاطئ. وفى الواقع هى تدخل من جانب الطرفين فى المحادثة وعادة ما يتضمن التناوب فى الحديث لحظات قصيرة من الصمت بين المتحدثين ولكن غالباً ما يحدث التدخل إذا بدأ المتحدث الثانى فى الحديث تلقائياً قبل أن يتوقف المتحدث الأول وغالباً ما يعرف هذا النمط من السلوك على أنه مقاطعة بينما يجب اعتباره تدخلاً حيث لم تحدث محاولة لإيقاف المتكلم أو عمل تحكم فى المحادثة (***hall, 1995)&Irish*** ص ١٩٨ .

وقد ألقى بيتى ***Beattie*** (١٩٨٣) الضوء على الاستخدام الاستراتيجى للمقاطعة والتدخل كمهارة اجتماعية يستخدمها بعض السياسيين أثناء المقابلة فمثلاً ابتكرت مارجريت تاتشر ***Thatcher*** عندما كانت رئيسة لوزراء بريطانيا أسلوباً معيناً فى المقابلة مكنها من الإحتفاظ "بالمبادأة" لفترات طويلة وهذا أرغم الذى يجرى معها المقابلة على مقاطعتها ولكنها لم تسمح لصور المقاطعة أن تغير فى طبيعة "المبادأة" التى أخذتها فى يدها.

وجد بيتى أن مارجريت تاتشر نادراً "ما تتدخل" عند إجراء المقابلة ولكن لديها مهارة فى أن تجعل الناس يعتقدون أن عليها إنهاء الكلام عندما يكون الواقع خلاف ذلك ويتضح ذلك بإكمال عبارة أو التغيير فى مستوى الصوت (بالإرتفاع والإنخفاض) وقد استخدمت الحديث التلقائى أكثر مما هو معتاد لتحتفظ بالتحكم فى سير المقابلة. ويلقى جدول -٣ الأضواء على هذه النتائج.

جدول -٤ المقاطعات التى يبديها المتكلم ونمطها لاحظ أن القائم بالمقابلة غالباً ما يتدخل لمقاطعة حديث مارجريت تاتشر (مقتبس من بيتى ***Beattie*** (١٩٨٣)

المتحدث	التحولات السلسة للمتحدث	مقاطعات بسيطة	صور المقاطعة أثناء الحديث		
			المقاطعة بالتدخل	التدخل	الصمت
مارجريت تاتشر	١٧	١٩ ٤	٤	١١	صفر
القائم بالمقابلة	١٦	١٠ ١	٨	١	صفر

وبصرف النظر عن التعريف فإن البحوث المبكرة التى كانت ترتبط صور المقاطعة مع التفاوت فى قوة المكانة بين المتحدثين – كانت إما أكثر أو أقل تفنيداً وحيث أن البحث الذى أجراه زيمرمان ووست – ***zemmer man & west*** (١٩٧٥) قد وجد أن ٩٦% من المقاطعة كانت تأتى من الرجال فى الأحاديث التي تضم الرجال والنساء معاً فبصورة عامة تم التسليم بأن الرجال يقاطعون النساء عندما يضم الحديث رجل وامرأة ولكن البحوث اللاحقة لم تجد فروقاً دالة بين الجنسين مما يوحى بأن أسلوب الحديث لم يعد يلقى دعماً أو قبولاً كصورة من الهيمنة والتحكم من جانب الرجال (***Carli,*** ١٩٨٩)

وفى علاقة ببعض هذه المتغيرات أجرى ايريس وهول ***holl&Irish*** (١٩٩٥) دراسة مثيرة عن أنماط المقاطعة فى الزيارات الطبية وقد دحضت النتائج نظرية المكانة فقد وجد الباحثان أن المرضى يستخدومن المقاطعات والتدخل فى الحديث أكثر من الأطباء رغم ذلك عندما تم تحليل محتوى المقاطعات وجد أن المرضى يستخدمون العبارات بينما يستخدم الأطباء الأسئلة عند المقاطعة ولم يوجد فرق فى استخدام المقاطعة من جانب الأطباء ذوى المكانة العالية وأولئك ذوى المكانة الأقل مهنياً كما لم يوجد فرق دال بين الجنسين سواء كانت الإناث طبيبات أو ممرضات وكانت المريضات قادرات بصورة متساوية مع الرجال على إعطاء القصص كما أن الطبيبات لم يكن أقل شأناً فيما يتعلق بالسيطرة اللفظية فى نظر المريضات ومع ذلك فإن تحليل المقاطعات بمعزل عن النوع (ذكور – إناث) والمكانة هو أمر مضلل ومخل فى التبسيط وهذا يوحى بضرورة إجراء مزيد من البحوث فى تحديد المتغيرات المتسقة وتحديد المدى الإجمالى للعوامل التى تتطلب أخذها فى الحسبان

-٢- الخداع والكذب

يتركز تحديد السلوكيات التى يبديها الكذابون بصورة تقليدية على العلامات غير اللفظية حيث كان يعتقد الباحثون من قبل أن الكذابين قادرون على المراوغة والتحكم فى سلوكياتهم اللفظية ولكن وجد أنه من الصعب التحكم فى سلوكياتهم غير اللفظية (***stiff, 1999)&Miller*** وقد أوضح هذا ديباولو وزملاؤه ***De paula, etal*** (١٩٨٣) الذين اعتبروا أن السلوكيات غير اللفظية المرتبطة بالكذب لا يمكن التحكم فيها نسبياً واعتقدوا أن الأكثر أهمية اعتبار أن الكذب يصدر عن مخادع ومن السهل اكتشافه من خلال القنوات غير اللفظية ,والواقع أن الإقتباس الشهير من الحالة دورا ***Dora*** التى كان يدرسها فرويد تفيد فى استجلاء تلك المسألة : "إن من له عينين ليرى وأذنين ليسمع قد يقنع نفسه بأنه لا يوجد فان يستطيع أن يحتفظ بالسر. فإذا لم تتفوه شفتاه، فإنه يعبث بأطراف أصابعه، حيث تتسرب الحقيقة من مسامه" (***Freud, 1905***).

ومع ذلك، يتم الاعتراف الآن بأن تفاعل السلوكيات اللفظية وغير اللفظية أمر مطلوب لإستجلاء العمق بدرجة أكبر وتوضح البحوث الراهنة أن الكذابين يبتسمون أقل فى الغالب ويتسم حديثهم بالتردد والوقوع فى أخطاء أكثر من المعتاد وتظهر فى أصواتهم طبقة صوت عالية ويرتبط تحاشي نظر العين بالكذب عظياً وعلى ذلك يسعى الكذابون عن قصد الى التحكم فى النظر ونتيجة لذلك يصبح تحديق العين مضخماً مما يحمله على إنهاء التحديق أو الإنخراط فى مستويات عالية على نحو غير ملائم من التقاء العين.
وفى ظل غياب مجموعة شاملة من السلوكيات المرتبطة بالكذب فمن السهل دراسة العمليات النفسية المتضمنة فى الإستشارة والصعوبة المعرفية فمن المحتمل بالنسبة للكاذب الذى يفتقر للخبرة ويعرف العواقب المرتبطة بالكذب أن يمر بكل هذه الحالات حيث يمكنه الخداع بكل من السلوكيات اللفظية وغير اللفظية وتؤخذ السلوكيات غير اللفظية مثل اتساع بؤرة العين والهن (نظر العين بحقول) وارتفاع طبقة الصوت – كإشارات على الكذب وتشمل الإشارات اللفظية ذات المغزى الاستخدام الشائع للاستجابات مثل ": لماذا توجه التساؤلات دائماً لى" رغم أن التساؤلات لا تحمل تهديداً وكذلك الاستجابات الجافة (المقتضبة على نحو فظ) أو التطرف فى استخدام اللغة.

وقد تعتبر الصعوبة المعرفية عن نفسها فى التردد والاستجابات المختصرة ونقص التآزر بين السلوكيات اللفظية وغير اللفظية. وقد استخدم ستيف وزملاؤه ***Stiff, et al.*** (١٩٨٩) مصطلح إصلاح الجمل ***sentence re pairs*** فعندما يكذب الشخص يبدأ الجملة ثم يقطعها ومن ثم يبدأ ثانية.

وقد وضع كل من بورجون وبتلرجيرو ***Guerrero&Butler*** (١٩٩٥) نظرية الخداع البين شخصى (***IDT***) التى توحى بوجود فرق بين الأفراد الذين يتمتعون بمهارات إجتماعية والأفراد الذين يفتقرون إليها يحاولون خداع الآخرين. وبناء على عمل ريجبو ***Riggio*** (١٩٩٣) قدموا نموذجاً يحدد هذه الفروق. ويقوم النموذج على ثلاث مهارات أساسية، لكل مهارة مكون لفظى (اجتماعى) وغير لفظى (إنفعالى) ويلخص جدول ٥ هذه الأبعاد الأساسية.

جدول -٥: المهارات الأساسية الثلاث التى اقترح بورجون وزملاؤه (١٩٩٥) أنها داخلة فى الخداع

التعبيرية	القدرة على إرسال رسائل
التحكم	القدرة على تنظيم سريان التفاعل
الحساسية	القدرة على حل رموز الرسائل

وقد أجرى بورجون وزملاؤه بحثاً أيد النموذج حيث وجد أن مستوى المهارات الاجتماعية للفرد يؤثر فى الخداع والنجاح فيه. فامتلاك مهارة التحكم الانفعالى يساعد مرسلو الرسالة والمتلقين على إخفاء عدم الإنتاج والقلق, والتأثير السلبى العام الذى يحدث عندما تخدع شخصا ما تكتشف خداع الآخرين. وبالمثل فمهارات فك حل شفرة الرسالة والحساسية الانفعالية يمكن أن يساعدوا المتلقين على اكتشاف خداع أو كذب الآخرين.

٣- التأدب واستراتيجيات الحديث

قدم براون وليفنسون ***Broun of levinson*** (١٩٨٧) نظرية التأدب ***Polteness theory*** التى أقيمت بكاملها على أساس استخدام اللغة. وتوحى هذه النظرية بأن الاستراتيجيات اللفظية التى يتبناها الأفراد تعتمد على طبيعة وسياق العلاقة بين المتفاعلين. ومن المرجح أن يكون المتحدثون أكثر تأدباً عندما تكون المسافة الاجتماعية والمسافة فى المكانة كبيرة بينهم وبين الطرف المتفاعل معهم وعندما تكون درجة ما يطلبه المتحدث من الطرف الآخر كبيرة أو صعبة.

وقد اقترح هو لتجريفز ويانج ***Holtgraves of Yang*** (١٩٩٠) وجود خمس استراتيجيات محتملة يستخدمها الناس ويمكن تحديدها بزيادة درجة التأدب. أولاً، يمكن للمتحدث سرد الحقائق بوضوح شديد، فإذا كانت الأخبار سيئة فمن المحتمل أن تقلل من قيمة الذات لدى الطرف المتلقى. ثانيا: يمكن للمتحدث استخدام التأدب الإيجابى بإظهار التضامن مع الطرف المتلقى. فمثلاً: يمكن إيصال الخبر عن الفصل من الوظيفة بعبارة مثل "هم الخاسرون، وقد يكون مفيداً لك إجراء بعض الاتصالات والمقابلات مع أصحاب عمل آخرين". وتتمثل الاستراتيجية الثالثة فى التأدب السلبى، حيث يلتزم المتحدث بالشكل الرسمى(*) وإخفاء معالم الصفة الذاتية، ولكنه يراعى فى نفس والوقت حرية الطرف الآخر فى العمل أو التحرك إزاء الموضوع. مثال ذلك عندما يتم إخبار أحد والديك بأنك قد أخفقت فى امتحان لقيادة السيارات قد تلوم نفسك، ولكن تسمح له بتحديد شكل المساعدة المستقبلية فى ذلك. رابعاً، من الممكن ذكر الأخبار بصورة متوارية أى بالتلميح دون التصريح، ويتضح هذا عندما ترغب فى إنهاء العلاقة مع شخص ما. أما الاستراتيجية الخامسة والأخيرة فتأتى عموما "لا: توجد رسائل يمكن إيصالها على الإطلاق.

وقد أوضح هولتجريفز ويانج (١٩٩٠) العمومية غير الثقافية لنظرية التأدب باستخدام عينات من الأمريكيين والكوريين. ولاحقاً وفى محاولة لتوسيع النظرية، وضع أمبادى وزملاؤه ***Ambady, et al.,*** (١٩٩٦) تساؤلاً عما إذا كانت العمومية الثقافية قد تنطبق كذلك على القنوات غير اللغوية للاتصال. فقاموا ببحث التأدب فى الاتصال الخاص بالأخبار الطيبة والسيئة فى ثقافتين مختلفتين فى بحثين منفصلين. تضمن البحث الأول عينة من موظفى شركة كورية فى سمسرة الأموال، واستخدام البحث الثانى عينة من طلبة الدراسات العليا الأمريكيين. وقد تم تسجيل إتصال كل مجموعة منها بالفيديو سواء بالنسبة لأخبار طيبة أو سيئة متعلقة بأوضاع العمل، وتم الاتصال إما مع رئيس لهم أو مرؤوس أوزميل. أوضحت النتائج صوراً من التشابه وكذلك من الاختلاف عبر الثقافتين.

وقد اتضحت صور التشابه اللغوية وغير اللغوية فى استخدام ثلاثة أنماط رئيسية من الاستراتيجيات وهى:

[١] متوجه نحو الآخر : لطيف ، مهتم ، يسعى الى القبول، متعاطف، مشجع.
[٢] متسم بالود : منفتح، لدية روح الدعابة، إيجابى.
[٣] حير : متشكك: غير صريح، متجنب، معتذر.

(*) أى يكون مراعياً للشكليات وآداب السلوك

وقد استخدم التواد فى كلتا الثقافتين بطريقة متشابهة، حيث أظهر كل من الأمريكيين والكوريين المودة نحو الزملاء والحذر نحو الرؤساء. وعند الأخبار بأنباء طيبة – بصرف النظر عن الفروق فى المكانة أظهروا ودا أكبر وحذراً أقل. وقد اتضح الحذر فى كلتا الثقافتين من خلال السلوك غير اللفظى أكثر منه من خلال الكلام الفعلى. وقد اتضخت الفروق عبر الثقافتين فى التوجه نحو الآخر. وهذه استراتيجية تتضمن الاستراتيجيات السلبية والإيجابية للتأدب على حد سواء. أستخدم الكوريون مستويات مختلفة، وهذا يعتمد على مكانة الطرف الآخر وأظهروا سلوكاً أكثر مودةً نحو الآخر تجاه رؤسائهم. وفى المقابل، كان التوجه نحو الآخر لدى الأمريكيين موزعاً بالتساوى نحو الرؤساء والمرؤسين والزملاء. وهناك فرق آخر يتمثل فى أن الأمريكيين يستخدموا استراتيجيات التوجه نحو الآخر عندما ينقلون أخباراً طيبة أكثر من الأخبار السيئة. ولكن لم يظهر الكوريون فروقاً تذكر فى هذه الاستراتيجية فيما يتعلق بمحتوى الرسالة.

وتتسق هذه الفروق مع الفروق العامة فى الاتصال على المستوى الفردى والثقافى والجماعى. ورغم بعض الهفوات المنهجية – مثل تفاوت المكانة بين العينتين – توضح هذه الدراسة أن التأدب – بصرف النظر عن الثقافة- يتم نقله سواء من خلال اللغة أو القنوات غير اللفظية، ولكن مع وجود بعض الفروق الثقافية (***Pennington, et al., 1999***).

٧- الاتصال اللفظى والتساؤل

إن الاتصال المبنى على الأمثلة والأجوبة هو شكل مهم من أشكال التفاعل الانسانى. ورغم أنه يمكن السؤال بالقنوات اللفظية على حد سواء، فإن غالبية الأمثلة فى التفاعل الاجتماعى ذات طبيعة لفظية، وتعمل السلوكيات غير اللفظية كمدعم مثل ارتفاع وانخفاض الصوت عند نهاية السؤال، أو إيماءات الرأس ورفع الحاجبين والتقاء العين المباشر وهى كلها إشارات تدل على طلب الإجابة.

وهناك نتيجة بحثية متسقة مفادها أن الشخص ذى المكانة المرتفعة يملك زمام التحكم وفى بعض الحالات يسبب التوتر للشخص الذى يسائله. ومع ذلك، ففى التفاعلات التى تضم أشخاصاً متساوين فى المكانة تخدم الأسئلة عدداً من الوظائف، فمثلاً، يمكن استخدامها فى الحصول على المعلومات ولإثارة مناقشة تتعلق بالموضوع المعنى أو للتحقق من اتجاهات ومشاعر ورأى الشخص الآخر.

ويمكن أن تكون الأسئلة على هيئة عدد من الأنماط، يفيد كل نمط غرضاً مختلفاً. فتستخدم أسئلة الاختبار لتشجيع الشخص على توسيع استجابته السابقة. والسؤال البلاغى سؤال لا يتطلب إجابة، إما لأن المتحدث يقصد التزويد بإجابة أو أن السؤال يستخدم بصورة مرادفة للعبارة التقريرية. وهو أسلوب شائع فى الحديث العام لإثارة اهتمام المستمعين. وبالمثل فكما أن هناك مدى ومتسع من الأسئلة التى يمكن توجيهها، هناك أيضاً مجموعة متنوعة من الاستجابات الممكنة.

وقد حدد ديلون ***Dillon*** (١٩٨٦) الأنماط الرئيسية التى يستخدمها الأفراد. وهى تشمل: الصمت، الرفض اللفظى للإجابة، تغيير الموضوع، تحويل السؤال إلى دعاية أو مجرد إعطاء إجابة مزيفة. وتستخدم أساليب أخرى لتحاشى الإجابة على السؤال منها: المراوغة ، الحيلة ، الغموض الانتقائى

والتحريف، وهو أسلوب يعطى فيه المتحدث الإجابة التى يريد المستمع سماعها. مع ذلك، فأغلب الاستجابات الشائعة هى إعطاء إجابة مباشرة حقيقية.

لقد قدمنا قدراً وفيراً من المادة البحثية فى هذا الفصل مع التركيز على دور السلوكيات غير اللفظية فى التفاعل الاجتماعى، سواء فى علاقته بمختلف القنوات أو الوظائف التى تخدمها. وفى الأغلب من الصعب تمييز الفرق الوظيفى بين القنوات اللفظية وغير اللفظية، وهناك أمثلة فى ثنايا المناقشة المتعلقة بالمقاطعة واستراتيجيات التأدب والخداع والفضفضة (الكشف عن المعلومات الشخصية) واستراتيجيات توجيه الأسئلة والإجابة. وفى الجزء التالى سنتناول تطبيق ما اكتشفه علماء النفس الاجتماعى عن الاتصال غير اللفظى على التفاعل بين المتخصص فى المجال الصحى وعميله.

التفاعل بين المتخصص فى المجال الصحى وعميله

(الطبيب، طبيب الأسنان، الطبيب النفسى، المعالج النفسى..... الخ) وعميله تعتبر المفتاح لتحقيق الأهداف العلاجية والاتصال الذى يحدث بين الطبيب والمريض – مثلاً – يرتبط كذلك برضا المريض. فعندما يكون الاتصال جيداً وفعالاً ويقوم على علاقة الثقة، فإن المرضى يكشفون عن درجة عالية من الرضا حتى وهم يتحدثون عن أمراض تهدد حياتهم. وعندما يكون الاتصال ضعيفاً ولا يوجد إلا القليل من الثقة، فإن المرضى يكشفون عن عدم الارتياح (***ley, 1988***) وقد تركزت أغلب البحوث فى هذا المجال على علاقة الطبيب بالمريض، وهذا ما سنركز عليه هنا.

حدد أونج وزملاؤه ***Ong, etal*** (١٩٩٥) ثلاث وظائف مختلفة للاتصال بين الطبيب والمريض:
(أ) لبدء واستمرار علاقة طيبة (ب) ولتبادل المعلومات.
(ج) عمل توصيات وقرارات عن كيفية علاج المريض.

ومع ذلك، فإذا لم تتوطد علاقة طيبة، فإن الوظيفتين الآخرتين ستتعرضان للإعاقة ويضار المريض. للإتصال إذن أهمية جوهرية كما رأينا عبر هذا الفصل، وهو يعتمد بشدة على الاتصال غير اللفظى الذى يتم بين الطبيب والمريض. وقد أوضح لارسن وسميث ***Smith&Larsen*** (١٩٨١) أن ارتياح المريض قد يتأثر بنمط الاتصال غير اللفظى الذى يحدث.

وقد قام لارش وسميث بتحليل استشارات الطبيب للمريض بإستخدام ثلاثة تصنيفات للسلوك غير اللفظى:
(أ) الفورية ***immediacy*** التى تعطى مؤشراً على درجة وثاقة العلاقة.
(ب) استرخاء (ارتياح) ***relaxed***الطرفين خلال التفاعل.
(جـ) استجابته كل طرف لما يقوله الآخر

فمثلاً فيما يتعلق بالفورية، يتضح القرب فى العلاقة باللمس، بميل كلا الطرفين بجسمه إلى الأمام فى اتجاه الآخر ، والقرب الفيزيقى الشديد. أما بعد العلاقة فتتميز بعكس السلوكيات غير اللفظية هذه أما تميز العلاقة بالاستجابة فتتضح بوجود مستويات مرتفعة من النشاط الوجهى (الذى يزود بتغذية مرتجعة) والتنويع فى نغمة وطبقة الصوت (إظهار الاهتمام) ومستوى ملائم من الكلام.

وقد وجد لارسن وسميث (١٩٨١) أن أنماط السلوكيات المرتبطة بالفورية ترتبط بقوة برضا المريض (العلاقات السطحية أو غير الفورية تتميز بمستويات منخفضة من رضا المريض). كما وجد أن الفئتين الآخريين تلعبان دوراً فى رضا المريض، ولكن ليس بنفس قوة الفورية. ومن هذا البحث يجب أن يتضح أن السلوكيات غير اللفظية لكل من الطبيب والمريض حيوية لفعالية استشارة المتخصص فى المجال الصحى.

وقد تساعد هذه النتائج كذلك فى تفسير الأسلوب للطبيب والمريض. وقد قام بيرن ولونج ***Byrve of Long*** (١٩٦٧) بتحليل استشارات مسجلة على شرائط كاسيت واقترحا أن أسلوب الاستشارى يمكن تصنيفه إما إلى التمركز حول الطبيب أو حول المريض. فالأساليب السلوكية المتمركزة حول المريض ينتج عنها مستوى مرتفع من رضا المريض.

وأخيراً قد تتساءل لماذا يكون رضا المريض موضع بحث هكذا ويعتبر عاملاً مهماً. بجانب أن ذلك مرغوباً فى حد ذاته، توضح البحوث بانتظام أن المستويات المرتفعة من رضا المريض ترتبط بقوة مع التزام المريض بالنصيحة والعلاج الطبى (***Ley, 1988***).

الفصل الرابـــع

الاتجاهـــات الاجتماعيـــــة

* مقـــدمة – اكتســاب الاتـــجاه (نظريـة التـعلم– الخبرة المبـــاشـــرة)

* ما هو الاتجاه – المنـحنى الوظيـفي و البنـــائي فـــي تعريـف الاتجـــاه .

* طـرق قيـــاس الاتجاهـــات :- الطـرق غيـــر المباشـــرة (الاســـتجابة الفســـيولوجية ، المقـاييس الواقعيـة -الأسـاليب الإسـقاطية) الطرق المباشـرة (طريقـة ليكـرت – طريقـة أوسجود) .

مقدمة :

مازال مفهوم الاتجاه يحتل مركزاً رئيسياً في بحوث علم النفس الاجتماعي ، فمنذ منتصف الأربعينات من القرن الماضي كما وصفه أحد رواد علم النفس الاجتماعي ***Alport*** بأنه من المفاهيم المحورية في هذا العلم وليس من الصعب إيجاد الأدلة على ذلك ، فهذا الكم الهائل من الدراسات التي تناولت المفهوم أو قياسه أو كليهما معاً والتي مازالت تلقي نفس الاهتمام إلى وقتٍ قريب .

وفي حياتنا اليومية نجد أنفسنا في كافة مناحي حياتنا الاجتماعية نسعى بصورة مستمرة لمعرفة اتجاهات الآخرين حيال الأشخاص و الموضوعات ... إلخ وفي نفس الوقت نخبر الآخرين بوجهة نظرنا كما نحاول قدر الاستطاعة أن نغير آراءنا .

وعلى الصعيد العالمي في عصر المعلومات نجد وسائل الاتصال بما تقوم به من حملات إعلامية تهدف إلى التأثير على الأفراد و العمل على تكوين اتجاهات إيجابية نحو سلعة بعينها والعمل على ترويجها ، وأخرى تسعى إلى إقناعنا بتغيير سلوكنا من خلال تغيير آراءنا .ومن هنا تبرز أهمية الاتجاهات في فهم السلوك النمطي أو العنصري أو الاستهلاكي .....إلخ .وتكتسب الاتجاهات ميزة أخرى حيث يقيم الأفراد اتجاهات عديدة حيال العديد من الموضوعات . ويكتسب الاتجاه ويصاغ عبر عملية بطيئة ويأتي من مصادر عدة ، فالوالدين و الرفاق و الآخرين ذوي السلطة بالنسبة للفرد ووسائل الإعلام والمعايير الاجتماعية جميعاً تلعب أدواراً مختلفة في عملية اكتساب الاتجاه وتذكرنا الاتجاهات الفروق الفردية حيث تختلف الأفراد إزاء الموضوعات والأشخاص .....إلخ .

وهناك سببين رئيسيين لاهتمام علماء النفس بدراسة الاتجاهات وهما :
ا – أنها تعمل على تحقيق هدف علم النفس الاجتماعي من خلال الفهم و التغيير و التنبؤ ، فمعرفة اتجاه الفرد يسهم في فهم سلوكه و التنبؤ به.
ب – تسهم دراسة الاتجاه وكيفية اكتسابه في معرفة أفضل الطرق لتغييره .
ومن المهم أن نناقش الفرق بين الاتجاه وبعض المفاهيم المتشابهة في علم النفس الاجتماعي كالمعتقد والقيمة .

فالمصطلح " عقيدة " ***Belief*** يشير إلى ما هو صادق بالنسبة للفرد ويختلف عن الاتجاه في أن الأخير يعتمد على الانفعال ولكن العقيدة فلا تعتمد على الانفعال . كما أن المعتقد يتميز بالتنوع في مقدار شدته من معتقد لآخر . فمثلاً الشخص الذي يؤمن بوجود الله سوف يعتمد على هذا المعتقد في أمور شتى وعلى النقيض نجد الشخص الذي لديه سبباً مقنعاً لارتداء نظارة شمسية لقيادة السيارة فإن هذا المعتقد لن يؤثر كثيراً على غيره .

وتتمثل القيم في الأحكام الأخلاقية على السلوك الذي يتأثر بالثقافة والمجتمع والمعايير الاجتماعية ، وتؤثر القيمة بالطبع في السلوك الاجتماعي ، وتعد القيمة موجهاً نحو أنواع كلية من الموضوعات بينما الاتجاه يكون نحو موضوع محدد .(***Pennington , c , o ; Gillem , Hill 1999) .***

اكتساب الاتجاه :

يرى غالبية علماء النفس الاجتماعي أن الاتجاه يكتسب (يتم تعلمه) بصورة مباشرة أو غير مباشرة عبر عملية التنشئة الاجتماعية . وتشير نتائج البحوث الحديثة (***Kelleretal 1992 , Waller , etal , 1990)*** إلى أدلة تؤيد أثر العوامل الوراثية في الاتجاه ، فمثلاً وجد والر وزملاؤه ١٩٩٠ إلى إيجاد علاقة قوية بين التوائم المتماثلة في اتجاهاتهم بينما الأمر مختلف في حالة التوائم غير المتماثلة ويجدر الإشارة إلى أن التوائم المتماثلة في هذه الدراسات قد خضع بعضها لنفس ظروف التنشئة ، والآخرون تم تنشئتهم بطرق مختلفة . وتم اختبارهم في الاتجاهات نحو العمل والاتجاه الديني . على أية حال فإن الدور الأكثر فعالية في الاتجاهات يرجع للعوامل الاجتماعية و التعلم الاجتماعي .

نظرية التعلم :-

إن اكتساب الاتجاه يمكن فهمه من خلال نظرية التعلم الكلاسيكية فكما تشير نتائج البحوث الأولية إلى أن الاستجابة التي تلقي التعزيز الموجب تظل وتدوم والتي تلقى التعزيز السالب تختفي **(Staats etal , 1962)**.

وفي ميدان الاتجاهات أجريت العديد من التجارب التي تعتمد على هذه الفكرة فمثلاً وجد كروزنيك و زملاؤه ***(Krosnich . et al , 1992)*** نتائج تتفق مع ذلك .

و الاشتراط الوسيلي و الإجرائي من خلال تطبيقهما للثواب و العقاب دور بارز في صياغة الاتجاه وتعديله ، والنمذجة الاجتماعية ***Modeling***كما صاغها باندورا (***Bandura 1973)*** حيث أكد على أن الاتجاه يمكن تعلمه من خلال الملاحظة أو من خلال إثابة السلوك وعقابه ، فمثلاً الأطفال الذين يكتسبون بعض قواعد السلوك الجيد من خلال ثواب الوالدين وبنفس الطريقة يكفون عن السلوك الذي يؤدي إلى العقاب . كما يكتسبون بعض ألوان السلوك الأخرى من خلال ملاحظتهم لسلوك الوالدين فيتصرفون مثلهم.

الخبرة المباشرة :-

العديد من اتجاهاتنا نكونها من خلال خبرتنا المباشرة ، حيث نكون نتيجة للخبرات الصادمة ، و هذه الفئة من الاتجاهات من الصعب تغييرها (***Oscamp, 1977)*** .

و إذا كانت معالجة نظرية التعلم لاكتساب الاتجاه كما سبق أن ذكرنا تتم تحت عدد من الشروط مثل أهمية للفرد ، فأننا نجد أنفسنا لأول مرة إزاء خبرة صادمة في حالة الخبرة السيئة نحو شخص أو موضوع ... إلخ .

و أخيراً تسهم المقارنة الاجتماعية في تشكيل الاتجاهات ، فحين نقارن أنفسنا بشخص آخر أو جماعة ... إلخ . و تكون اتجاهاتنا وفق ما نفهم و نعتقد .

❋ ما هو الاتجاه ؟

في الواقع إن عملية الوصول إلى صياغة صادقة وواضحة لتعريف الاتجاه يتوقف على تحديدنا للمفهوم تحديداً واضحاً حيث يستخدم كثيراً في حياتنا اليومية معاني مختلفة ، و في علم النفس نجد هذا المفهوم يشير إلى بناء يعبر عن مفهوم مجرد يمكن الاستدلال عليه من خلال بعض المؤشرات السلوكية.

فالمصطلح يستخدم ليلخص مجموعة من الخصائص النفسية المركبة و لتحقيق مزيد من الفهم للمصطلح فيمكن تناوله استناداً على جانبين :- الأول : وهو وظيفي يتمثل في فهم وظيفة الاتجاه بالنسبة للفرد ، و الثاني : و هو بنائي و يتمثل في علاقة المفهوم بالخصائص النفسية الأخرى و كليهما وجهان لعملة واحدة .

المنحى الوظيفي :-

بصورة تقليدية فإن الجانب الوظيفي في تناوله للاتجاه كما يرى (***Mcguir 1969 , katz 1960, smith 1956)*** أنه يعبر عن الوجود الإنساني للفرد لأنه يخدم بصورة أساسية وظائف أربع و هي :

١ - الوظيفة التوافقية .
٢ - وظيفة التعبير عن الذات .
٣ - وظيفة الدفاع عن الأنا .
٤ - الوظيفة المعرفية .

و فيما يلي نحاول بصورة موجزة شرح كل منها .

١ - **الوظيفة التوافقية** : - ***Adaptive function***

و تعني أن الفرد ينمي الاتجاهات نحو الموضوعات التي تسهم في تحقيق رغباته و تمكنه من الحصول على اللذة و تجنب الألم ، فتلك التي تحقق اللذة و المنفعة تكون إيجابية و الأخرى سلبية .

و بصورة اجتماعية تسهم عملية التوحد في مساعدة الفرد على تنمية اتجاهات مشابهة لمن يعيشون حوله من أهله و أصدقائه ، أي يبدأ في مسايرة الجماعة التي ينتمي إليها .

٢ - **وظيفة التعبير عن الذات** :- **self expressive function** و تعني أن الفرد قد يستمد الإشباع لحاجته للتعبير عن نفسه من خلال الاتجاهات التي تعبر عن قيمه و معتقداته ، و بذلك يكتسب الهوية المميزة و الوجود الاجتماعي و عضويته في الجماعة التي ينتمي إليها من خلال هذا التعبير . و يقترب هذا المعني من وجهه نظر (أريكسون) ***Erikson*** حيث يرى أن الإحساس بالهوية هام جداً للوجود الإنساني .

٣ – **وظيفة الدفاع عن الأنا** :- ***Ego – defensive function*** و تتمثل في بعض الاتجاهات التي تساعد في حماية الشخص من نفسه و من الآخرين ، يتناول ***Katz*** بالاستعانة بمفاهيم التحليل النفسي (ميكايترمات الدفاع) رؤية تدعم هذه الفكرة ففي الحالات التي تجد فيها الأنا أن هناك إهانة أو تحقير للذات من جراء بعض الأفعال تسعى إلى الدفاع عن الذات فمثلاً الشخص الذي يشعر بالدونية قد ينمي اتجاهات من شأنها التكبر على الآخرين .

٤ – **الوظيفة المعرفية** :- ***function Knowledge***
تهتم بصفة خاصة بالكيفية التي يدرك بها الفرد معلوماته ويوظفها عن العالم الاجتماعي ، بحيث يمكنه التعامل مع العالم بصورة أكثر ألفة و قدرة علي التنبؤ و أقل غموضاً ، و من عيوبها النمطية التي تؤدي للتعصب .
و لعل مبدأ الإنسان المعرفي الذي صاغه ***Hieder 1946*** و الذي يؤكد على التناغم بين الاتجاهات و القيم و السلوك .
و بصفة عامة فإن المنحي الوظيفي له تطبيقات في مجال تغيير الاتجاهات ، و يتطلب ذلك : -
* معرفة الاتجاه الراهن للفرد .
* ما يحققه للفرد من مكاسب .
ولكي نسهم في تغيير الاتجاه بكفاءة لابد من إيجاد وظيفة و بصورة عامة يمكن تغيير الاتجاهات التي تخدم وظيفة معلوماتية بعد إمداد الفرد بمعلومات أخرى و في المقابل نجد أن الاتجاهات التي تخدم الدفاع عن الأنا لا يمكن تغييرها بالمعلومات و لكن بتجسيد صورة.

المنحى البنائي : -
يرى أصحاب المنحى البنائي أن الاتجاه هو بمثابة تقييم سالب أو موجب لموضوع ما ، الأمر الذي يعكس و جهة النظر التقليدية للاتجاه على إنه يتكون من :-
١ - جانب معرفي . ٢ – جانب انفعالي.
٣ – جانب سلوكي (***Katz*** ١٩٦٠) .

وفي محاولة حديثة للتعريف نجد ايجلى و شايكيين ***chaikem &Eagly*** , ١٩٩٣ يعرفا الاتجاه على أنه عملية نفسية يمكن ترجمتها إلى تقييم محدد بالقبول أو بالرفض أو بدرجة من كليهما إزاء موضوع الاتجاه .
و يشتمل هذا التعريف على التقييم الذي يتضمن المكون المعرفي الظاهر و الكامن و القصد و السلوك. و يشير المكون المعرفي إلى المعتقدات و الآراء و الأفكار التي تعبر عن موضوع الاتجاه . و يشير المكون الوجداني إلى التقييم بالحب أو بالكراهية لموضوع الاتجاه و الذي قد يعكس قيم الفرد . بينما يشير المكون السلوكي إلى المقاصد و النوايا و السلوك الفعلي المصاحب للاتجاه .

و يطرح نيوكمب وزملاؤه ***(Newcomb , 1950)*** تعريفاً للاتجاه على أنه مفهوم استعدادي متعلم يهيئ الفرد للاستجابة بصورة أكثر اتساقاً مع المفضل و غير المفضل بالنسبة لموضوع الاتجاه .
و يفترض النموذج الثلاثي أن هناك اتساقاً بين مكونات الاتجاه و لكن الناس عادة ما يسلكون و يتصرفون بطريقة مغايرة. و يقر أصحاب هذا المنحى هذا التناقض بأنه أحد مظاهر الحياة الإنسانية .

طرق قياس الاتجاه :-
تشير الأدلة إلى اهتمام علماء النفس الاجتماعي بصورة مكثفة – خلال النصف الأول من القرن العشرين – بأساليب قياس الاتجاه ، و قد تراوح ذلك ما بين توجيه الأسئلة المباشرة للأفراد أو الملاحظة المباشرة . أو بصورة غير مباشرة من خلال الاعتماد على الاستجابة الفسيولوجية للفرد .و بصفة عامة تكمن أهداف القياس في ميدان الاتجاهات على الحصول على إجابات صادقة قدر الإمكان ،

و قد حاول الباحثين التوصل إلى ذلك بغية الوصول – إلى جوانب ثلاثة هي :-
١ – التعرف على اتجاه الفرد حيال موضوع ما أحياناً,تم معرفة درجة الشدة في أحيان أخرى.
٢ -إجراء معايير التقيين (ثبات صدق) .
٣ – التعرف على مدى فعالية برامج تغيير الاتجاهات .

بصورة موضوعية و مثالية في آن واحد فإن طرق قياس الاتجاه يجب أن تعتمد على طريقة تضمن عدم وعي الأفراد و ضمان عدم تأثير ذلك في استجاباتهم ، و كما يرى (براثيويت و لو (***Brathwait &low 1985***بأنه يجب على المرء الحذر من ابتكار طريقة تعكس صوراً من التمييز الإحصائي بينما تخفق في قيامها بعكس ***reflect*** الواقع النفسي بشتى صورة .
و تبدو الحاجة ملحة إلى ذلك في ميدان قياسي الاتجاهات و ذلك نظراً لما نواجهه من مفارقة بين السلوك اللفظي و العملي و لعل المدخل الملائم للقياس الواقعي يتمثل في الاعتماد على الطرق غير المباشرة في قياس الاتجاهات .
و فيما يلي نعرض بصورة موجزة للطرق غير المباشرة و تلك المباشرة في قياس الاتجاهات :

أولاً :- الطرق غير المباشرة في قياس الاتجاهات .

١ – الاستجابة الفسيولوجية :-

و تتمثل في استجابة الجلد الجلفانية أو معدل ضربات القلب و التي تعتمد في القياس على العوامل الانفعالية و أثرها في الجوانب الفسيولوجية وإن كانت نتائج الدراسات تشير إلى انخفاض المؤشرات الدالة على علاقة الاتجاه بالجوانب الفسيولوجية .***(Hess,1965)*** و لكن يبدو أن إمكانية القياس ليست عملية بسيطة بالمقارنة بالتقارير اللفظية مثلاً . و لذا نجد البعض الأخر يؤكد على فعالية التكنيك بالرغم من النجاح المحدود للبحث في هذا الجانب ، و قد يكون مؤشراً جيداً للقياس الموضوعي . (***cacioppo &petty, 1981***

٢ – المقاييس الواقعية : -

وتعتمد على مسلمة الاتساق بين الاتجاه و السلوك ، فمثلاً حين تريد قياس الاتجاه الديني لفرد ما فإنه من المفضل أن نلاحظه و هو يقصد دور العبادة ويمارس أفعال الخير .... إلخ

٣ – الأساليب الاسقاطية :-

و تعطينا ميزة الحصول على الاستجابة الحقيقة المعبرة عن الاتجاه الفعلي للفرد بعيداً عن التحريف و التشويه .
وبصفة عامة يمكن القول أن الأساليب غير المباشرة لقياس الاتجاهات لها ميزاتها و عيوبها ، فمن مميزاتها تقليل أثر المرغوبية الاجتماعية ، و النفاذ إلى الاستجابة الواقعية .

ثانياً : - الطرق المباشرة لقياس الاتجاهات :-

الطرق المباشرة لقياس الاتجاهات أو ما يعرف بالتقارير الذاتية و التي تشيع في الصحف و المحلات ، و لعل أكثرها طريقة التقدير الجمعي ليكرت ***(likert 1932)*** ، و التمايز السيمانتي لاوسجود ***Osgood*** .

١ - طريقة "ليكرت" للتقديرات المتجمعة :- (*Likert's summated rating*)

طور ليكرت طريقة للقياس في ميدان الاتجاهات تعتمد الوصول إلى تقدير اتجاه الأفراد نحو أي موضوع من الموضوعات و بالتالي يصلح لقياس اتجاهات الأفراد نحو أي موضوع أو قضية . و يتألف المقياس من خمس نقاط أو سبعة أو تسعة بحيث يجعل الموضوع أو النقطة المتوسطة الثالثة حينما يكون المقياس مؤلفاً من خمسة نقاط و الرابعة من سبعة ، و هكذا . و بالتالي تمثل النقطة المتوسطة الموقف الحيادي أي بين التأييد و الرفض .مثال :-

حينما تفكر في بناء مقياس للاتجاه نحو عمل المرأة مثلاً بهذه الطريقة فإننا نلجأ إلى بناء مقياس متدرج من خمسة نقاط مثلاً كما يلي :-

العبـــــارات	أوافق بشدة	أوافق	غيـــر متأكد	أعارض	أعـــارض بشدة
المـــرأة أكثـــر خضـــوعاً للعاطفة.	٥	٤	٣	٢	١
المـــرأة أقـــل إنجـــازاً مـــن الرجل.	٥	٤	٣	٢	١
المنزل هو المكان الملائم لعمل المرأة .	٥	٤	٣	٢	١

و كما في هذا المثال يقدم للمفحوص عدة عبارات تتصل بالموضوع الذي نريد معرفة اتجاهه نحوه ، و أمام كل عبارة نضع هذا التدريج ، و الاختيار الذي يقدمه المفحوص على كل عبارة يتم ترجمته في النهاية إلى درجة كلية تمثل اتجاه المبحوث نحو الموضوع تستخدمها في المقارنة بينه و بين فرد و آخر .

فلو فرضنا إن أحد الأفراد استجاب في العبارة الأولى عند (٤) و الثانية عند (٥) و الثالثة عند (٥) أمكننا في هذه الحالة تجميع هذه الدرجات (١٤) و لنا أن نعد هذه الدرجة تقديراً كميا لاتجاهه المتناقض لعمل المرأة .

و جدير بالذكر إن هذه الطريقة مازالت الأعم و الأشمل في وضع مقاييس الاتجاهات بالإضافة إلى التغيرات التي طرأت عليها وأكسبتها ثقة و فائدة في التطبيقات المختلفة وأحد هذه التغيرات تتمثل في إعطاء درجات سالبة و أخرى موجبة بدلاً من المتصل كما في مثالنا السابق. بحيث تبدأ الدرجة –١ من بداية المعارض و٢ في قمة الاستجابة . و هكذا بالنسبة للاستجابة المؤيدة. (***Pemning ton , D , etal*** ١٩٩٩) .

٢ – طريقة "أوسجود" للمعاني المتمايزة :- (*Osgood's Semantic differential)*
لم يقصد (تشارلز أوسجود) إلى أن تكون طريقته هذه لقياس الاتجاهات و إنما كان اهتمامه موجها لدراسة المعاني و المفاهيم و تحليلها .

وتقوم فكرته على أن لكل لفظ أو تصور نوعين من المفاهيم بالنسبة للفرد أولهما وهو المعنى المادي ***Denotalive meaning*** وهو ما يطلق عليه المناطقة الماصدق أي الأشياء التي يصدق إطلاق اللفظ عليها . فالمستشفي مثلاً هو ذلك المكان المعد لعلاج المرضى .

وثانيهما هو المعنى الانفعالي ***Conotative meaning*** وهو يمثل مجموعة المستدعيات التي يثيرها اللفظ أو المفهوم بالنسبة للفرد أي الخبرات السارة أو غير السارة بالنسبة للفرد .

وما يهمنا في هذا السياق وفقاً لأوسجود هو المعنى الانفعالي حيث تمثل دراسة المعنى الانفعالي للموضوعات المختلفة مدخلاً ملائماً لدراسة وتحليل شخصيات الأفراد والتعرف على الاتجاهات نحو الموضوعات التي يتكون منها عالمهم الداخلي .وعلى هذا الأساس يقوم مقياس أوسجود بحيث يقدم للمفحوص من التصورات التي تشير إلى أشخاص أو حيوانات ..... إلخ وعليه أن يحدد مكانتها بالنسبة له في ضوء طرفين متقابلين من الصفات المختلفة :-

ويتضمن المقياس عنصرين أساسيين هما :- التصور أو الموضوع ***Concepts*** والتي يراد معرفة تقديرها .مقياس لتقدير ***Rating scale*** وهو يشبه طريقة ليكرت ولكنه عادة ما يتألف من سبعة نقاط .
مثال : فيما يلي نجد في وسط السطر عنواناً لمفهوم نريد التعرف على معناها بالنسبة لك ، وذلك بوضع علامة (✗) في المكان الذي يعبر عن معناها بالنسبة لك .
الإسرائيلي
حسن : – : – : – : – : – : (✗) : قبيح
* حينما يضع العلامة هكذا يدل على مدى انطباق صفة القبح على الشخص الإسرائيلي وذلك بصفة كلية .
الإسرائيلي
حسن : – : – : – : (✗) : – : – : – : قبيح
* وفي هذه الحالة يوضح أنه قبيح إلى حدٍ ما .

وبنفس الطريقة فإن اختبار الفرد يعبر عن اتجاهه .
ولقد قام أوسجود وزملاؤه بعدد كبير من الدراسات طبقوا فيها طريقتهم على عدد كبير من المفحوصين الذين ينتمون إلى حضارات مختلفة مستخدمين عدداً كبيراً من التصورات (الألفاظ) وطائفة هائلة من مقاييس الصفات . وكان هدفهم من ذلك بيان ما إذا كانت الصفات المختلفة . جيد ← رديء . يمكن أن تنتظم في إطار نظري بسيط بعد استخدام التحليل العاملي فوجدوا أن التحليل العاملي بطريقة ثيرثون أثبت أن مقاييس الصفات ***Adjective scales*** يرتبط بعضها ببعض ارتباطاً موجباً . وأن هناك ثلاثة عوامل مسئولة عما بين الصفات من ارتباطات موجبة وهي :-
١ - عامل التقييم ***Evaluative Factor*** :-
ويصل درجة شبع بعض مقاييس الصفات فيه أكثر من ٠,٧ وهذه الصفات :
حسن ← رديء ، جميل ← قبيح ، خائن ← أمين .

٢ – عامل القوة ***Potency. F.*** :-
ومن أمثلة مقاييسه : صـلب ← لـين ، ثقيـل ← خفيـف ، شـجاع ← جبـان ..... جبـان ..... إلخ.

٣ – عامل النشاط ***Activity. F.*** :-
ومن أكثر المقاييس تشبعاً به :- سريع ← بطيء ، حار ← بارد .

الفصل الخامس
القيم

أولاً : تعريف القيم :-

بالرغم من أن مفهوم القيم من المفاهيم الشائعة في حياتنا اليومية وكثيرا ما نتحدث عن القيم ، ونشكو في أحيان كثيرة من انهيار القيم ، إلا أن التحديد العلمى لمفهوم القيم يختلف بحسب وجهات النظر للمفكرين والفلاسفة والعلماء حسب اتجاهاتهم العلمية والفكرية .

قد يكون من المفيد أن يستعرض مفهوم القيم من الناحية اللغوية كما جاءت في المعاجم العربية ومعاجم المصطلحات المتخصصة وكذلك المعاجم الفلسفية ثم تستعرض المدارس الحديثة والمعاصرة التى تعرضت لتعريف القيم ، وأيضا المفارقة بين مفهوم القيم والمفاهيم المتداخلة معه .

مفهوم القيم في اللغة :

القيمة ، بكسر القاف ، واحدة (مفرد) القيم ، وقيمت السلعة أي ثمنتها (الزاوى) .
وجاء في الصحاح : واصلة الواو لأنه يقوم مقام الشيء وقوله تعإلى : ﴿وذلك دين القيمة﴾ إنما أنثه لأنه أراد الملة الحنيفية (الجوهرى : جـ٥)
وقال الزجاج : أي ذلك دين الملة المستقيمة ، والقيمة نعت الموصوف محذوف ، أو يقال : دين الأمة القيمة بالحق أي القائمة بالحق (الطبرى جـ٥).
وعن ابن عباس ﷺ في قوله تعالى في سورة الكهف ﴿ الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً ۞ قيماً لينذر بأساً شديداً من لدنه ..... الآية﴾ (الآيات ١،٢) قال : أنزل الكتاب عدلاً قيماً ولم يجعل له عوجاً متلبساً .

وفي مفردات الراغب : تقويم السلعة بيان قيمتها وتقويم الشيء تثقيفه فدينا قيما : أي ثابتا مقوما لأمور معاشهم و معادهم .

القيمة في معجم المصطلحات :

* أنها خاصة تجعل الأشياء مرغوبا فيها .
ما يعلق عليه الإنسان أو مجموعة من الناس أهمية كبرى من حيث قابليته ليكون مبدأ من مبادئ السلوك الأخلاقى أو الإيمان الدينى أو الفلسفي ويكون هذا بطبيعة الحال شيئا مجردا نسبيا في رأي بعضهم ، مثال ذلك الحرية بوصفها قيمة من قيم الديمقراطية .

أساس ما يسمى بالحكم التقويمى ، أي ذلك الحكم الذي يمنح المدح أو الذم لصفات يراها المصدر الحكم في المفاضلة بين شيئين أو أكثر ، ويلاحظ أن هذه الصفات تكون بما يميز شيئا عن غيره لا لما فيه تركيب مادي أو مظهر . وإنما لما في النفس من ميل أو عدم ميل إليه (مجدى وهبه ، كامل المهندس) هذا التعريف على عموميته يجعل النفس بما لها من استمالات مقياسا للقيم وعندما يكون هوى النفس هو المقياس فقد عرض القيم من دون شك إلى التقلبات والأهواء .

ونتفق في ذلك مع ما ذهب إليه (محمد الهاشمى ١٩٩٨) عندما أوضح أنه إذا كانت النفس بميولها حكما في التقويم ، أي في إعطاء القيمة فإن ذلك يجعلها نسبية اعتبارية ، بل ذاتية ، مما يقوض وحدة الإجماع حولها . لأن الأهواء متعددة والميول أضراب وفنون . وإذا كانت القيمة تبعا لها ، تستمد (مقوماتها) منها ، تعددت الأنظار إليها واختلفت الاعتبارات لذى الأوزاع .

القيم في المعجم الفلسفي :

قيمة الشيء في اللغة قدره ، وقيمة المتاع ثمنه . يقال : قيمة المرء ما يحسنه ، وما لفلان قيمة ، أي ماله من ثبات ودوام على الأمر .

وقيمة الشيء من الناحية الذاتية ، هى الصفة التى تجعل الشيء مطلوبا ومرغوبا فيه عند شخص واحد ، أو عند طائفة معينة من الأشخاص ، مثال ذلك قولنا : أن للنسب عند الأشراف قيمة عالية .

يطلق لفظ القيمة ، من الناحية الموضوعية ، على ما يتميز به الشيء من صفات تجعله مستحقا للتقدير كثيرا أو قليلا . فإن كان مستحقا للتقدير بذاته ، كالحق والخير والجمال ، كانت قيمة مطلقة ، وأن كان مستحقا للتقدير من أجل غرض معين ، كالوثائق التاريخية والوسائل التعليمية ، كانت قيمته إضافية .
يطلق لفظ القيمة في علم الأخلاق على ما يدل على لفظ الخير بحيث تكون قيمة الفعل تابعة لما يتضمنه من خيرية . فكلما كانت المطابقة بين الفعل والصورة الغائية للخير أكمل ، كانت قيمة الفعل أكبر . وتسمى الصور الغائية المرتسمة على صفحات الذهن بالقيم المثالية وهى الأصل الذي تبنى عليه أحكام القيم ، أي الأحكام الإنشائية التى تأمر بالفعل أو بالترك (جميل صليبا ١٩٧١).

مما سبق يستفاد الآتى :-
معنى الثبات والدوام ، حيث يشير التعريف السابق إلى مدى صلاحية القيم وفاعليتها ويكشف عن دورها الأساسى في بناء الوحدة المعنوية والخلقية للأفراد وتكوين مواد الحكم التقيمى للضمير .
- أن تعلق القيم بعوامل عاطفية أو نفسية كالرغبات والميول قد يجعلها نسبية فضلا عن حصرها دون أخرى لاختلاف النوازع والاتجاهات .

- أن الخيرية كمعيار في علم الأخلاق ، بقدر ما تتحقق في الفعل تكسبه قيمة تتفاوت بحسب نسبة التطابق مع الهدف الأسمى المختط ، أو الغائية المنشودة في ذهن ، متبنى الأحكام التقيمية أو التقويمية على حد سواء .

❋ مفهوم القيم والمفاهيم المشابهة له:-

أولاً : مفهوم القيمة ومفهوم الاعتقاد :-
يخلط البعض بين مفهوم القيمة والاعتقاد (المعتقد) حيث يرون أن القيم إنما هى معتقد راسخ لدى الفرد.

لذا قبل عرض لمفهوم القيمة على أنها اعتقاد نعرض لمفهوم الاعتقاد للمفارقة بينه وبين مفهوم القيم .
العقيدة مفرد عقائد ***Article of faith*** . وهى جملة من الحقائق الثابتة التى لا تقبل تغيرا أو تعديلا ، ولا تتأثر بالإنسان ، ولا بالبيئات ولا العصور (أحمد غلوش ١٩٩٨).
العقيدة عقد القلب على علم ثابت عقدا قويا مؤكدا على اليقين التام واليقين الحق . (دائرة المعارف الإسلامية ج١)
والعقيدة منهج تفكير ومنزع سلوك ، يعيش الإنسان على هداه ويتحرك على ضوئه في خاصة نفسه وفي صلاته بالناس جميعا . (عبد الكريم الخطيب ١٩٩٠)
وفي المعجم الوجيز (إبراهيم مدكور) جاء في مادة عقد أن اعتقد فلان الأمر ، أي صدقه وعقد عليه قلبه وضميره فقد جاء في القرآن الكريم ﴿ ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الإيمان ﴾ صدق الله العظيم .

مما سبق يمكن أن نستخلص :
أن العقيدة هى مصدر القيم والمعايير والأحكام ومنطلق مجموعة السلوك التى يؤمن الإنسان بصحتها ، وهذا الإيمان يأتى عبر فهم عميق للقيم التى تمتلك القدرة على الرد .

والمعتقدات الميتافيزيقية عندما تنزل القلب أو الوجدان وتأخذ مكانتها فيه ، فإنها تكون محتواه ، وتكون خفقاته وفلسفته ودوافعه وموجهاته وترسم اتجاهاته وقيمه ، وحركته في مجال التفاعل ، وأنماط السلوك التى تقربها الجوارح ، داخل البيئة عندئذ تصبح المعتقدات الميتافيزيقية في داخل الإنسان شاهد عدل ومراقبا يقظا يحافظ على الوجدان من التعثر أو الفساد ، أو الانحراف وتملؤه بأخلاقيات وأفكار ترشده نحو إقامة علاقات سليمة مع معطيات البيئة (الطبيعية والاجتماعية) . (فوزى فهمى ١٩٩٨)
أن القيم لا يمكن أن تكون مرادفا للمعتقدات وذلك لأن المعتقد هو حكم أو رأي أو اتجاه يتعلق بالواقع الاجتماعى ، يعتنقه الفرد باعتباره صحيحا وبذلك فهو يختلف عن مفهوم القيمة التى تعد نسقا شبه مقنن يستخدمه الفرد في تقدير المواقف الاجتماعية وإذا كانت القيمة تتصل بما يعتبره الفرد مرغوبا فيه أو مرغوبا عنه فإن المعتقد يختلف عنها في أنه حكم صادق واقعى (زيدان عبد الباقى ١٩٨١) . ولهذا لا يمكن اعتبار القيمة معتقدا .

ثانياً : القيمة والاهتمام :-

من المحاولات الأولى التى ربطت بين القيم والاتجاهات تلك المحاولة التى قام بها (البورت وفيرنون) في وضعهما لمقياسهما الشهير للقيم والذي يعبر أكثر على الاهتمام وليس القيم .

وتبعا (لروكيتش) فإن هذا المقياس على الرغم مما حظى به من شهرة وانتشار كمقياس للقيم ، فإنه لا يصلح إلا أن يكون مقياسا للاتجاهات أو الاهتمامات المهنية بصور خاصة ، نظرا لأنه ضيق نطاق القيم وحصرها في دائرة الاهتمامات فقط (***Rokeach , M, 1973***).

فالاهتمام يعتبر أحد مظاهر القيمة ، وإن كان يساعد في توجيه الفعل وتحقيق الذات لكنه– أي الاهتمام – أضيق من القيمة لأنه لا يتضمن الحالات المثالية أو الغايات وتتميز القيم عن الاهتمامات في أن الأخيرة لا تستوجب الإلزام والوجوب (عبد اللطيف خليفة ١٩٩٢) كما أن الاهتمامات قد لا تتفق مع المعايير التى تحدد ما ينبغى وما لا ينبغى أن يكون (محمد عماد الدين إسماعيل وآخرون ١٩٧٤).

ثالثاً : القيم والاتجاهات :-

منذ حوإلى ربع قرن ، قال (ميلتون روكيتش) : إن العلماء الاجتماعيين ذوى التوجيه الأمبريقى أولوا - خلال الخمسين سنة الماضية – اهتماماً كبيراً النظرية وقياس الاتجاهات أكثر من نظرية وقياس القيم . وحسب (روكيتش) فهذا التشديد القوى على الاتجاهات لا ينبع من قناعة عميقة بأن اتجاهات الإنسان تحدد سلوكه أكثر من القيم بل أن ما حدث هو نمو سريع لوسائل قياس الاتجاهات مقترنة – ربما بغموض ما في فهم الفرق المفاهيمى بين القيم والعلاقة بينهما . وهذا التأكيد المبالغ فيه على الاتجاهات – قد روج للنظرة التى حازت على قبول واسع بأن القيم صعبة التعريف والقياس ، رغم أنها تلعب دورا أكثر مركزية وأكثر دينامية من الاتجاهات داخل النظام المعرفي الوجدانى للشخص . (***Rokeach , M, 1973)***

فالقيم تختلف عن الاتجاهات في العديد من النواحى يرى (بريثويت ، ولو ***law &Braithwaite***) أن الفرق بين الاعتقادات والاتجاهات من جهة والقيم من جهة أخرى هو أن مفهوم القيم ينحصر في تلك الفئة الخاصة من المعتقدات المستديمة المتعلقة بِأشكال التصرف والحالات الغائية من الوجود التى تتجاوز الموضوعات والمواقف النوعية والتى تكون مفضلة من الناحيتين الشخصية والاجتماعية مقابل الشكل العكسى من التصرف أو الحالة الغائية من الوجود .(***law H.G, 1985)&Braithwaite*** الاتجاه إذن له موضوع ، أما القيم فلا ، فنحن نمتلك اتجاهات نحو موضوعات محددة تشمل كل شئ ؛ من الاتحاد السوفيتى سابقا إلى العقاقير ، إلى السيارات الأجنبية . أما القيم فهى أوسع من حيث التركيز وغالبا ما تشتق اتجاهاتنا نحو موضوعات أو عمليات أو أناس معينين من قيمتنا .

كما أن تكوين الاتجاهات أقل تعقيدا من تكوين القيم ، لأن تكوين القيم تحتاج إلى فترات طويلة حتى تأخذ مكانها في السلم القيمى للفرد أو للجماعة ، فالقيم تتميز عن الاتجاهات في صعوبة تفسيرها لأن جذورها ممتدة في حياة الإنسان إلى السنين الأولى من عمره (محمود أبو النيل ١٩٨٤).

ويرى (روكيتش) أن الاتجاه هم تنظيم للعديد من المعتقدات التى تتركز حول موضوع محدد (فيزيقياً كان أم اجتماعياً ، ملموساً أو مجرداً) أو موقف نوعى ، يهيئ المرء للاستجابة بطريقة معينة . وبعض هذه المعتقدات عن الموضوع أو الموقف تتعلق بمسألة الوقائع ***facts***، وتتعلق أخرى بمسألة التقييم ***evaluation*** والاتجاه – على هذا هو مجموعة من المعتقدات التى تتكون من تأكيدات ***Assertion*** مرتبطة فيما بينها تؤثر في أشياء معينة خاصة بموضوع أو موقف محدد من حيث أنها حقيقة أو زائفة ، وعلى أشياء أحرى بهذا الموضوع أو الموقف من حيث أنها مرغوبة أو غير مرغوبة .

أما القيم – من ناحية أخرى – فتلزم المرء بالعمل وفق صيغ (***Modes)*** معينة من السلوك ***Rokeach, M, 1968)***)

مما سبق يتضح لنا أن هناك فروقا واضحة بين مفهوم القيمة ومفهوم الاتجاه ، ومن الفروق التى حددها (روكيتش) :
- أن الاتجاه يتركز حول موقف أو موضوع معين ، أما القيمة فهى أكثر عمومية .
- أن الفرد يمتلك عددا من القيم ربما تعدى العشرات بينما تصل الاتجاهات إلى الآلاف .
- أن مفهوم القيمة أكثر دينامية من الاتجاهات حيث ترتبط القيم بالدافعية .

رابعاً : القيم والحاجة :-

يرى البعض أن القيم كامنة في التعبير عن رغبات وحاجات وميول واهتمامات الأفراد ، أي أن القيمة لا تكمن في الشيء أو الموضوع ، بل تكمن في ذات الفرد المقيم ومن ثم فإنه يسقط هذه القيمة على موضوع .وبهذا فالقيم من منظورهم تعد (خصائص نسبية)وهى ما يعبر عنها أحيانا بكلمة علاقية ***Relation***. بمعنى أنها قيم مرتبطة بأشخاص معينين ، وليست مجرد خصائص تتميز بها الأشياء ، فهى ترتبط بما هو مرغوب فيه . وبجانب تعريف القيم على أنها الأشياء المرغوب فيها يرى أصحاب هذه الاتجاه أنها تعبر عن حاجات الفرد ، ويعبر (مالينوفكس) عن ذلك بأن ((القيمة هى اتصال قوى وحتمى بموضوعات وقيم أو معايير أو أشخاص ينظر إليهم باعتبارهم وسيلة لإرضاء حاجات الكائن) (محمد أحمد بيومى ١٩٨١).

يتضح من العرض السابق أن المحاولات التى بذلت لتعريف القيم لم يجانبها الصواب إلى حد كبير . فمحاولات تقديم مفهوم القيم على أساس أنها حاجات أو اهتمامات لم تحدد بدقة مفهوم القيم ، وإنما اعتبرت القيمة مرادفا للحاجة أو الاهتمام ، فقد ذهب أصحاب هذا الاتجاه في معرض حديثهم عن مفهوم القيمة إلى القول بأنها الحاجة ، وإذا كانت الحاجة هى الافتقار إلى شئ ما إذا وجد تم الإشباع والرضا والارتياح للكائن الحى (حامد زهران ١٩٧٧). فإن ذلك يعنى أن أصحاب هذا الاتجاه اعتبروا القيمة امتدادا للحاجات النفسية والبيولوجية ، هذا مناف لطبيعة القيم التى لا يمكن الوقوف بها عند حد اعتبارها امتدادا لرغبات الإنسان وحاجاته البيولوجية أو النفسية.

فالقيم – على خلاف الحاجات – ليست فطرية ، بل مكتسبة من خلال الخبرة الانفعالية (بصورة مفاهيمية في بعض الحالات ، وبصورة سلبية بالتناضح ***Osmosis*** والامتثال في بعضها الآخر) . والقيم هى الرابطة بين الحاجات والفعل ، فهى تفيد في توزيع الانتباه والجهد على مختلف الحاجات ، وهى كذلك الأساس للإنفعالات .
Encyolopedic Dictionary of psychoology, 1988))

خامساً : القيم والدوافع :-

تختلف القيم عن الدوافع أنها (أي القيم) ليست مجرد ضغوط لتوجيه السلوك ، ولكنها بالإضافة إلى ذلك تشتمل على التصور أو المفهوم القائم خلف هذا السلوك بإعطائه المعنى والتبرير الملائم.(عبد اللطيف محمد خليفة ١٩٩٢). ويمكن التمييز بين القيمة والدافع على أساس الهدف ، فالهدف في القيمة من النوع المطلق ويتسم بالوجوب ، فيقول الفرد : يجب أن أعمل هذا الشيء ، أما الدوافع فيقول أريد أن أعمل هذا الشيء .

بالإضافة إلى ما سبق أن الحاجات والدوافع عامة ، بينما تختلف القيم من ثقافة إلى أخرى وكذلك فإن القيم أشمل من الحاجات والاهتمامات والرغبات لأنها تسيطر عليها فالحاجة أو الدافع أو الرغبة إلى الجنس أو التملك تنظمها وتسيطر عليها القيم ، التى لا تسمح بتحقيقها للفرد إلا تحت ضوابط يرتضيها المجتمع ، بل كثيرا ما تقف القيم حائلاً في تحقيق بعض الحاجات والرغبات التى يرفضها المجتمع .
واستناد إلى تلك الإشارة الموجزة لما يمكن أن يقوم من اختلاف بين مفهوم القيمة وغيرها من المفاهيم المتداخلة معه في المعنى ، والتى قد تكون مسئولة عن إضافة مزيد من الغموض حول المفهوم ، وكذلك إجراءات قياسه ، يمكننا تحديد وضبط تعريف القيمة .
يتصور البعض أن التعريف الملائم للقيم يجب أن يقوم على أساس نظرى وتجريبى في آن واحد ، حيث أن النظر إلى مفهوم القيم على أنه بناء فرض ***Hypohetital contructe*** . يمكن الاستدلال عليه من السلوك اللفظى بالإضافة إلى أن هناك متغيرات أخرى يمكن أن تؤثر في هذا السلوك تجعله متسقا أو غير متسق مع القيمة التى يتبناها الفرد (عبد اللطيف محمد خليفة ١٩٩٢) .

تصنيف القيم :

تصنيف القيم من أكثر الموضوعات التى أثارت وما تزال تثير الجدل بين المختصين في هذا المجال . بل أن بعض المفكرين لا يحبذون فكرة تقسيم للقيم أصلا. فيرى (رولو ماي) مثلا أنه توجد مجموعة من القيم في كل مرحلة تطورية في حياة الإنسان ، أي يوجد نمط تطورى في تشكيل القيم . فبعد الميلاد مباشرة ، يكون للحب والرعاية والتغذية القيمة العليا ، وعندما ينضج الطفل تصبح أمور مثل الاستحسان والنجاح ، والمكانة بين الرفاق هى التى لها القيمة العليا . ومع ذلك لا ينظر إلى القيم الناضجة على أنها ثمرة للقيم التى تم تبنيها من قبل . بل هى تعكس الطبيعة البشرية الأساسية بتأكيدها على الحرية والمستقبل وتحسين الوضع الإنساني (***Hergenhahm,*** ١٩٨٤) .

و على الجانب الآخر ، تقف غالبية ذوى الرأي في موضوع القيم ، باتفاقهما على تصنيف القيم ، وإن اختلفت هذه الأغلبية في محاور التقسيم .
- توجد عدة محاور أو أبعاد يمكن على أساسها تصنيف القيم وهى :
بعد الشكل : القيم إيجابية أو سلبية .
بعد المحتوى : مثل القيم النظرية والسياسية والجمالية والدينية ..... الخ .
بعد القصد : فهناك قيم خاصة بالوسائل وأخرى خاصة بالأهداف .
بعد العمومية : فبعض القيم تكون خاصة بمواقف معينة . قيم الدور الذي يقوم به فرد ما)، وهناك قيم تنطبق على مواقف عريضة متنوعة .
بعد الشدة : يمكن تحديد قوة قيمة معينة بالجزاءات التى تطبق على مخالفتها ، ودرجة الكفاح في سبيلها .

- وفيما يلى سنعرض لبعض من هذه التصنيفات :-

(أ) تصنيف روكيتش :

من أكثر التقسيمات شيوعا ، تقسيم روكيتش للقيم إلى غائية وأخرى وسيلية . وقد اختار روكيتش القيم الغائية من عدة مئات من القيم التى جمعها من التراث البحثى ، ومن الخبرة الشخصية ، والقيم الغائية التى عبرت عنها عينة ممثلة عددها مائة (١٠٠) من سكان إحدى المدن الأمريكية ، ومن تلك القيم التى عبرت عنها مجموعة صغيرة من طلبة الدراسات العليا . ومن ثم ، تم حذف البنود التى لم تتماثل مع تعريف روكيتش للقيم وتلك التى اعتبرها متداخلة سيمانطيقيا أو إمبريقييا مع قيم أخرى . & ***law , (H.G. 1985)***

وتم انتقاء القيم الوسيلية من قائمة تضم (٥٥٥كلمة) تمثل سمات الشخصية اشتقها (أندرسون ١٩٨٦***Anderson***) من (١٨٠٠٠ سمة) جمعها (ألبورت وأدبرت ١٩٣٦).واختار روكيتش القيم الوسيلية في صورتها النهائية على أساس قائمة طويلة من المحكات . وضمت إحدى هذه المحكات حذف البنود المتكافئة امبريقيا أو سيمانطيقيا ، واختيار القيم التى تعتبر هامة عبر الثقافات والمكانة والجنس ، وتجنب القيم التى ترتبط بقوة مع تحيز الاستجابة القائم على المرغوبية الاجتماعية (***Rokeach, M, 1971)*** وعدد القيم الغائية (١٨) قيمة تمثل القيم التى يسعى المرء إليها كغاية في الحياة ، مثل : الحياة المريحة ، والأمان الأسرى والحرية ، والسعادة ، والحكمة ، واحترام الذات . وللقيم الوسيلية نفس العدد ، حيث تمثل قيما يتخذها الفرد وسائل لتحقيق غاياته ، مثل : الطموح الاستقلال ، المنطقية ، الطاعة ، التحكم في الذات .....الخ .

(ب) – تصنيف (ستوب *staup*)

وهو تقسيم ثنائى ، ففي تصوره ، تصنف ليس فقط القيم ، بل المعايير والتقمص تحت ما يسميه (الأهداف الشخصية)، التى تقوم بدورها على توجهين قيميين مختلفين .

التوجه الأول :

توجيه المعاضدة الاجتماعية ، ويتميز بالتوجيه الإيجابى نحو الآخرين والانشغال برفاهية الآخرين ، والشعور بالمسئولية الشخصية نحو صالح الآخرين ، وتوجه المعاضدة الاجتماعية يدفع الناس إلى إفادة الآخرين وعلى زيادة رفاهيتهم أو تقليل محنهم .

٢ – التوجه الثاني :

فهو التوجه القائم على الواجب أو الإلزام . وتوجه كهذا يؤدى إلى الرغبة في العمل وفق المعايير المقبولة اجتماعياً ، وعمل ما هو صحيح . ورغم أن الرغبة في أداء واجب المرء قد تدفع غالبا على السلوك الإيجابى, فتحت ظروف معينة . (***Staub, Ervin, 1981)***

(جـ) – تصنيف القيم على أساس أبعادها :
ويتضمن:-

١ - بُعد العمومية *Dimension of Generality*

ويقصد به تقسيم القيم إلى : قيم عامة ، وهى القيم الأكثر انتشارا بين أفراد المجتمع بغض النظر عن مستوياتهم وأدوارهم الاجتماعية واتجاهاتهم ومناطق سكناهم, (وعمومية القيم) تعنى عند (دوركيم) أنها توجد في الواقع كأشياء وأنها مشتركة بين مجموعة من الناس والجماعات ، ويجد فيها الناس إشباعا لرغباتهم التى يبحثون عنها بين موضوعات مختلفة في مواقف متباينة(محمد سعيد فرج، ١٩٨٩). وفي مقابل القيم العامة توجد القيم الخاصة وهى التى تتصل بطبقات معينة أو مناسبات معينة أو تكون خاصة بأصحاب مهن معينة .

٢ - بُعد الوضوح *Dimension of explicitness*

وهو البعد الذي يحدد مدى وضوح القيمة ودرجات التصريح بها ، وتنقسم حسب هذا البعد إلى قيم ظاهرة وقيم ضمنية . فالقيم الظاهرة التى يصرح بها ويعبر عنها بالكلام مثل القيم المتعلقة بالخدمة الاجتماعية والمصلحة العامة ، وفي مقابلها القيم الضمنية وهى التى يستدل على وجودها من ملاحظة الميول والاتجاهات والسلوك الاجتماعى بصفة عامة مثل القيم المرتبطة بالسلوك الجنسي (حامد زهران ١٩٧٧).

٣ - بُعد الشدة *Dimension of intensity*

ويقصد بالشدة درجة إلزام المجتمع بالقيم ، وهذه الدرجة من الإلزام تختلف من قيمة إلى أخرى ، وفي ضوء هذا تنقسم القيم حسب هذا البعد إلى قيم إلزامية وقيم تفضيلية والقيم الإلزامية هى تلزم الثقافة بها أفراد المجتمع ، ويرى المجتمع تنفيذها بقوة وحزم عن طريق العرف وقوة الرأي العام ، أو عن طريق القانون ، و هى في الغالب القيم التفضيلية ذات القدسية التى تشمل الفرائض والنواهى . وفي مقابلها القيم التفضيلية وهى القيم التى لا تتطلب العقاب الصارم الصريح لمن يخالفها ، وإنما يشجع المجتمع أفراده على الاقتداء بها .(نجيب اسكندر إبراهيم وآخرون، ١٩٧٤).

٤ - بُعد الدوام *Dimension of permancy*

برغم أن من خصائص القيم أنها نسبية إلا أن هذه النسبية تختلف من قيمة إلى أخرى فهناك قيم لا تزول بسرعة مهما اختلفت الأزمنة وقيم أخرى تزول بعد فترة من الزمان وتقسيم القيم في هذا البعد على قيم دائمة وقيم عابرة .
والقيم الدائمة نسبيا هى التى تبقى زمنا طويلا وتنتقل من جيل إلى آخر مثل القيم المرتبطة بالعرف والتقاليد ، وفي مقابلها القيم العابرة وهى القيم الوقتية العارضة قصيرة الدوام سريعة الزوال مثل القيم المرتبطة (بالموضات) (حامد زهران ١٩٧٧) .

٥- بعد المقصد*Dimension of intent*

وفي هذا البعد تصنف القيم على أساس الهدف الذي تسعى لتحقيقه ، ولهذا فهى تنقسم إلى قيم وسيلية ، وقيم غائية . فالقيم الوسيلية هى القيم التى تختلف باختلاف حاجات الناس ومطالبهم . (عبد اللطيف محمد خليفة ١٩٩٢). أما القيم الغائية فهى القيم الباطنية الذاتية التى تستقل بنفسها في ذاتها وتسمى بالقيم أو المثل العليا .

(د)- تصنيف القيم حسب محتواها .

لعل أول تقسيم للقيم – حسب محتواه – هو تقسيم (جوردن البورت)وزملائه علم ١٩٦٠ ، حيث ابتكروا مقياسا يتناول المدى الذي يشدد به الشخص على القيم التالية في حياته : القيمة النظرية ؛ حيث الانشغال بالبحث عن الحقيقة ، والقيمة الاقتصادية ؛ حيث يكون التشديد على النواحى البراجماتية والاهتمام بالمعرفة ذات الصلة بها ، والقيمة الجمالية ؛ حيث يميل المرء بقوة نحو الخبرات الفنية ، والقيمة الاجتماعية ، حيث يعطى المرء الألوية لبدء والاحتفاظ بعلاقات إنسانية دافئة ، والقيمة السياسية ، حيث ينصب اهتمام الفرد على تحصيل القوة وأخيرا القيمة الدينية ؛ حيث يعطى المرء أهمية كبرى للسعى نحو الوحدة والانسجام مع الكون (***Hergenhahn. 1984)*** .

أولاً: القيم الدينية *Religious values***:**

لا يرقى أي عنصر من عناصر التراث الاجتماعى إلى المرتبة التى يمثلها الدين بأي حال من الأحوال لما يصنعه في النفوس من راحة وطمأنينة وما يبعثه فيها من أمل وسكينة ، فالدين باعتباره مجموعة من الأحكام يؤمن بها الناس بأنها من عند الله فهو يمارس سلطة قوية على أفراد المجتمع وترتبط في أذهانهم بقدسية وهيبة واحترام.والنزعة الدينية أصيلة في نفس الإنسان (إمام عبد الفتاح ١٩٨٥، سيد عثمان ١٩٨٦، محمود حمدى زقزوق ١٩٩٤) فالتدين عنصر أساسى في تكوين الإنسان والحس الدينى ، يمكن في أعماق كل قلب بشرى ، بل هو يدخل في صميم ماهية الإنسان ، مثله ذلك مثل العقل سواء بسواء . والغريزة الدينية مشتركة بين كلى الأجناس البشرية حتى أشدها همجية وأقربها إلى الحيوانية وأن الاهتمام بالمعنى الإلهى وبما فوق الطبيعة هو أحد النزعات العالمية الخالدة للإنسانية ، فمن المعلوم أنه قد يوجد ووجدت جماعات إنسانية من غير علوم وفنون وفلسفات ، ولكنه لم توجد أبدا جماعة بغير ديانة (محمد عبد الله دراز ١٩٨٠). إذا النزعة الدينية أصيلة في نفس الإنسان ، وليست شيئا مفروضا عليه من خارجه ، وأنها متوائمة تماما مع الطبيعة الإنسانية ، وأن جحودها وإنكارها يعد شذوذا في الطبيعة الإنسانية وخروجا عليها وقصورا في فهمها .

والدين من حيث هو عقيدة نظام أو مجموعة من الحقائق العامة لها تأثير في تكييف الخلق ، إذا صدق الاعتقاد بها وفهمت فهما واضحا قويا .(عبد الكرم الخطيب، ١٩٩٧).

من ذلك نسلم أن الحس الدينى جزء أساسى في تكوين الإنسان وأنه موجود بدرجات متفاوتة عند الناس جميعا . والموقف السلوكى في إطار الدين الذي يؤمن به الأفراد تحكمه القيم الدينية المنبثقة من الإطار الدينى فقد نجد مجموعة متدينة كأشد ما يكون التدين بحيث يتسم سلوك أفرادها بالتقيد الشديد بحرفية النص الدينى والتقاليد الدينية المتوارثة وهى التقاليد التى تتعلق بأجيال سابقة بعيدة في طيات التاريخ ،

بينما نجد مجموعة أخرى قد لا نجد للدين الذي تنسب إليه صدى في سلوكها ، فلا نكاد نعرف في سياق تعاملنا معهم أي دين ينتسبون إليه .

وقد تعددت الدراسات التى تناولت التدين والقيم الدينية والمتغيرات الأخرى ، ففي دراسته عن تطور القلق توصل (أحمد عبد الخالق ١٩٩١) إلى أن ارتفاع معدل القلق لدى الأفراد راجع إلى تدهور القيم الدينية والأخلاق . وعن التقبل الاجتماعى والإيمان بالله فقد وجدت علاقة موجبة بين التقبل الاجتماعى والإيمان بالله (سامية الأنصارى ١٩٨٧) .
كما أن البعد عن التدين وضعف التمسك بالقيم الدينية يعد واحداً من أهم أسباب إدمان المخدرات ، وذلك من خلال الدراسة التى أجراها كل من(***shontlz 1984) &spott)***عن العلاقة بين التدين وإدمان المخدرات (هيروين- كوكايين) .
وعن المجاراة والمخالفة لقيم ومعايير المجتمع في مصر توصل (على حسين على ١٩٩٠) إلى شيوع نوع من التدين الشكلي وليس المضمون على مستوى الأفراد والمؤسسات ففي الوقت الذي يحرص فيه الأفراد على أداء بعض العبادات ذات الطابع السلوكى الملحوظ مثل الصلاة ، والصوم .....الخ فإنهم يمارسونها أنماطا من السلوك لا تتفق مع مضمون هذه الشعائر أو ما تدعو إليه ، وهو ما يمثل نوعا من الانفصام الدينى أو المفارقة بين الشكل والمضمون بشكل ينم عن عدم استدماج جيد لمفهوم التقوى والذي يمثل جوهر الأديان السماوية .

وفي عالمنا المعاصر نرى مقدار ما يعانيه الإنسان في العصر الحديث من تمزق نفسى بسبب الفراغ الروحانى الذي يعانيه ، الأمر الذي يجعله كالمعلق بين السماء والأرض ، ليس لديه أساس راسخ يركن إليه ولا إيمان يملأ جوانب نفسه بالسكينة والطمأنينة .. والإيمان هو ما وقر في القلب وصدقه العمل . أي ظهر في السلوك أو الفعل السلوكى قولا وعملا .

تعريف القيم الدينية :

في (إبراهيم مدكور ١٩٧٥) أنها القيم التى تربط الحياة الدنيا بالحياة الآخرة ولهذا الارتباط شأنه في تقويم الأعمال والحكم عليها وخطاب الله هو الفيصل في الحكم على الحسن والقبيح وعلى المباح والمحرم ، والحسن ما وافق الشرع ، واستوجب الثواب ، والقبيح ما خالف الشرع ، ويترتب عليه العقاب في الآخرة ، وقيمة الأشياء من حيث ما تحصله من حسن الأفعال أو قبحها .

ثانياً : القيم السياسية ***Political values*** :

يرى المشتغلون بالدراسات السياسية أن هناك ثلاث ظواهر سياسية واجتماعية رئيسية محتملة ذات أثر على تشكيل الفكر السياسى في القرن القادم كنتيجة لتحولات التسعينات (ثورة الاتصالات). ، هذه الظواهر هى :
١ - النستولوجيا والعنف المرافق .
٢ - حوار الثقافات وتشكل ثقافة عالمية واحدة .
٣ - حرب المعلومات وتحولات الاقتصاد .

والنستولوجيا ***Nostalgia*** - عبارة عن توق غير سوي للماضى ، أو إلى استعادة وضع يتعذر استرداده ، وهو وضع ناتج إلى حد كبير عن عدم قدرة الذات على التكيف مع المستجدات والمتغيرات ، خاصة إذا كانت متسارعة وعظيمة الأثر ، وعدم القدرة على الاندماج الاجتماعى ، ومن ثم خيبة الأمل من تحقق التوقعات ، إنها نوع من أنواع اغتراب الذات إلى حد كبير (تركى الحمد ١٩٩٦)ومن اغتراب الذات نجد الاغتراب السياسي ***political alienation*** . ومظاهره تتمثل في العجز السياسى الذي يتضمن أن الفرد المغترب ليست لديه القدرة على إصدار قرارات مؤثرة في المجال السياسى وكذلك تغيب عنه المعايير التى تشكل النظام السياسي . وهو ببساطة شعور الفرد بأنه ليس جزءا من العملية السياسية ، وأن صانعى القرارات السياسية لا يضعون له اعتبارا ولا يعملون له حساباً. (أحمد خيرى حافظ ١٩٨٣).

والنظام السياسى مسئول عن قيم الناس وسلوكهم وأخلاقهم ، فالسلطة تتبنى قيما في مراحل معينة ، بينما تعمل على تقليص دور قيم أخرى ، وبمواقفها وسلوكها تضفي شرعية على بعض القيم وتسقط شرعية قيم أخرى ، أي أن ممارسات السلطة وإقراراها لأوضاع معينة ، أو حتى تغاضيها عن تلك الأوضاع ، هو بمثابة إشارات أو أجازات مرور. تدعم قيما معينة وتروج لها ، فممارسات السلطة ليست مجرد جولات سياسية أو حسابات اقتصادية ولكن هذه الممارسات تغرس قيماً (أحمد أنور ١٩٩٣). ومن الثابت أن الإنسان يتأثر في سلوكه بقيم معينة يكتسبها من البيت الذي تربى فيه ومن المجتمع الذي يعيش فيه .

والمراهق في وقتنا الحاضر ، وهو رجل عام (٢٠١٥) الذي ستؤول إليه المسئولية في كافة مجالات الحياة فإن لم يستدمج بداخله القيم التى توجه سلوكه بإيجابية نحو تحقيق الأهداف المرجوة وتأكيد الانتماء الفعلى للوطن . وإن كان غير ذلك فكثير من الصور السلبية التى نراها في ممارسات كثير من رجال اليوم ستكون الغالبة ، بل أن المشاركة السياسية للشباب التى لم تتجاوز حاليا نسبة معقولة مما يؤكد أن غالبية الشباب تدير ظهرها للحياة السياسية ، ستكون أضعف وأقل مما هى عليه الآن .

لذا من الضرورى أن تعنى الأنظمة السياسية بالقيم السياسية وتعمل على ترويجها لأهميتها للفرد والمجتمع . فمثلاً.. تحمل المسئولية كقيمة من القيم السياسية تمثل ضرورة للفرد لكى يحقق التوافق مع المجتمع الذي يعيش فيه ، كما أن الإيثار فضلا عن كونه أحد علامات الصحة النفسية فهو ضرورة لازدهار للجماعات وقدرتها على تحقيق أهدافها .(فرج طه ١٩٩٧) .

كما أن الديمقراطية واحترام الملكية العامة والعمل الجماعى تعد قيم ضرورية لتحقيق الاستقرار والتقدم للمجتمعات ، فضلا عن أنها قيم إيجابية تلقى الحث والتأييد من خلال التراث الدينى – خاصة الإسلامى – مما يعزز من انتشارها بين أعضاء المجتمع ، هذا فضلا عن تأكيد مؤسسات التنشئة المختلفة عليها فالمقررات الدراسية ، ووسائل الإعلام ... الخ تعمل كل منها على توجيه الأفراد وإلزامهم بها

ثالثاً : القيم الاجتماعية *Social values* **:-**

كلما تعقد المجتمع كلما اشتدت حاجتنا إلى فهم أنفسنا فهما صحيحا بصورة أشمل وأعمق ، فالمجتمعات الحديثة متقدمة كانت أو نامية تزخر بالأسباب والدوافع العديدة للإضطراب النفسى ، مثل الضغوط الاجتماعية والمعيشية وتغير القيم السريع وتناقُضها والتمزق والضياع .

ومن الثابت الآن عند المؤرخين ، وعند علماء النفس والاجتماع ، أن سلوك الناس وأخلاقهم مع أنفسهم ومع الناس ، ليست أبنية ذاتية خالصة يصنعها الفرد لنفسه بعيدا عن المجتمع ، وإنما هى – شأنها شأن كل ما يتعلق بالإنسان – نتاج تصنعه أوضاع المجتمع من ناحية وأداة تؤثر في المجتمع وتسهم في تغييره من ناحية أخرى. (أحمد كمال أبو المجد ١٩٨٥) .
ومجتمعنا العربى عامة ، والمصرى خاصة ، شهد – ومازال – خلال السنوات الأخيرة صور عديدة لمظاهر التحول والتغيير التى شملت مختلف نواحى الحياة الاجتماعية والسياسية والثقافية والاقتصادية ، مما كان له الأثر الواضح على تغير العديد من الأطر القيمة التى يتبناها الفرد وانعكاس هذا التغير في النسق القيمى على بعض أشكال السلوك والاتجاهات . والقيم الاجتماعية تلعب دورا هاما في تكوين البناء الاجتماعى والاقتصادى والثقافي والسياسى للمجتمعات ، فهى الإطار المرجعى للسلوك الفردى وهى الدافعة للسلوك الجمعى . (عبد الهادى الجوهرى ١٩٨٧).

ولقد تعرضت القيم الاجتماعية في مصر لتغيرات في ظل انعكاسات السوق العالمى إذ تعرض البناء الاجتماعى بوجه عام ، ونسق القيم بوجه خاص إلى مجموعة من التغيرات التى ترجع إلى علاقة التبعية وفتح الأبواب لرؤوس الأموال الأجنبية نتج عنها تهميش ***Marignalization*** القيم التقليدية وإحلال قيم سلبية جديدة على قطاعات كبيرة من الشعب بصورة عامة ، وعلى نسق القيم بصفة خاصة (نادية رضوان ١٩٩٧).

فالقيم الاجتماعية ، شأنها شأن أي جانب آخر في حياة الإنسان تتأثر بما يطرأ على المجتمع من تغيرات تكنولوجية وتؤثر فيها ، وتختلف تبعا لذلك القيم التى تسود مجتمعا بسيطا عن تلك التى تسود في مجتمع متقدم تكنولوجيا . إذ بينما تؤكد قيم المجتمع الأول على أهمية القرابة والمسئولية الاجتماعية والجماعية والمكانة الاجتماعية الموروثة تؤكد المجتمع الثانى على الكفاءة الشخصية والمسئولية الفردية والمكانة المكتسبة .

وفي ظروف كظروفنا الراهنة حيث نعيش مرحلة انتقالية ينهار فيها الكثير من القيم التقليدية لتحل محلها قيم جديدة ، وتزداد إمكانية التباعد بين الفرد والجماعة وتكثر الشكوى من الآخرين أي من الجماعة ويقوى قطب الفردية وقد يترتب على ذلك ظهور أفكار تشيد بالفردية وتدعو لها ، أما قطب الاجتماعية فيبدأ بتحديد موقع الفرد في الجماعة ودوره وعلاقته بالآخرين وارتباطه بقيم الجماعة الثقافية وخوفه الدائم من أن ترفضه الجماعة وتعزله لاختلافه معها (معن زيادة ١٩٩٠) .

ولقد تسبب الانفتاح في صورته الفجة وخلال أقل من عشرين عاما في نوع من (السيولة الطبقية) إن جاز التعبير عن التشوه الذي لحق بالبناء الاجتماعى ، فلم يكن نمو طبقة وضعف أخرى نتيجة ظروف طبيعية خاصة بعمليات الإنتاج والتسويق وغير ذلك من آليات وإنما تبادلت بعض الطبقات المواقع ومسخت بعض الطبقات الأخرى (غالي شكري ١٩٩٢).

ولقد انتهت بعض الدراسات إلى أن جرائم العنف العائلى (كمثال) داخل الأسرة كانت قديما أمرا نادرا يقتصر غالبا على أولئك الذين يعانون من اضطرابات عقلية أو نفسية إلا أن الدراسات الحديثة أظهرت أن العنف داخل الأسرة أصبح واسع الانتشار وأرجعت أن أحد أسبابه غياب قيم الترابط الأسرى

والانتماء الفعلى للأسرة ، والصراع بين الأجيال والانتهازية بين أفراد الأسرة وغلى ضعف الوازع الدينى وقلة الخشية من الله .

وقد تبين من فحص وتحليل الإحصاءات لجرائم العنف العائلى خلال الفترة من (١٩٩٥حتى عام ٢٠٠٠) ، أن جرائم العنف العائلى تمثل نسبة حوإلى ١٩.٣% من إجمإلى جرائم العنف الأخرى مثل الخطف ، السرقة بالإكراه. (مصطفي سويف ١٩٩٨ ،مركز بحوث الشرطة ١٩٩٠) .
تعريف القيم الاجتماعية :

يرى (جمال مختار حمزة ١٩٩٤) أن القيم الاجتماعية تعد من أبرز عوامل الضبط الاجتماعى غير الرسمية ***informal*** حيث تعمل كموجه لسلوك الأعضاء في اتجاه ما هو مرغوب فيه ويفضل ثقافيا .
وهذا يعنى وجود ثلاث جوانب أساسية للقيم هى :
* الجانب الفكرى .
* الجانب الوجدانى .
* الجانب التوجيهى أو التنظيمى .

وهذا يعنى أن القيم ببساطة مجموعة من الأفكار المشتركة التى تدور حول ما هو مرغوب فيه ، والتى يرتبط بها أعضاء الجماعة وجدانيا بحكم تمثلهم إياها وكنتيجة للتنشئة الاجتماعية التى تسهم في تنظيم السلوك وتعديله وتوجيهه وتحديد مضامينه ويذهب (محمد محمد الزلبانى ١٩٧٧) إلى أن القيم الاجتماعية هى كل ما يستثير في مجتمع إنسانى اهتماما عاما سواء كانت القيمة متمثلة في موضوع حسى ملموس أو صفة معنوية مستحبة ، ومن شأن القيمة الاجتماعية أن تسد حاجة اجتماعية حيوية أو ترضى اتجاهات نفسية عامة في عدد كبير من الأفراد ، والشعور نحو القيمة والاهتمام يتصف بالديمومة والاستمرار النسبي ويتمثل الاهتمام في وجود قواعد سلوكية تبين كيفية التعبير عن أهمية القيم مع وجود جزاءات (مثوبات – عقوبات) الأولى لمن يحترم القيم والثانية لمن ينتهكها ووجود رموز اجتماعية يتم بها التعبير عن احترام هذه القيم أو اكتسابها . ويرى (محمد سعيد فرج ١٩٨٠) أن القيم الاجتماعية هى القيم التى تهتم بالناس والمجتمع ، وتعنى بسعادة الآخرين ، ويعبر عنها بمحبة الناس والتعاطف بينهم ، والإنسان الاجتماعى يقدر الناس بوصفهم غايات ويرى في الحب الصورة الوحيدة للملائمة للصلات المتعددة بين الناس ، وسلوك الشخص المؤمن بالقيم الاجتماعية يتسم بالتضحية من أجل الآخرين وإنكار ذاته .

في موسوعة السلوك الإنسانى يرى (بيجن ،وأليسون) أن القيم الاجتماعية هى التفصيلات الثابتة بالنسبة لأنماط معينة من توزيعات الناتج على الذات والآخرين .

ومثال ذلك : تفضيل الحصول على أكبر قدر من المكاسب للذات بصرف النظر عما يحدث للآخرين . وعلى النقيض قد يفضل موقفا تكون فيه الرفاهية الاجتماعية ***Collective Welfare*** لأطراف متعددة في حدها الأقصى ، حتى لو أدى ذلك به لتحمل بعض التكلفة الشخصية ، وقد أتضح أن للقيم الاجتماعية تأثيراً ذا مغزى في اختيار السلوك وإنجاز القرارات في المواقف الاجتماعية .(***Allison &Beggan 1994)***

فالقيم الاجتماعية – إذن – هى نمط من القيم يدخل تحته كثير منها . وكما يذكر (جابر عبد الحميد ، وسليمان الخضرى ، ١٩٧٨) فإن أعلى قيمة عند النمط المثالي الاجتماعي هو حب الناس ، سواء أكان فردا أو أكثر ، قريبا أو غريبا .

رابعاً : القيم النظرية *Theoretical Values* **:-**

عندما نقرأ في تاريخ التقدم الإنسانى ، نجد أن وقت الفراغ ، كان يمثل المظلة النفسية الاجتماعية الوادعة ، التي تتيح للفكر الإنسانى قدرا أوسع وأعمق على ابتكار الجديد ، وتطوير ما هو كائن ، وتحسين ما هو موجود والبحث عن صورة أفضل للحياة (فرانك جوبو ١٩٦٦) .

وحالياً .. وقت الفراغ أكثر ملائمة لتحقيق الاسترخاء الفكرى ، أو هشاشة الضبط القيمى وبالتالى فهو أنسب الأوقات لنفاذ الطرائف والبدائع إلى النفس ، وهنا تكمن خطورته ، إذا ما تركت هذه النفوس والعقول الخاوية ، أمام الطوفان الوافد بإلحاح من المجتمع الغربى ، في مجالات الثقافة ، والفن والأخلاق ، والأزياء والآداب وغيرها ، وعبر وسائل بالغة الجاذبية ، عبر الصحف والمجلات الأنيقة ، أو عبر الإذاعة والتليفزيون ، وعبر السينما وأجهزة الفيديو ، وعبر شبكات الإعلان والدعاية التى تحاصر الإنسان أينما ذهب . هذا يثير تساؤلا يضعنا أمام مسئولياتنا الجسيمة نحو الأطفال والمراهقين والشباب ويتمثل هذا التساؤل في ما هى القيمة الحقيقية لهذا الكم الهائل من الرسائل الثقافية المتدفقة نحو كل فئات المجتمع المصرى .

والإجابة على هذا التساؤل سنتعرف عليها من خلال المواقف التى صيغت لمعرفة القيم المعرفية (النظرية) التى يدركها أفراد العينة . وذلك لما تمثله القيم المعرفية من أهمية بالغة في تقدم المجتمعات ... فقد أصبحت المعرفة تمثل الجانب الأكبر في تقدير قيمة ثمن منتج ما وليس المواد الخام التى استخدمت في عملية تصنيع هذا المنتج (حسين توفيق إبراهيم ١٩٩٢) وذلك لأن تكنولوجيا العصر تعتمد على نتائج العقل البشرى وعلى حصيلة الخبرة والمعرفة والتقنية .

فالعقل البشرى هو الذي أصبح ينظر إليه باعتباره قوام الثورة التكنولوجية الراهنة ، لذا فقد بات من المقبول بصفة عامة أن مواكبة هذا التطور الجديد الحادث في طبيعة العمليات الإنتاجية إنما تستلزم بالدرجة الأولى استثماراً رئيسيا في نوعيات معينة من المجالات ، وبالذات تلك التى تتعلق مع مخرجات هذه الثورة والتكيف مع نتائجها.(على الدين هلال ١٩٩٥).

وقد يروعنا في يوم ما تلك المسافة التى تفصلنا عن المجتمعات المتقدمة فإننا لن نبقى متخلفين فحسب ، بل أن تخلفنا سوف يزداد . فينبغى أن نهتم بالمعرفة في مختلف نواحيها وأساليب توصيلها إلى الشباب وكيفية استثمارها إيجابياً .

ولأن التغير سنة من سنن الحياة فالمجتمع يتغير شأنه في ذلك شأن كل كائن حي فالمجتمع الذي لا يتغير محكوم عليه بالفناء ، لأن التغير صفة أساسية من صفات الأحياء . والتغير الذي نقصده هنا هو التغير إلى الأفضل والأحسن ، وإذا صح أن (الأفضل) و(الأحسن) يختلفان من حيث المفهوم من مجتمع إلى آخر ، فإن حضارة اليوم قربت بين المفاهيم ووحدتها . والمجتمع – كالفرد- ميال إلى حفظ بقائه

والمحافظة على مفاهيمه وقيمه ومثله ، والمجتمع الذي يهيئ الفرد للحفاظ على بقائه الخاص يتهيأ من خلاله للحفاظ على بقائه وبقاء قيمه ومثله ومفاهيمه .

والمجتمع الذي لا يقرأ حسابا لنفسية الشباب ولا يعرف نزعاته واتجاهاته وخصوصياته يدفع بنفسه قدما إلى الفناء ، ويفوت على نفسه في كل حين الفرصة ليبنى كيانه على أسس سليمة . كما أن مجتمعا يقوده شبابه فيتساهل معه ويقبل منه تجاوزا للأخلاق المألوفة وتحديا للقيم المعروفة وتهاونا بالقيم والعقائد التى يحترمها عامة الناس ويقل احترامه للقوانين التى يرضخ لها كل الناس ، فهو مجتمع مريض دب في جسمه المرض وبدأ يأكل لحمة الهلاك ، ونخر في عظامه السوس, فالطاعة في دون خوف ضرورية ، والحفاظ على الثوابت الصلبة دون تعصب واجب ، فلا يحجب عنا التقدم أصالتنا ، ولا تشوش علينا البدع استقرارنا ، ولا يمكن أبدا أن ينقلب التطور والتحضر إلى تفسخ وتمتع وانحلال . فبقدر تفهم المجتمع لشبابه والتسامح معه بقدر وقفته الحازمة ضد تياراته الجارفة التى يستلهمها من قصصه وأفلامه ومحادثاته وعسى أن نرى في الحاضر خير شاهد .

مثلاً: فقد قل معدل الزمن الذي يخصصه الشباب وما دونهم لقراءة الكتب والمجلات المتخصصة عما كان عليه في الماضى . كما أنه يستمع من الراديو إلى التمثيليات أقل ويذهب إلى السينما مرات أقل ، ولكنه يشاهد عددا كبيرا من التمثيليات في التليفزيون .. مع حدوث تغير في المادة التى يستقبلها الشباب عن طريق الوسائل الثقافية إذا قورنت بتمثيلها قبل ظهور التليفزيون . لذا لا غرابة في أن يطلق البعض أن {الإنسان حيوان تليفزيونى} *.

كما أن الصفة اللفظية والأسلوب اللفظى تغلب على عمل المدارس وأصبح معيار التعليم قياس المحصول اللفظى لدى التلاميذ .. في حين أنه من المفترض أن للمدرسة وظيفة أعمق وأشمل وهى تعميق الأشياء والظواهر والعلاقات عند التلاميذ . عن طريق خبرات معرفية سليمة تكون منطلقا للتفكير والبحث والتمحيص والإضافة من خلال خبرات تعليمية مستمرة .(مصطفي سويف ٢٠٠٠).

والمعرفة .. هى إدراك الإنسان للعلاقات المختلفة بين الأشياء والأحداث والمعانى المختلفة التى تتضمنها هذه العلاقات . فالمعرفة تمثل مجموعة من الإمكانيات التى تحفز الناس على معاودة بذل جهود جديدة تدفعهم إلى العمل على تحقيق أمور جديدة ، كما أنها تعنى الوسائل المادية والمناهج الفكرية التى توجه التغيير الذي لا بد أن يحدث .

وللمعرفة وظيفة اجتماعية .. فالمعارف والاتجاهات والمفاهيم ليست نتاج عقلي مطلق وإنما هى نتاج متفاعل مع الزمان والمكان الذي يعيش فيه إنسان سواء كان فنانا أو عالما أو أديبا أو صانعا. فأهم مصادر المعرفة وتكوين التصورات الفكرية تلك التى تنبثق من الواقع الاجتماعى ، ووظيفة الإنسان أن يوجد العلاقات بين أنماط من الأفكار والمفاهيم والتصورات المختلفة وبين الظروف الاجتماعية المختلفة التى تظهر فيها (محمد الهادى عفيفي ١٩٧٨) . وقد رصد (ذكى نجيب محمود ١٩٨٢) دراسة للباحث الأمريكى (ماكليلاند) توضح أهمية البعد المعرفي من خلال مواد القراءة ، وتوصل فيها إلى أنه كلما ازدادت مواد القراءة التى تبعث على الأمل والعمل ، جاءت النتيجة بعد ذلك بنحو عشرين عاماً ، زيادة

* عنوان كتاب للصحفي / محسن محمد . ويتناول فيه العديد من الدراسات والقصص عن أثر مشاهدة التليفزيون في كثير من دول العالم – صدر عام ١٩٨٤ – مطابع الأهرام التجارية .

في النمو الاقتصادى والعكس كذلك صحيح ، وتوصل أيضا إلى أن البلاد التى تدهورت – إنما يرجع التدهور إلى أنها بالغت في الإشادة بالطرائق التقليدية في الفكر والسلوك.

ومصادر الثقافة الرئيسية هى (الأسرة – المدرسة – وسائل الإعلام) ، ما زالت تعمل في مجموعها بأسلوب متناقص متعارض في كثير من الأحيان؛ فما يكرسه البيت في وجدان الطفل تنفيه المدرسة ، وما تؤكده المدرسة تهدمه وسائل الإعلام ، فخرج الأطفال بثقافة مشوهة ، محبطة ، انعكست آثارها البعيدة على مستقبلهم . (محمد عماد ذكى ١٩٩٠) . ومع تفاقم الثورة المعرفية والعلمية أصبحت عملية استقراء المستقبل والاستعداد له ، بل محاولة الإمساك به ضرورة ملحة للسيطرة على المتغيرات المتلاحقة والمحافظة على كيان الأمم ووجودها الحضارى.

وهذا لا يتأتى دون دراسة الواقع المعرفي عند الشباب ... من خلال التعرف على ما يدركه من قيم معرفية (نظرية) مرغوب فيها أو عنها . وذلك لأن التغيرات المعرفية و القيمية غالبا ما تكون دالة لأداءات سلوكية معينة – أكثر من أن تكون أسبابا لهذه الأداءات والتكوينات ، والمعارف قد لا تخضع لإعادة تنظيم لكى تتسق مع السلوك- كما تستخدم لتفسير ذلك السلوك .

وقد أشار (ماسلو وموارى) ، إلى أن الحاجات المعرفية ***cognitive needs*** تتقابل والقيمة النظرية ، وهى نوع من القيم ، تجعل من يفضلها يسعى إلى الكشف عن الحقائق وبحث أوجه التشابه والاختلاف بين الظواهر ، كما تؤدى به إلى أن يلاحظ ويفكر ويستدل ، أي أن اهتمامات الفرد تركز على ما هو عقلى . ولذا يوجد ارتباط بين الحاجات والقيم حيث يسعى ذوى الحاجات المعرفية إلى إشباعها من خلال تبنى قيم ذات طبيعة نظرية تحث على المعرفة (طلعت الحامولى،١٩٧٧) كما أن الرغبة في المعرفة حاجة أصلية مستمدة من صميم الوجود الإنسانى (سعد المغربى ١٩٩٣).

إلا أننا نشير إلى أن مفهوم المعرفة ليس مرادفا لمفهوم العلم . فالمعرفة أوسع حدودا ومدلولا ، وأكثر شمولا وامتدادا من العلم . والمعرفة بشمولها تتضمن معارف غير علمية ، لذا يمكن القول كل علم معرفة وليس كل المعرفة علما والفرد يظل معرضا للخطأ والسلبية ما لم يعرف معرفة كافية وصادقة ومحددة في ظل أي نظام يعيش ، وما لم يعرف وفق أي القيم والمعايير يسلك ؟ والمهم في المعرفة .. ماذا يجب أن يعرف ؟ لكى لا يصل إلى حالة التنافر المعرفي التى تسبب حالة مؤلمة على المستوى النفسى لصاحبها . فمثلا: هناك فرق بين أن نعرف أي شئ عن الحياة الجنسية من خلال الإطار الدينى والعلمى وبين أن نعرفها من خلال المصادر الإباحية المخالفة لقيم ومعايير المجتمع .

وفي تراث علم النفس يقال أن – المعرفة شفاء – وهى المعرفة التى أشار إليها من قبل القرآن الكريم في أول ما نزل من القرآن ، وعلى سبيل المثال وليس الحصر :
﴿ اقرأ باسم ربك الذي خلق﴾ آية (١) من سورة العلق
﴿ يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات﴾ من الآية(١١)في سورة المجادلة .
﴿قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون﴾ من الآية (٩) في سورة الزمر . صدق الله العظيم
فالذي لا يعرف حاجاته ومشاعره الحقيقية نحو نفسه ونحو الموضوعات المختلفة يسقط في مهاوي التخبط وسوء التواصل والاغتراب (الاغتراب الثقافي***cultural estrongement***). ولعل في الواقع ما يبين لنا صورة من صور التردى المعرفي في لغة التعامل والتواصل مع الآخرين- وتتمثل في ظهور

استخدام مصطلحات وتعبيرات تدل على اللامبالاة والسلبية – مثل (طنش – اشترى دماغك – فتح مخك – أبجنى – اللحلوح – الأرنب-.. العلم لا يكيل إلا الباذنجان ، وأخيرا كلمة الروشنة ؟؟ ...الخ).

خامساً: القيم الاقتصادية :-

لا يغيب عنا ، أننا أحوج ما نكون في هذه الأيام التى نخوض فيها معركة التنمية الشاملة ضد التخلف أن نعيد بناء الإنسان المصرى ليصبح ذا وعى جديد ليدرك معنى وقيمة العمل في الحياة وفي المجتمع وما ترتبط به من قيم إيجابية تبتعد عن طريق الانزلاق ، و الانحراف عن جوهره الإنسانى . والاقتصاد يدخل في الحياة اليومية للأفراد – سواء أدركوا هذا أو لم يدركوه –وبالتإلى يؤثر الاقتصاد في كل مفردات التعامل اليومى ابتداء من رغيف العيش وطبق الطعام ، إلى أسلوب العمل إلى البحث عن مأوى وسكن ... ويمتد تأثير الاقتصاد إلى الحالة النفسية للأفراد والقدرة على تخطيط المستقبل .

أي أن قوة المتغيرات الاقتصادية تفرض على المواطن العادى منهجا جديدا في التفكير وأيضا إعادة النظر في القيم والمبادئ والسلوك الاقتصادى الذي عليه حاليا وما يدركه للتخطيط للمستقبل . فلقد أثمر الانفتاح الاقتصادى من بين ما أثمر عن ظهور فئة جديدة لتشكل فيما بعد طبقة من الأثرياء الذين أثروا ثراء فاحشا ، بلا جهد حقيقى أو نتيجة عمل إنتاجى له قيمة ملموسة في البنية الأساسية للصناعة بهذا المجتمع . (رؤوف توفيق ،١٩٨٦).

ومن ناحية أخرى لا يغيب عنا أن انتشار السلع الأجنبية في المجتمع النامى يصاحبه بالضرورة انتشار نمط من أنماط القيم الاجتماعية والثقافية والاقتصادية غريب عن واقع المجتمع المحلى . كما أن التمتع بالسلع الاستهلاكية التى ينتجها مجتمع غريب ، يفترض أن يصاحبها قيم هذا المجتمع الغريب لتحل محل قيم المجتمع الأصلى ، بمعنى أنه يفترض أن يغير المجتمع قيمة وعاداته وتقاليده حتى تتفق مع قيم وعادات المجتمع الذي ابتدع هذه السلع .

فمن الملاحظ شيوع الاستهلاك المظهري أو الترفيه منذ مطلع السبعينات وهى ظاهرة ترد عادة إلى ما يسمى بأثر (المحاكاة) أي اندفاع الفرد إلى تقليد غيره ، الأعلى منه دخلا ، في نمط استهلاكه ، وليس ثمة شك في أهمية أثر المحاكاة في زيادة الميل إلى الاستهلاك المظهرى ، ولكن من المهم أيضا أن نلاحظ أن أهم عوامل المحاكاة رغبة الفرد في الظهور بالانتماء إلى طبقة أعلى من طبقة الحقيقية أو الأصلية ، ومن ثم فإن من أهم دوافع الاستهلاك المظهرى الرغبة في الحصول على رموز طبقية تؤكد الارتقاء على درجات السلم الاجتماعى (جلال أمين العالم ١٩٩٨).

أيضا كان من نتيجة التغيرات الاجتماعية المفاجئة ، حدوث خلل وارتباك في كثير من المفاهيم والقيم . حيث ظهرت تساؤلات في محيط الأفراد تعكس مدى الصدمة التى يعانون منها .. تلك الصدمة التى جعلتهم يتشككون في قيمة العمل الدءوب .. وهل يحقق لهم هذا العمل الدءوب قدرا من الأمن الاقتصادى للمستقبل ؟ هل سيحقق لهم فرصة الحصول على سكن مناسب ؟ - أو دخلا شهريا كافيا للوفاء بالتزاماتهم وهل سيظل البعض يستمتع بكل شئ من متع الحياة ... بينما آخرون على حافة الخطر والانتظار بلا أمل ؟ (رؤوف توفيق ١٩٨٦).

فهناك إجماع من المفكرين والباحثين على أن التمسك بالقيم قد أضحى من قبيل الترف الذي لا يسمح به تغير الأحوال ، وتهون أكثر فأكثر التضحية بالمبدأ والشرف وعلا في الناس قيم الشطارة والفهلوة والقدرة على انتهاز الفرص والتكيف مع الظروف المتقلبة والوصولية لأصحاب النفوذ القادرين على فتح أبواب الفرص الجديدة (مصطفي سويف ٢٠٠٠ – غالى شكرى ١٩٩٢- نعمات أحمد فؤاد ١٩٨٦ جلال أمين العالم ١٩٨٣).

ولأن القيم الاقتصادية تشكل أحد عناصر النسق القيمى للمجتمع الذي يهدف ويخطط ويهدف للتنمية الشاملة – أي في جميع جوانب الحياة . ولأن السلوك الاقتصادى للأفراد يشكل في نهاية الأمر المنحى الاقتصادى في المجتمع فلا بد من معرفة أي القيم التى تحكم هذا السلوك .

بمعنى آخر .. إذا كان المال في المقام الأول هو وسيلة لتحقيق الرغبات وإشباع الاحتياجات وأحد مصادر الأمن النفسى والاجتماعى للفرد ، فمن الضرورى أن نتعرف على الصورة الحقيقية للقيم التى تحكم توجهات الأفراد نحو المال والثروة والعمل على اعتبار أن الأفراد هم عصب عملية التنمية.

سادساً: القيم الجمالية *Aesthetic values*

الجمال من أجمل النعم التى تفضل بها الخلاق المنعم – سبحانه وتعالى – على عباده وأضفاها على مخلوقاته ، فألبسها رداء الحسن ، وزينها بآيات الرواء ، والجمال صفة الحق سبحانه ، فالله جميل يحب الجمال ، وللجمال في الوجود صور متعددة ، يلمسها المتأمل في هذا الفضاء الرحب وهذا الكون الفسيح أرضه وسمائه وبحره .

والجمال روح رقيقة تسرى في المخلوقات وتشع فيها وتشرق عليها ومنها ولا يدرك هذه الروح السارية إلا من سرت في نفسه و أشعت في ذاته فاستشعرها وأحسها وتذوقها وعايشها ، أما أصحاب النفوس المظلمة ، والمشاعر المعتمة ، والأحاسيس المتبلدة ، فإنهم لا يدركون سر الجمال ، ولا يعرفون جوهره ، بل آثاره وآياته المبدعات .والذي نفسه بغير جمال لا يرى في الوجود شيئا جميلاً.

ونحن نرى الجمال فيما حولنا من صورة مادية ، وأشكال حسية ، فنراه في حديقة غناء ونهر جار ، زهرة يانعة ، وشجرة مثمرة ، ووجه صبوح وطلعة بهية ، وغير ذلك . كما نراه في أخلاق كريمة ، وصفات حميدة ، وخصال طيبة وفي كل ما هو محبب إلى النفس ، مقرب إلى الحس ...

وفي كتابه الشهير {الإنسان ذلك المجهول} يذهب(الكسيس كاريل ١٩٨٠) إلى أنه لا يمكن فصل الإنسان إلى أجزاء ، إذا لو عزلت أعضاؤه إحداها عن الآخر لما بقى على قيد الحياة .

وهذا القول يصح بنفس القدر على وجدان الإنسان وعن فكرة وعقله فإهمال الجانب الجمالى في حياة الفرد ، يعد بمثابة فصل عضو من أعضاء الفرد ، ولعل إهماله أيضا سبب من أسباب مظاهر القبح ، والفوضى الوجدانية ، والانحرافات المتعددة (كالإدمان – الانحراف الخلقى – الهوس الدينى).

والوعى الجمالى طاقة نولد بها ، ولكنها طاقة غير محددة الهدف تحتاج الملاحظة والقدرة على تنميتها بنفس القدر الذي تنمي به القوى الأخرى ، ثم تستثير هذه في الإنسان كل ملكاته الإداركية ، والحركية ،

ولكن عوامل المواهب الخاصة تحدد لنا الاختلاف في التعبير عن هذا الوعى ، بمعنى أن الاستثارة الجمالية تكون أقوى في حالة عنها في حالة أخرى ، فقد يحرك الوعى الجمالي عند تحوله إلى حاجة جمالية تتلبس الإنسان ، فتثير فيه ملكة البلاغة اللفظية فينظم الشعر أو تحرك الميل إلى عمل تكوينات وأحجام فيرسم أو ينحت أو تتحرك فيه القدرة على الخيالات الصوتية المبهمة فيؤلف الموسيقى ... وهكذا .(وفاء إبراهيم، ١٩٧٧) .

وإذا كان الوعى الجمالي هو النمو المتزايد نحو الاكتشاف الدائم عن الوحدة في الاختلاف ، و التناغم والمتناقضات ، في المتعارضات ، كذلك هو المقترح لمجموعات متنوعة من الحلول أمام العقل الذي يختار في الأغلب أحد الحلول ، فإنه بذلك يغرس احترام الرأي الآخر ومعتقداته ، ويبتعد ذو الوعي الجمالي عن التعصب والتشدد ، وكذلك يجعل الوعى الجمالي صاحبه يبحث دائما عن زوايا جديدة للرؤية فيتجنب الجمود ، وأيضا عن جوانب ومستويات متعددة من التفكير فيتحرر من أحادية النظر العقلية التى تعوق التقدم وتغلق طريق التبادل والحوار الإنساني على أرض يملؤها الاحترام والفهم المتبادل وأيضا التسامح والتقدير (وفاء إبراهيم ١٩٩٧).

ولعل الوظيفة المدنية العصرية قد قتلت في الإنسان شيئا ما حين دمرت روحه وقادته إلى الصراع المادي .. فأصبح ترساً في آلة ليس عليه إلا أن يدور ولكن بلا معنى ولا جدوى وربما بلا هدف .. ففقد قدرته على الاسترخاء والتأمل ، ومن ثم أصيب بفقدان الشعور بالذات وبمعنى الهدف الذي سعى على تحقيقه .. لأنه فقد الجمال الداخلى الذي يجعل منه إنسانا متسامحا ، متواضعا في غير ضعف ، يختلف مع الآخرين في أدب . وقد انعكس هذا على كل شئ في حياتنا المعاصرة (العمارة – الإعلام التربية – الأزياء ٠ الثقافة) ، والإبداع الفنى كالشعر والمسرح والتصوير والنحت والموسيقى ولنأخذ مثلا مجال العمارة .. كمثال .. لما أصبح عليه الشكل الجمالي لكثير من مدن مصر وأهمها القاهرة التى تحولت بعد ألف سنة من إنشائها ، من مدينة عربية ذات طابع معمارى هندسى وعربى مميز يتناسب مع الثقافة والحضارة العربية ، ومع احتياجات البيئة وخاماتها إلى غابة من حوائط الأسمنت المسلح العالية ، تتناقض مع طابعها القديم ، فإذا بها اليوم مدينة بلا طابع معمارى مميز ، وأنها تأثرت إلى حد كبير بموجة (التحديث) . بل التقليد للعمارة الأوروبية الأمريكية . ولعل الخطاب الرسمى المصرى حاليا يحاول الإبقاء على ما تبقى من طرز معمارية تتميز بالأصالة العربية والإسلامية يؤكد ما وصفنا به القاهرة وغيرها من المدن التاريخية .كذلك الحال في المجالات الأخرى التى ذكرناها سالفا .. وخاصة الموسيقى والغناء .

وخلاصة ما سبق .. نجد أن الجمال هو الجانب التذوقى أي استمتاع الناس نتيجة لإدراكهم للعلاقات التى يعبر عنها الآثار الناجمة عن التفاعل مع الأشياء .

أما عن القيم الجمالية ..
بداية يؤكد أن المفاهيم الجمالية غير مستقرة الدلالة في استخدامات النقاد والباحثين لها .. والمحاولات التى نجدها تتمثل في جانبين في الدراسات العربية وهما :

- إما تأليف مباشر لصياغة مبادئ أساسية يقوم عليها علم الجمال الأدبى .
- وإما تطبيق لعدة نظريات ومناهج معاصرة على بعض الظواهر الثقافية والإبداعية لذا ليس من السهل تعريف القيمة الجمالية تعريفا جامعا مانعا ، فالقيمة الجمالية قيمة ثرية متسعة المجال ، متعددة

الخصائص والسمات ، كثيرة الارتباطات، فهى ترتبط بالتراث ، وبالوعي الجمعي ، وبالمستوى الثقافي و بالمناخ الاجتماعي والنضج النفسي كما أنها متنوعة الأبعاد وفقا لمستوى رؤية المتلقي ، فهى قد تحقق للبعض لذة ومتعة وتسلية ، وقد تمثل لآخرين احتياج ضروري يصله بالآخر في كل صورة .
وفي دراسة حضارية مقارنة عن القيم عرف (عطية هنا ١٩٦٥) القيم الجمالية بأنها اهتمام الفرد وميله إلى ما هو جميل من ناحية الشكل أو التوافق ، وهو لذلك ينظر للعالم المحيط به نظرة تقدير له من ناحية التكوين والتنسيق والتوافق الشكلي ومعنى هذا أن الذين يتميزون بهذه القيمة يكونون فنانين مبتكرين بل أن بعضهم لا يستطيعون الإبداع الفنى وإن كانوا يتذوقون نتاجه .

القيم :

يستمد الإنسان أسلوب تفكيره وأنماط سلوكه وحدود حرياته ومعالم القيود والمحرمات والتقاليد والمثل ... الخ يستمدها رويدا رويداً من الوالدين وأسرته وحلقاته الاجتماعية في البيت والشارع والقرية والمدينة والمجتمع الأكبر . ويتلقى الفرد تلك التعاليم سطرا سطرا ، ويحتسى الثقافة المحلية جرعة جرعة .. ويتدرج في العادات الجارية خطوة تلو الأخرى وتبدأ حياكة المجتمع للفرد منذ أيام الطفولة . والفرد يكتسب معالم فرديته عن طريق التنشئة الاجتماعية ومؤسساتها ، وهى عملية مركبة لا غنى للفرد عنها ، تؤثر فيه كما يؤثر الماء والهواء والغذاء ، حتى أن اختياره وإبداعه وما يعتقد أنه من خصائصه المكونة لصميم فرديته تأتيه من الجماعة ، وبالمقابل فإن الفرد يفعل في الجماعة ، وخاصة الفرد المبدع المبتكر ، وينتج عن هذه العلاقة الجدلية أن تأتى ثقافة الجماعة محصلة لشخصيات الأفراد وإبداعهم كما يمتص الفرد عالمه الثقافي يمتص المجتمع إسهامات الأفراد .

ومعنى ذلك .. إننا بقدر ما نبدع واقعنا نكون في الوقت نفسه ناتجه وحصيلته . ونستند في ذلك على ما ذهب إليه (تالكوت بارسونز) إلى أن الفرد يستدخل أو يستوعب قيم النسق بداخله بحيث تصبح القيم الأخلاقية مصاغة بنائيا في شخصيته ، بل وتشكل طاقة اندفاعه الحافز بحيث تصبح حركة الفاعل نحو التوافق وقيم النسق ليس خوفا من سطوتها وعقابها ، بل يصبح ذلك إرادياً . (على ليلة ، ١٩٨٨) .

وقضية استيعاب القيم وإدراكها تمثل حجر الأثاث في المسألة الثقافية بصورة عامة ولدى المتخصصين في علم النفس بصورة خاصة فقد ذهب كلا من (جروسيك وديكس) إلى أن المتخصصين في علم النفس يواجهون تحديا كبيرا يتمثل في استكشاف كيفية استدخال أو استدماج القيم المجتمعية ، وكيف يتبنى الأطفال قيم واتجاهات معينة . (***Dlx , T., 1986)&Grusec, E***

وفي ذلك إشارة إلى الصعوبة أو الغموض الذي ما زال يكتنف عملية اكتساب القيم, وقبل البحث عن طريق لكشف غموض هذه العملية وفهم ديناميا تها نود أن نحدد خطانا ، حيث يفرق العاملون في هذا المجال بين اكتساب القيم وتغيير القيم ، فيحدد (ريشر ***Rescher***) عملية اكتساب القيم بأنها العملية التى يتبنى الفرد من خلالها مجموعة معينة من القيم في مقابل التخلى مع قيم أخرى . أما التغير القيمى ويقصد به تحرك وضع القيمة على هذا المتصل ،فالاكتساب يعنى وجود القيمة من عدمه ، أما التغير فهو الدرجة التى يتحدد بها هذا الوجود ***(Rescher , N., 1969)*** .

ولكى نصل إلى فهم الميكانيزمات المفسرة لعملية اكتساب القيم سوف نعتمد على بعض المداخل الملائمة لذلك في البحوث النفسية مع الاهتداء بالتيارات الرئيسية في علم النفس كإطارات مفسرة لتلك العملية ، مثل التحليل النفسى ، ونظرية التعلم الاجتماعى والمنظور الارتقائى .

- منظور التحليل النفسى :-

طبقا لفرويد (***S.Frued)*** ، فإن الشخصية تتكون من ثلاث أبنية وهى (الهو ***id***) (والأنا***ego***) ، (والأنا الأعلى ***suber ego***) وهذا الأخير يعكس معايير المجتمع ويناضل من أجل حمايتها ، ينمو خارج الأنا في حوالى الخامسة أو السادسة من خلال التوحد ***Identification*** مع أحد الوالدين يستدخل الطفل بعض الأنماط المعقدة من سلوك الوالد وسماته الشخصية وخصائصه ودوافعه ومعاييره وقيمه . والأنا الأعلى تحتوى على نظامين فرعيين : الضمير والأنا المثالية . وتتضمن الأخيرة المعايير الأخلاقية أو المثاليات بينما يحكم الضمير وينظم سلوك الفرد ويعاقبه على الانتهاكات من خلال الشعور بالذنب ، وقمع أو إعاقة الدوافع الغريزية النشطة التي تنتهك الميثاق الأخلاقي الذي استدخله الطفل .

و من هنا تكمن أهمية التنشئة الاجتماعية ، و بالأخص الوالدية ، و التي تضم التفاعل المبكر و الدائم بين الوالد و الطفل في عملية اكتساب القيم . و إن كان بعض منظري التحليل النفسي ، و الذين يطلق عليهم (المتخصصون بسيكولوجية الأنا) مثل(فلوجل ***flugel***) ، و (ستلج ***settleg***) ، حيث يؤكدون على الدور المهمين لعمليات الأنا – بدلا من الغرائز – في تطور الشخصية ، و ينبذون فكرة أن السلوك الأخلاقي و القيم يمثلان ببساطة في استدخال القيم الوالدية والمجتمعية عند سن الخامسة أو السادسة ، ويعتبرون التوحد والتطور الأخلاقى في عمليات إبداعية مستمرة تمتد إلى المراهقة والرشد . وعلى الرغم أن الوالدين قد يساهمان في المحتوى الأساسى للأنا المثالية للطفل فإن صور التوحد مع الآخرين ذوى الأهمية (المدرسين – أتراب – الرؤساء ...الخ) .

يبدو أنها مؤثرة في تغير التوجيهات الأخلاقية والقيم تصاحب النضج في بنية الأنا كالتغيير من العطف الأخلاقى إلى العطف التلقائى ومن الخوف إلى الأمن ، ومن التبعية [استخدام المعايير الخارجية ، ومعايير ذو السلطة في اتخاذ الأحكام الأخلاقية] . إلى الذاتية (التلقائية) ويستطرد (ايزنبرج ومينوس) أن لمفهوم التوحد أهمية كبيرة في استدخال القيم الإنسانية والمجتمعية ، فإذا كان الوالدان يتسمان بخصائص وقيم إيجابية قد يتبنى أطفالهم هذه الخصائص من خلال التوحد (***Mussen &Eisemberg 1989)***,وتضيف (جروسيك ، وديكس)، أن التوحد يتم كذلك مع قيم واتجاهات الوالد المخيف (التوحد للمعتدى) .

- منظور التعلم الاجتماعى :-

يرى أصحاب نظرية التعلم الاجتماعى أن الطفل يكتسب الضمير أو مجموعة المعايير الداخلية والتى في ضوءها يحكم على ما هو مناسب وغير مناسب من أشكال السلوك بنفس الطريقة التى يكتسب بها الدور الجنسى الملائم للثقافة .فالفرد يتمسك ويتبنى قيما معينة ، لأن السلوك المعبر عنه له عائد مدعم وبالتالى فإن القيم تكتسب – في حالة التعلم الاجتماعى – من خلال تدعيم مجموعة أنماط السلوك الذي يعبر عن هذه القيمة ، فتصبح القيمة ، قيمة تدعيمية تمثل التدعيم الذي نتج عن هذا السلوك وعلى هذا فإن القيمة تمثل دافعا لسلوك معين . وافترض (باندورا ***Bandura***) أهمية التعلم من خلال النموذج الاجتماعى

Social Model والمحاكاة ***Imitation*** كذلك التعلم من خلال الخبرة ***Vicarious learning*** ويرى أن الأفراد يضعون معايير يحققونها بأنفسهم من خلال ملاحظة معايير الآخرين والتدعيمات الفارقة لهذه المعايير ، وينتج عن التمسك بهذه المعايير التدعيم الذاتى – ***Self Reinforcement*** بينما يؤدى إنتهاكها إلى العقاب بهذه الطريقة يتم الاحتفاظ بالسلوك مستقلا عن الضبط الخارجى (***Grusec & Dix 1986)*** .

ويعلق البعض أهمية كبيرة على مفهوم التعلم بالملاحظة أو فكرة (الشخص النموذج)في تعلم القيم والسلوك ، فمن خلال عرضه لنتائج البحوث في هذا الصدد يقرر (فلدمان ***feldman***) أن رؤية شخص يتصرف بكرم وإيثار سيؤدى إلى زيادة سلوك الكرم لدى جزء من المشاهدين ، وبصورة متشابهة ، فرؤية نموذج أنانى ينتج عنه سلوك أنانى (***feldman, RS., 1981)***.

ومن المحتمل أن يكون النموذج الذي هو في وضع قوة وسلطة بالنسبة للطفل أكثر تأثيرا من تلك النماذج التى لا تمتلك القوة أو السلطة ، وبصورة مشابهة فالنموذج الذي يتميز بالدفء والاهتمام بالطفل سوف يكون أكثر تأثيرا .(***phares***١٩٨٨)

وفي دراسة أجراها (بريان وست . ***Bryan &West***) يعرض فلدمان نتائج هذه الدراسة بأنها أظهرت تأثيرات النمذجة في إبداء سلوك المساعدة ففي الدراسة مر المبحوثون في أحد الظروف التجريبية على رجل يساعد امرأة في تغير سيارتها عند أحد الطريق السريعة الخطرة ، وبعد ربع ميل على امرأة أخرى تحاول تغير إطار سيارتها ، لكن هذه المرة بمفردها ويبدو أنها في حاجة للمساعدة . وكان السؤال التجريبى : كم عدد الناس الذين يتوقفون لمساعدتها في المجموعة التجريبية ، مقارنة بمجموعة تجريبية أخرى لم تمر من قبل بالنموذج الذي يقدم المساعدة . أوضحت النتائج أن النموذج كان فعالا ، ففي المجموعة التى لم تشاهد النموذج توقف ٣٥ فرد فقط من أربعة آلاف شخص ، بينما توقف أكثر من ضعف هذا العدد لتقديم المساعدة من المجموعة التى شاهدت النموذج ***(feldman R, S, 1987)*** .

وبعد مراجعة التراث البحثى عن النمذجة فرض(رشتون) استنتاجا مؤداه أنه عند التعرض لمدة قصيرة لمشاهدة نماذج الأشخاص المهمة في حياتهم ، يمكن أن ينتج لدى فريق من الأطفال زيادة في السلوكيات المساعدة الاجتماعية وبالطبع ، لا يصدق هذا على الأطفال الذين لا يفعلون سوى تقليد النموذج أيا كان ، أنهم يميلون إلى اتباع النماذج التى لها خصائص تدعيمية لهم .(***Phares , 1988)***

وفي مراجعة حديثة لنظرية التعلم الاجتماعى تم إضافة بعض العوامل الهامة وخاصة المعرفية منها ، اتخاذ المتطور ***Taken – perspective*** حيث تعلب النوايا وعمليات التقييم الذاتى أدوارا هامة في تنظيم السلوك ومن خلال استخدام التمثيلات المعرفية ، يكون بمقدور الأفراد توقع نواتج السلوك والتصرف بطرق يكون القصد منها إحداث الحالة المرغوبة وهم يضعون كذلك أهدافا لأنفسهم بصورة سلبية إذا لم يتصرفوا بطرق متسقة مع تمثيلاتهم المعرفية عن السلوك الملائم ولأن الرضا عن الذات يتلائم مع الحياة وفق المعايير الداخلية ، يخلق الحوافز لضمان ديمومة جهودهم في الحياة وفق المعايير الداخلة ، وبصورة عامة طبقا لنظرية التعلم الاجتماعى ، يلعب القائمون بالتنشئة الاجتماعية دورا رئيسيا في تعلم القيم والسلوك الأخلاقي ، بالإضافة إلى التنظيم الذاتى للأفراد لسلوكهم وفق القواعد والقيم المستدخلة (***Mussen 1989&Eisemberg*** .

ومن منظور آخر يرى(بترى ***Petri, 1987 .***) أن القيمة كمكون أساسا تعتمدعلى الإيمان أو التبنى لأفكار ومعتقدات تشمل الإيمان بأن هناك أشياء أو نتائج معينة ذات قيمة كبيرة (مثل النجاح الدراسى - الحياة الآخرة) . وعامل آخر هام في القيمة كبناء معرفي هو التوقع ويعنى توقع الفرد أن سلوك ما سوف يحقق له هدف يعتبر ذا قيمة كبيرة ، أيضا أن الفرد سوف ينجح في تحقيق الهدف (أي إمكانية تحقيق الهدف – مضافا إلى ذلك أن هذه المكون المعرفي يحدد نتائج السلوك التى يدركها الفرد بشكل انتخابى ذاتى ، بمعنى أن الفرد يهتم – يدرك – بجوانب معينة من المواقف ونتائج سلوكه . وهذا الانتخاب ***Selection*** يحدث من خلال معتقداته وقيمة (البناء المعرفي).

- المنظور الارتقائى -

بينما يسعى المحللون النفسيون للبحث عن القيم والسلوك الأخلاقى في جذور العلاقة الانفعالية للفرد ، ينظر أصحاب هذا المنحى إلى النمو المعرفي ، فقد أراد (بياجيه ١٩٣٢) معرفة كيفية وصول الأطفال إلى الأحكام الأخلاقية عندما يصبحون ناضجين والتبريرات التى يقدمونها عن تصرفاتهم (***phares,*** ١٩٩٧).و حسبما يرى (بياجيه) يأخذ الطفل الصغير [أقل من عشر سنوات] الأشياء على علتها ويهمل غالبا دقائق الأمور مثل النوايا والمقاصد [التوجه الموضوعى] وعندما ينضج الطفل (بعد العاشرة) ، تصبح الأحكام الأخلاقية مرتبطة بالظروف ونوايا الشخص المتضمنة في الموقف ، أي أن بياجيه ينظر إلى الحكم الأخلاقى على أنه نتيجة نضج العملية المعرفية .***(Phares 1988)***

واكتشف (بياجيه ١٩٣٢) أن الأطفال يمرون من خلال مرحلتين متمايزتين على الأقل في تطورهم الأخلاقى ، مثل العقلى . فتحى عمر (٨ سنوات) يكون الطفل لديه أخلاقية تابعة ***Hhteronomous Morality*** التى تعنى الأخلاقية الخاضعة لقانون شخص آخر ويتم تحديد الصواب والخطأ في ضوء الأشياء التى يعاقب ويثيب عليها الكبار الذين يمثلون رموز السلطة . ويستخدم محركات بسيطة – مثل إتلاف الأشياء – في الاستدلال على رموز الفعل المحتملة للكبار في موقف ما إلا أنه بعد عمر (٨ سنوات) تكون المهارات المعرفية للطفل ناضجة بصورة كافية لتسمح بتطور الأخلاقية التلقائية والتى تستخدم مبادئ هامة مشتقة من أحداث يخبرها خلال المرحلة الأولى ، ولكنها تتضمن الآن مفاهيم القصد والظروف المخففة والطبيعية النسبية لقواعد التصرف .

وانتهى (بياجيه) إلى أن الأخلاقية التلقائية الكلية لا يتم الحصول عليها في العادة قبل مرحلة المراهقة المبكرة (***Samuel, w., 1981)*** . ومثل بياجيه يعتقد (لورانس كولبرج) أن الحكم الأخلاقى يسير في مراحل ، وإن كان (كولبرج) قد قسمها إلى ثلاث مستويات ، كل مستوى يضم مرحلتين ففي :

- المستوى الأول :

* المرحلة الأولى : وهى (توجه العقاب والطاعة) وفيها تعتمد رداءة أو جودة الأفعال على ما إذا كان المرء يعاقب أو لا يعاقب عليها.

* المرحلة الثانية : وهى التوجه الوسيلى النسبى- وفيها يتجه الأطفال نحو إشباع حاجات ورغبات المرء الخاصة .

* المستوى الثانى : وهو العرفي ويقع في الطفولة الوسطى – وفيه يتأثر الطفل بالمثاليات الناشئة عن معايير الأسرة والجماعة, وتقع في هذا المستوى :

* المرحلة الثالثة : وهى توجه الطفل الطيب أو اللطيف وفيها تكون الأفعال الإيثارية هى المرغوبة أكثر من الأنانية .
* المرحلة الرابعة : وهى : توجه القانون والنظام – وفي هذه المرحلة ينبغى على المرء أن يعمل بمقتضى السلطة والاحتفاظ بالنظم الاجتماعى .
* المستوى الثالث والأخير " ما بعد العرفي" :
ويقع في مرحلة المراهقة والرشد وفي المستوى يصبح إحساس الشخص بالصواب والخطأ منفصلا عن هوية الجماعة
- المرحلة السادسة : (التوجه العالمى) حيث يتطور السلوك الأخلاقى بمرور الأعوام ، وتكون المبادئ مجردة شاملة . (***phares***, ١٩٩٧)

من خلال عرضنا الموجز لأفكار اثنين من أبرز منظرى المنحنى الارتقائى وكما يرى (صامويل) أن استدخال القيم كعملية تطورية ، ذات طابع استعدادى ، حيث يكون الطفل مدفوعا بالنضج البيولوجى من خلال تتابع تدريجى للمراحل (وإن اختلفنا في عددها) ، وعند وقت معين يظهر الاستدلال الأخلاقى ، والذي يكون متسقا مع المرحلة التى يمر بها ، وهى عملية اجتماعية الطابع حيث لا بد أن يتعرض الأطفال لأمثلة على الاستدلال من مرحلة أعلى مما هم فيها حتى يتقدموا في تطورهم الأخلاقى.

من خلال العرض السابق والذي اختص بتناول كيفية اكتساب القيم من خلال أبرز التوجهات النظرية في علم النفس ، والذي يكشف عن أهمية عملية التنشئة الاجتماعية في هذا السياق . ومن الثابت أن لكل مجتمع من المجتمعات نماذج وأنماط تحدد ما يجب أن يكون عليه أفراده ، حيث تتبلور هذه النماذج والأنماط في شكل صيغ مجردة تشكل ما يسمى بقيم المجتمع والتى يحاول المنشئون نقلها للأعضاء الجدد ، بحيث تخلق في النهاية ما يسمى بالشخصية القومية للمجتمع ، ولا يعنى ذلك جعل الأفراد نسخا متشابهة ولكن بصورة تسمح بالفروق التى تبرزها المتغيرات المختلفة (كالسن- الجنس -المهنة - ....الخ)

وعندما ننتقل إلى تبنى المنشئين لقيم المجتمع ومدى التزامهم بها يأتى على قمة هؤلاء المنشئون الوالدان والمدرسون وقادة الفكر والرأي في المجتمع والذين يقع عليهم عبء عملية نقل قيم المجتمع ، والذين يتوقف فاعلية دور كل منهم على مدى التزامهم بتلك القيم أو بالأحرى تشابهها مع قيمهم ، وإذا سلمنا جدلا بالتزام الوالدين بتلك القيم ، فهل يمكن نقلها للأبناء خاصة من هم في مرحلة المراهقة ؟ وخاصة ما يقال عن وجود تعارض بين قيم الآباء والأبناء في هذه المرحلة ، ولاستجلاء ذلك فقد اهتمت بعض الدراسات بالوقوف على هذا الأمر

– فمثلا وجد (باتشمان ، وأوميلى ،وجنسون , ***Bachman Omally, johnson***) ، أن قيم طلاب السنة الثانية من المدرسة العليا تتوافق مع قيم الوالدين أكثر بكثير مما يفترضه الكثيرون عن وجود صراع بين قيم الآباء والأبناء فهناك تشابه بينهما خاصة القيم الأساسية مثل الأهداف التعليمية و الطموحات المتركزة على المستقبل ، كما يستمر المراهقون في تأييد الوالدين في القضايا المتصلة بالمجتمع و المسائل الأخلاقية ***(karen owens, 1993)*** أما عن قيم الأتراب التي قد تتعارض مع القيم الوالدية ، تضيف (كارين أوينز) بأن مثل هذا التعارض قد لا يقع فيه المرء خلال فترة المراهقة أو لا يقع فيه كل المراهقين و طبقاً للبحوث فإن امتثال المراهقين يعتمد على نضجهم و نمو علاقتهم بوالديهم و لعل الأخيرة هي المتغير الحاسم في هذا الشأن حسبما تشير أدبيات البحوث في التنشئة الاجتماعية فتوحد

الابن بقيم و معتقدات الأب يتم في حالة كونه إيجابياً و جذاباً بالنسبة للابن و على هذا فإن المراهقين لا يختلفون بصورة عامة عن والديهم في القضايا ذات المغزى ، و أولئك الذين لهم علاقة وثيقة بوالديهم قد يختارون الأتراب المتشابهين لنظامهم القيمي أكثر من المتعارضين معهم***(karen owens)*** .

و عن التوافق بين قيم المعلم و تلاميذه ، أظهرت دراسة (فؤاد أبو حطب١٩٧٤)أن التوافق يرتبط بأسلوب المعلم وعلاقته بتلاميذه فأسلوب التقبل يؤدي إلى تحقيق التوافق بين القيم الاجتماعية للمعلم و تلاميذه ، و أسلوب الدفء و الصداقة يؤدي إلى الانتماء ، بينما كان لأسلوب المعلم الذي يتسم بالتمركز حول العمل إلى التوافق في القيم النظرية .

و تشير نتائج الدراسات التي اختصت بالوقوف على دور قادة الفكر في (مصر) في نقل القيم إلى تدني دورهم ، فمثلاً في إحدى الدراسات التي أجريت على عينة منتقاة من القادة في المجالات المختلفة و الذين يفترض فيهم أن يكونوا المثل و القدوة في الانتماء و التفاعل الإيجابي ، كشفت النتائج عن ضعف انتمائهم وعدم قدرتهم على التأثير بشكل إيجابي و فعال من ناحية أخرى حيث يمارسون سلوكيات لا تختلف عن العامة (مجدة أحمد ،١٩٨٥).

و من الجدير بالذكر إن هناك إشارات متعددة لانخفاض الانتماء لدى المثقفين عموما فمثلاً ما تطالعنا به الصحافة – خاصة القومية – عن ممارسات سلبية لسلوكيات الصفوة السياسية و الذين من المفترض أنهم يمثلون القدوة الطيبة للجماهير .

من هذا المنطق قد يكون من الطبيعي أن تقل قدرتهم على التأثير في الآخرين (المواطنين) فسلوكياتهم لا تتفق و الشعارات التي يطرحونها و لا يلتزمون هم بتنفيذها مما يفقدهم المصداقية ويعلق (عبد الرؤوف ثابت ١٩٩٥)على دور المثقفين في المجتمع المصري الآن بأنه انحصر في اتجاهين :-

أ - مداهنة الحاكم على حساب الصالح الاجتماعي .

ب - وقوف المثقفين موقف اللامبالاة لما يحدث في المجتمع فلا يضيقوا دعما أو يمنعوا خطئاً .

و عموماً يمكننا أن نرصد وجود فجوة بين قادة الرأي و الجماهير العريضة و بالتالي لنا أن نتوقع غياب فاعليتهم .و لذا يدعو (فرج طه ١٩٩٣) كافة المثقفين و قادة الرأي لأن يجسدوا بسلوكهم الفعلي القدوة الصالحة لمواطنيهم .

- بعض مصادر اكتساب القيم -

لقد أصبح من الضروري أن نتعرف على مدى الالتزام بالقيم الإيجابية و مدى فاعلية التنشئة الاجتماعية و مؤسساتها في بث القيم المرغوبة لخلق شخصيات الأفراد بما يتفق وأهداف المجتمع ، و ما يضمن لنا الاحتفاظ بذاتنا الثقافية وسط الخضم الهائل المتدفق من الرسائل الثقافية عن طريق الأقمار الصناعية التي جعلت من العالم قرية صغيرة و لعل أحد وأهم و أخطر وظائف التنشئة الاجتماعية في الوقت الراهن هو الحفاظ على الهوية و الملامح المميزة للمجتمع المصري ، بما تعكسها من تراث حضاري ثقافي يمثل البناء الأساسي للشخصية المصرية .

والتنشئة الاجتماعية عملية يتم بمقتضاها تأهيل الفرد لكى يصبح قادرا على التفاعل ضمن النسق القيمى من خلال أداء أدواره في المجتمع بصورة فعالة وهى عملية مستمرة طوال حياة الفرد ، ويقوم بها مؤسسات عديدة [الأسرة – المدرسة – جماعات الرفاق – وسائل الإعلام – دور العبادة – الأحزاب ...الخ] .

وهذه المؤسسات تمارس تأثيرات متباينة على الفرد تبعا للمرحلة العمرية التى يمر بها ففي السنوات المبكرة تلعب الأسرة دورا أساسياً في ذلك ومع اتساع البيئة الاجتماعية للطفل تبدأ جماعات الأصدقاء والمدرسة في ممارسة أدوارها المفترضة في هذا الشأن ، كذلك التعرض لوسائل الإعلام وقد تختلف (أو تتفق) تلك المؤسسات من حيث المبادئ التى تسعى لتوكيدها من قيم واتجاهات ...الخ ، وذلك طبقا لظروف المجتمع الاقتصادية والسياسية ... الخ .

وتجدر الإشارة إلى أن هناك قدرا من التداخل بين تأثير كلا منها في نفوس الأفراد ، بحيث لا يمكن عزل أثر إحداها عن الأخرى ولكن لاعتبارات نظرية نقوم بعرض كلا منها بصورة مستقلة .. كما أننا سنركز على بعضها وليس جميعها وذلك لافتراضنا بأن الأسرة والمدرسة – وجماعات الرفاق ، ووسائل الإعلام ، قد تكون أهم المؤسسات التى تسهم في التنشئة القيمية للأفراد الذين هم في مرحلة المراهقة .
وفيما يلى نعرض لصورة موجزة لكلا منها .

-الأســــــــرة-

تعتبر الأسرة من أهم عناصر التنشئة الاجتماعية بصفة عامة والقيمية بصفة خاصة ، وتكتسب الأسرة هذه المكانة لكونها البيئة الاجتماعية الأولى التى تتولى الفرد منذ حياته المبكرة وتعمل على إشباع حاجاته الأساسية ، كما أن التفاعل بين الأسرة والفرد يكون أشد كثافة وأطول زمنا هذا إلى جانب العلاقة الانفعالية التى تربط الفرد بالأسرة .

وتعتبر فترة ما قبل المدرسة من أهم الفترات التى تتشكل فيها ملامح شخصية الطفل المستقبلية وتحديد معالم سلوكه الاجتماعي ، والذي يؤثر بالطبع على قيمه وسلوكه مستقبلا ، وتعد هذه المرحلة من أهم الفترات النمائية لما يحدث فيها من تشكيل (الأنا) وبداية نمو الضمير أو (الأنا الأعلى) والذي يتشكل عبر أساليب التنشئة الوالدية والملاحظة والتقليد مما يسهم في استدماج القيم والمعايير والاتجاهات التى تتميز بها الثقافة الفرعية التى ينتمى إليها الآباء . [محمد عماد الدين إسماعيل ١٩٨٦-مصطفي سويف ١٩٨١]. وعلى الرغم من تعدد علاقات الطفل – في مرحلة الطفولة المتأخرة – وارتباطه بالمؤسسات المختلفة كالمدرسة وجماعات الأصدقاء ، إلا أن علاقته مع والديه تؤثر تأثيرا كبيرا في تشكيل الجانب الأكبر من شخصيته وتسهم في توحده مع عدد من الأنماط الثقافية والقيم التى يتكون منها البناء الاجتماعي والسياسى (***langton, 1969)*** .

وانتهى (هربرت هايمان ***Hyman , H, 1959***) .إلى أن الأسرة في كل الثقافات تحتل المرتبة الأولى في التنشئة السياسية نظرا لما لوحظ من تشابه بين الآباء والأبناء في المعرفة السياسية والاختيار الحزبى .

كما تشير نتائج البحوث الحديثة إلى أن وجود تشابه بين الأبناء والآباء في الانتماء الحزبى والالتزام بالقضايا والآراء السياسية ، وتتوقف القيم والاتجاهات التى يتعلمها الفرد داخل الأسرة على عوامل عدة منها مكانة الوالدين (الأسرة) على السلم الاجتماعى ، ومدى قدرتهما على إشباع حاجاته المختلفة ، ونوع القيم التى يؤمن بها الوالدان بثقافتهما . (سعد جمعة ١٩٨٤
Chapman, G , 1987) كما تسهم الأسرة بصورة غير مباشرة في غرس قيم معينة في نفوس الأطفال وذلك من خلال أسلوب التنشئة المتبع فإذا كان الأب متسلطاً في علاقته بأفراد الأسرة فإن من المحتمل أن يؤدي ذلك لدى الأبناء إلى قيم الإكراه و السلبية والخنوع ، و في المقابل إذا كان ديمقراطياً فإنه قد يؤدي إلى غلبة قيم الحرية و المساواة .

و من خلال الملاحظة البسيطة في المواقف الحياتية يكتسب الطفل من الوالدين بعض الاتجاهات و القيم ، و طاعة الأب لتعليمات رجل المرور في الطريق العام ، فالابن يعرف أن هناك نمطاً آخر من السلطة التي تستوجب الطاعة و الاحترام . و هكذا يميل الأبناء عادة إلى التأثر بسلوك الآباء ، مما يجعلهم يميلون إلى تقليد آبائهم أو التوحد بهم في قيمهم ، لكن يتوقف ذلك على مدى كفاءة الوالدين في إرساء دعائم الاحتكام إليهما كنماذج جذابة و مقنعة بالنسبة للابن .

- المدرســـــــة -

تمثل المدرسة المؤسسة الرسمية الأولى التي توظفها النظم السياسية في بث و ترويج قيم معينة تتفق وأهدافها لدى صغار النشء ، ففي معظم النظم السياسية – في الدول النامية بصفة خاصة – يناط بهذه المؤسسة غرس القيم و الاتجاهات التي تراها ملائمة لأهدافها من خلال المقررات الدراسية التي تقدمها للنشء ، و تكتسب المدرسة أهمية خاصة في ذلك لاعتبارات عديدة منها ، طول الفترة التي يقضيها الفرد في التعليم ، و ارتباط النظام المدرسي بالدولة و خضوعه للسلطة السياسية ، فالتعليم هو الأداة الرئيسية لإحداث التغيير الاجتماعي (***langton ,k, 1969***) ، و يتأثر التعليم بالفلسفة الاجتماعية السائدة في المجتمع و غالباً ما يعمل على تدعيمها ، فالتعليم في الدول الدكتاتورية أداة لإعداد مواطن يتفق في صفاته مع نظامها و أهدافها ، حيث الامتثال و الخضوع و يختلف الأمر عنه في الدول الديمقراطية ، حيث يعتبر السبيل لخلق قيم الديمقراطية و الحوار .

و هكذا فإن التعليم في كل الأحوال هو السبيل إلى التنشئة القيمية الملائمة للنظام السياسي و يتم من خلاله نقل المعارف المختلفة بصورة مباشرة أو بصورة غير مباشرة و تأكيد الشعور بالوطنية و الولاء و بث القيم و الاتجاهات الإيجابية للأفراد نحو بلدهم و نظمها السياسية و الاجتماعية . لكن كيف تقوم المدرسة بهذا الدور؟ فإنه يمكن تصور دور المدرسة في هذا الشأن عبر طريقتين هما :
المحتوى الصريح للمقررات ، الذي يؤكد بصورة مباشرة على تنمية قيم واتجاهات معينة ، مثل مقررات التربية الدينية ، و التربية الوطنية ، و الدراسات الاجتماعية و اللغة العربية .

المحتوى غير المباشر أو ما يسميه علماء التربية (المنهج الخفي- ***hidden curriculum***) و الذي يتمثل في طبيعة النظام المدرسى و ما يحويه من أنشطة وفعاليات تصاحب المقررات ، و التي قد تساند أو تعارض ما تؤكده المقررات الصريحة, بالإضافة إلى دور المدرس أيضاً و قيمه .

و بدءا بالمحتوي الصريح للمقررات الدراسية ، نجد أن معظم النظم السياسية قد درجت على تخصيص مقررات معينة لإكساب التلاميذ المعلومات و المعارف التي تعينهم على فهم بناء المجتمع و نظامه السياسي و يشمل هذا المعرفة بحقوق وواجبات المواطنة و توزيع السلطة في المجتمع ، و تأكيد القيم الوطنية التى من شأنها خلق الانتماء و الولاء للوطن فالتربية الوطنية في مصر على سبيل المثال – كمقرر دراسي يناط به تنمية مجموعة من القيم الإيجابية و التي تنمي لدي الأفراد الانتماء و الولاء للوطن (وزارة التربية و التعليم ١٩٩٦/٩٥) و يسهم في ذلك أيضا بعض المقررات الأخرى كالتربية الدينية والدراسات الاجتماعية .

والمستقرئ لأوراق العمل والتقارير الرسمية والمبادئ الأساسية التى تقوم عليها السياسة التعليمية في مصر من السبعينات وحتى الآن يجد أنها قادرة على الوفاء بتحقيق الأهداف القومية الكبرى في تشكيل وبناء شخصية المواطن الصالح القادر على تحقيق تنمية ذات مجتمعية .(فكرى شحاته ١٩٨٧) وفي المقابل نجد المفارقة المثيرة للدهشة حيث تشير نتائج الدراسات الميدانية التى أجريت في مصر في هذا السياق التى تدني دور المدرسة عموما في إكساب التلاميذ القيم والمهارات المتضمنة في تلك المقررات ، فضلا عن بروز اتجاهات وقيم سلبية لدى التلاميذ .(سمير خطاب ١٩٩٩).

فالقضية ليست في روعة المقررات وحبكتها الفنية ، أو مدى تحميل تلك المقررات أفكار معينة ، ولكن الأكثر أهمية هو تفاعلها مع معطيات الواقع؛ فالأهداف والقيم التى تشيع في المقررات الدراسية بدون الجو الملائم من مناخ اجتماعى ومعلم يؤمن بتلك القيم تصبح غير ذات قيمة ، ولا تؤدى إلى النتائج المرجوة منها .

ومن الجدير بالذكر أن المدرسة تبلغ أقصى درجات الفاعلية في التنشئة القيمية إذا كان ثمة تطابق بين ما تنشره المقررات الدراسية وما يعايشه الفرد من خبرات ، فحينما تؤكد المقررات مثلا على قيم المساواة والإخاء والترابط وتنطوى معاملة المدرسين للطلاب على عكس ذلك ، فإن هذا بلا شك يؤدى للتناقض وليس للتطابق ، فالمناخ المدرسى له أهمية كبيرة إلى جانب المقرر الدراسى, ففي كثير من البلاد المتقدمة نجد أن التربية تنمي لدى النشئ منذ نعومة أظافرهم الروح العلمية ، ويساعد على ذلك الألعاب والكتب والأغانى والقصص التى تعزز الدافع للإنجاز والترقي الذاتي .

وإذا انتقلنا إلى المحتوى غير المباشر والمتمثل في الجو المدرسى ودوره في إكساب وترسيخ القيم بأنواعها . فنجد الأنشطة المختلفة التى يتم تنفيذها وتسهم في إكساب الطلاب المعارف المختلفة . فالاتحادات الطلابية تعد من أهم الأنشطة المدرسية التى قد تسهم في توعية الطلاب بواجباتهم وحقوقهم نظرا لما تتيحه للطالب من معرفة وممارسة لحرية التعبير وإبداء وتحمل المسئولية ، وممارسة الديمقراطية ، كما تسهم المعسكرات التى تستهدف تنمية وخدمة البيئة المدرسية والمحلية إلى ربط الطلاب ببيئتهم والحفاظ عليها واحترام الملكية – وروح المنافسة الشريفة والمبادأة والعمل الجماعى والتطوعي .

وبصورة عامة فإن النظام التعليمى الذي يقوم على مشاركة الطلاب وإشراكهم في العملية التربوية يزيد من الترابط بين التلاميذ وينمى لديهم روح المشاركة والديمقراطية وعلى النقيض نجد النظام التعليمى الذي يعتبر التلاميذ طرفا متلقيا فقط يقتصر دورهم على تلقى المعلومات قد يؤدى ذلك إلى الميل إلى السلبية والانزواء واللامبالاة (عبد المنعم المشاط ١٩٩٢) وقد ينطبق على نظام التعليم في مصر الوصف الأخير حيث يعتمد على الحفظ والترديد ويعتبر الامتحانات هى المؤشر الوحيد للتقيم ، مما يعزز النزعات الفردية ويؤدى إلى تفشى السلبية والغش (محمود أحمد موسى ١٩٨٧) . وللمدرس أهمية كبيرة في عملية التنشئة حيث أن المقررات (الموجهة) لا تنتقل إلى التلاميذ بصورة متعالية ، وإنما تتحول إلى واقع من خلال المدرس واتجاهاته وقيمه وسلوكه ، والتى قد تكون مساندة أو مقوضة لأهداف تلك المقررات .

وتشير نتائج إحدى الدراسات التى تمت بمصر بهدف التعرف على اتجاهات المعلمين نحو القضايا السياسية والأفكار التى يتبناها المعلم ، أن النسق الفكرى الذي يتبناه المعلم يتميز بالتسلط ، فضلا عن السلبية وعدم القدرة على التعبير عن رأيه ، وهو ما أرجعه إلى مناخ إعداد المعلم الذي يتسم بالمحافظة (كمال نجيب ١٩٨٨) . وتبصرا بأهمية دور المعلم باعتباره القدوة ونموذج السلوك القيمى للتلاميذ نجد البعض يشددون على ضرورة إعداده بصورة تتسق وخطورة دوره ، كما يجب العناية بظروفه الاقتصادية والاجتماعية (على الجمل ١٩٩٦) .

وبصفة عامة فإن المدرسة تعد من المصادر الأساسية في التنشئة القيمية سواء كان ذلك بطريقة مباشرة أو غير مباشرة ، وإن اختلفت أهمية هذا الدور طبقا لفاعلية عناصرها (المقررات – الأنشطة – المعلم) في ذلك .

- جماعات الرفاق -

تضم هذه الجماعات الأفراد المتقاربين في السن أو الوظيفة أو المستوى الاقتصادى ... الخ . وتبدأ منذ الطفولة إلى الكهولة ، وتتكون من زملاء الفصل أو الجامعة أو العمل ... الخ

وأهم ما يميز به علاقة الفرد بنظرية التكافؤ والشعور بالندية ، ولهذا تتزايد درجة الترابط بينهم ، كذلك التأثير المتبادل ، ولا شك أن لتلك الجماعات دورا سياسيا في نقل وتعزيز القيم التى يكتسبها أعضاء تلك الجماعات . ولقد برزت أهمية جماعات الرفاق ودورهم في عملية التنشئة عموما ، مع التحولات الاجتماعية التى حدثت في العقود الأخير والتى صاحبها ضعف في الروابط الاجتماعية بين الأبناء والآباء (إسماعيل عبد الكافي ١٩٨٨).

و في مجال التنشئة عامة تمارس جماعات الرفاق تأثيراً كبيراً على قيم واتجاهات أعضائها (كمال المنوفي ١٩٧٨) و يتم ذلك من خلال طريقتين هما :
١- نقل و تعزيز الثقافة ، إذ عن طريق تلك الجماعات يمكن نقل الثقافات الفرعية سواء كانت طبقية أو مهنية . فالطفل الذي ينشأ في أسرة تنتمي إلى الطبقة العمالية يتعلم أسلوب حياة هذه الطبقة ، و إذا انضم في المدرسة لجماعة رفاق تضم زملاء نفس الطبقة فإن ذلك يؤدي إلي تأكيد و تعميق الاتجاهات التي سبق و أن اكتسبها في الأسرة .

٢- غرس قيم و مفاهيم جديدة ، فقد يتعلم الفرد عن طريق جماعة الرفاق اتجاهات و نماذج سلوكية جديدة ، حيث تتيح تلك الجماعة لأعضائها حرية التعبير عن أنفسهم و معايشة أدوار جديدة بعيدة عن التحكم الأسري . و يجب ألا نبالغ في دور جماعة الرفاق ، حيث يتوقف تأثيرها في الفرد علي غياب التنشئة الوالدية ، لكن بقدر نجاح الأسرة (الوالدين) في إرساء دعائم راسخة في شخصية الابن بقدر تقلص تأثير باقي منافذ التنشئة الأخرى في التأثير على الابن ، فكلما كانت علاقة الفرد بالأسرة تتسم بالقبول و التشجيع و الدفء يقل إحتمال تأثير الرفاق مثلاً و بالعكس ، خاصة في المراحل المبكرة .

وفي فترة المراهقة فإن الأمر لا يختلف كثيراً من البحوث الحديثة وجدت (***Owens***) أن امتثال المراهقين للتوجيه الوالدي يعتمد بصورة كبيرة على نوع علاقاتهم بوالديهم فحينما يدرك المراهق الوالدين على أنهما ذو كفاءة ، ونموذج للدفء ، فإنهم لا يختلفون عنهم كثيراً في أفكارهم وفي توجهاتهم ، فضلاً عن ميلهم لاختيار الرفاق المشابهين لنظامهم القيمى أكثر من المتعارضين معهم . (***Owens , K , 1993 , P. 542***) .

وسائل الإعلام:

لم تتفق المراجع العربية أو الأجنبية على لفظة واحدة معبرة عما اصطلح تسميته بالإعلام. فالمصادر الفرنسية تحاول تثبيت مصطلح "الإعلام ***INFORMATION***" لدقته وشموله وتلاؤمه مع التطور التكنولوجي والعلمي. بينما نجد المصادر الأمريكية- السباقة في هذا المضمار- بحكم ازدهار الصحافة وكافة الأجهزة الإعلامية في ولاياتها الشاسعة تُصِر على مصطلح "وسائل الاتصال بالجماهير***MEDIA OF MASS COMMUNICATION*** " رغم عدم تطابقه الدقيق على كافة جوانب المعنى المقصود. أما مفهوم الإعلام في اللغة العربية ومعنى اللفظة ليس دقيقاً لأنها تعبر عن الجانب النهائي من العملية الإعلامية، ألا وهو إرسال المعلومات، وتتغافل عن الجانب الأول المعبر عن استقبال المعلومات.

جاء في لسان العرب :

الإعلام بمعنى التبليغ، ويقال: "بلغت القوم بلاغاً " أي أوصلتهم الشيء المطلوب. والبلاغ ما وصلك، ففي الحديث قال رسول الله ﷺ :" بلغوا عني ولو آية "، وكما يقال : "استعلم لي خبر فلان فأعلمنيه حتى أعلمه". وفي الوسيط "ع ل م" : علم الشيء علماً: عرفه وفي التنزيل العزيز "لا تعلمونهم الله يعلمهم". وعَلِمَ الشيء، وبه: شعر به ودري وفي التنزيل العزيز" يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين". وأعلم فلان الخبر، وبه: أخبره به ومنها (استعلمه) الخبر: استخبره إياه. و" الإعلام" :" كل نقل للمعلومات والمعارف والثقافات الفكرية والسلوكية بطريقة معينة من خلال أدوات ووسائل الإعلام والنشر الظاهرة والمعنوية ذات الشخصية الحقيقية أو الاعتبارية بقصد التأثير، سواء عبر موضوعياً أو لم يعبر، وسواء كان التعبير لعقلية الجماهير أو لغرائزه". نجده أيضا :"هو نشر للحقائق والأخبار والأفكار والآراء بوسائل الإعلام المختلفة"، وهو "نشر للحقائق والمعلومات الدقيقة الصادقة بهدف التقرير والإقناع"، ويعرفه" أوتوجروت ": "أنه التعبير الموضوعي لعقلية الجماهير ولروحها وميولها واتجاهاتها في نفس الوقت .

"المؤسسة الإعلامية يقصد بها المؤسسات الصحفية أو الإذاعية أو السينمائية العامة أو الخاصة التي نشاطها المنتظم يتضمن جمع ونشر الأخبار والآراء ". وعليه؛ فوسائل الإعلام هي الطريقة التي بها يمكن نقل ونشر الأخبار والمعلومات وغيرها، وهي متنوعة فمنها؛ المباشر وغير المباشر. الفردي والجماعي . وأفضل تصنيف لهذه الوسائط الإعلامية المعاصرة بحسب الحواس المتأثرة بها بطريقة مباشرة، كالآتي:

١. وسائل بصرية: وتمارس تأثيرها معتمدة على حاسة البصر مثل: الصحف، والمجلات، والنشرات، والكتيبات الدعائية، والملصقات المطبوعة، والمخطوطة، وغيرها مما يشد انتباه البصر وحده.

٢. وسائل سمعية: وتعتمد على حاسة السمع وحدها ويندرج تحتها إطار الكلمة المسموعة بكافة أنواعها من خطابة وإذاعة وتسجيلات وغيرها.

٣. وسائل سمعية بصرية: وهي تمارس تأثيرها على الأذن والعين معاً، مثل: المسرح والسينما والتلفاز والمؤتمرات وغيرها .

أركان عملية الاتصال الفعالة والإيجابية تعتمد على :

١. العامل التقني؛ أي القناة الموصلة للرسالة مثل؛ الهواء والهاتف والكتاب المطبوع، التلفاز...الخ.

٢. العامل النفسي الاجتماعي؛ العلاقة بين المرسل والمستقبل.

٣. العامل التنظيمي؛ وتظهر أهميته عندما يتجاوز الاتصال لأكثر من طرفين، وهنا يلجأ المرسل لاختيار أفضل الطرق لايصال رسالته إلى الآخرين ومن ثم فأفضل الطرق لتلقي تأثرهم برسالته.

٤. العامل الثقافي؛ فكلما توحدت ثقافة كل من المرسل والمستقبل أو تشابهت أو تقاربت كلما كانت عملية الاتصال أكثر فعالية وأكثر نجاحا بين الطرفين.

وتعتبر الطرق الثلاثة الأولى؛ هي التي تعمل على تحديد القدرة على إدراك الرسالة وفهمها وإرادة الاتصال وانتقاء قناته المناسبة.

واللغة الإعلامية تميز بأنها لغة غير مباشرة، تنتقل عَبر أجهزة الإعلام التي تقوم بنقل المعلومات، والقيم بين المُرسِل والمُستَقبِل. وأن هذه بعكس حال الاتصال الشخصي المباشر بين طرفي الاتصال. وأن اللغة الجديدة تصلُ إلى الجماهيرية العريضة ***MASSES***، لاسيما في عصر الفضائيات.

من الثابت أن وسائل الإعلام (السينما – الراديو – التلفزيون .....) تقوم بدور لا يقل أهمية عن المؤسسات الاجتماعية الأخرى في عملية التنشئة ، ولئن كان هذا الدور يمثل سلاحاً ذا حدين ، ففي الوقت الذي يتم فيه عن طريقها نقل القيم و المعايير الاجتماعية المتفق عليها بين أفراد المجتمع فإنها في الوقت نفسه تقوم بصورة غير مباشرةً بتغيير هذه القيم والمعايير وإحلال أخرى جديدة (سلبية) ، مما يؤثر سلبياً على شخصية الأفراد . وتظهر خطورة وسائل الإعلام في المجتمعات المختلفة بصورة خاصة في فترات التغيير الاجتماعي الذي يمر به أي مجتمع ، مثل التغييرات التي شهدها المجتمع المصري في المجالات المختلفة على مدى الخمسين عاماً الأخيرة .

وفي المجتمعات النامية _ ومنها مصر) نجد أن وسائل الإعلام تخضع خضوعاً تاماً لسلطة الدولة ، ومن ثم تسخيرها في نشر الاتجاهات والقيم الملائمة مع توجهات السلطة فمن خلال الاستعانة بقادة الرأي أو المتخصصين عن طريق النشر في الصحف أو عبر البرامج الإذاعية أو التلفزيون يتم الترويج والدفاع عن تلك القيم والاتجاهات بصورة مباشرة هذا فضلاً عن الأعمال والمواد الأخرى (المسلسلات – الأفلام) التي تعني بذلك .

وتكتسب وسائل الإعلام أهمية خاصة في نشر القيم المختلفة نظراً لتعرض كافة أفراد المجتمع تقريباً من برامج في جميع أنحاء الدولة ، وقد يبدو ظاهرياً أن الفرد لديه القدرة على الاختيار في التعرض لوسائل الإعلام بينما هو في الواقع يخضع بقوة وبصورة منظمة لبرامج مخططة تستهدف نشر أفكار محددة وإرسالها بكافة الوسائل .

وإدراكاً لأهمية وسائل الإعلام وخطورة تأثيرها على المواطن لمصري فقد نشطت الدراسات التي اهتمت بمعالجة هذا الموضوع وتبين أبعاده بصورة موضوعية منذ بداية الثمانينات ففي معرض تقييمها لدور البرامج الإذاعية في تشكيل الثقافة السياسية مثلاً توصلت (نادية سالم ١٩٨٠) إلى غياب دور تلك البرامج في تنمية الثقافة السياسية للمواطنين بالإضافة إلى نظرة الشك التي يبدونها إزاء تلك البرامج ، نظراً لأنها لا تهتم بقضاياهم ومشكلاتهم الفعلية .

ويصف البعض الثقافة السياسية (كمثال) في مصر بأنها تتم بصورة فوقية – تأتي من أعلى إلى أدنى – من السلطة إلى المواطنين دون انتباه لمشكلاتهم وآرائهم مما يسهم في عدم تقبلها واستيعابها بصورة كافية وبالتالي انخفاض الوعي السياسي لديهم . (أحمد زايد ١٩٩٠) .

وبالنسبة للأعمال الدرامية في التلفزيون والإذاعية كالمسلسلات فقد حاول البعض التعرف على القيم المتضمنة بها ، وتبين أن القيم السلبية تتفوق على تلك الإيجابية في مضمون تلك المسلسلات (عدلي رضا ١٩٨٣) مما قد يسهم في تبدل قيم المجتمع .

وبصورة إمبريقية اهتم البعض الآخر بالوقوف على القيم التي أدركها المشاهدون في بعض المسلسلات التلفزيونية والإذاعية العربية ، كشفت النتائج عن تدني القيم الإيجابية وغلبة تلك السلبية ، فمثلاً عدم الأمانة ٩٧% ، التفكك الأسري ٩٢% ، والمادية ٩٠% ، عدم الاحترام ٧٠% ، في حين كانت قيم الترابط الأسري ٥٧% ، الانتماء ٥٥% (سعدية مرزوق ١٩٩٢) مما يشير إلى أن البرامج الإذاعية والتلفزيونية لا تساعد على تنمية القيم الإيجابية ، وتسهم في نشر القيم السلبية .

كما تكشف نتائج الدراسات التي اهتمت بفحص مضمون الإصدارات الموجهة للأطفال (الرسمية وغير الرسمية) والتي تستهدف تنشئتهم قيمياً من خلال ما تبثه وتنشره من قيم واتجاهات إيجابية ، إلى تدني دورهما في تلك ، فالإصدارات الرسمية المتمثلة في المجلات والكتب التي تصدرها هيئة الاستعلامات و الموجهة للأطفال ، لوحظ عدم وفائها بنقل القيم المرغوبة بكفاءة (إسماعيل عبد الكافي ١٩٨٨) ونفس الشيء وجد في كتب الأدب غير الرسمية حيث أن نسبة القيم الإيجابية التي تحويها كان ضعيفاً (أسماء غريب بيومي ١٩٩١)

مما يشير إلى غياب التوجيه الواضح نحو الأهداف و القيم الإيجابية لدى قادة الفكر والرأي والذين من المفترض أنهم على وعي بذلك وبالتالي فمن الطبيعي أن يترتب على ذلك انخفاض أو تقلص دور مؤسسات الإعلام في التنشئة الاجتماعية بصورة إيجابية . وعلى الرغم من أن عملية التنشئة في كافة المجتمعات هي عملية مقصودة إلاَّ أن الأدلة تشير إلى أنه لا يوجد في مصر – أي تصور مستقبلي على المستوى المجتمعي – التنفيذي - لما نريده بعد عشر سنوات من أطفالنا لأنه لا يوجد تصور واضح تلتزم به مؤسسات التنشئة وتتفانى عليه في إعداد الأجيال القادمة .

وفي ضوء ما سبق يمكننا أن نستنتج أن اكتساب القيم على عائق الوالدين أولا و يليها المعلم ثانياً ، و يساعدهما في ذلك مستوى الإلزام بتلك القيم خاصة التي يعززها الدين و يحث عليها .

الفصل السادس

التنشئة الاجتماعية

تعتبر التنشئة الاجتماعية ***Socialization*** من أهم الموضوعات التي شغلت اهتمام عدد كبير من الباحثين الذين ينتظم نشاطهم البحثي في إطار تخصصات مختلفة (خاصة علم النفس و علم الاجتماع و علم الأنثروبولوجي) ولعل أحد أسباب هذا الاهتمام ، هو ما لهذه العملية من تاريخ طويل في وجدان الجنس البشري كمشكلة معمرة.

فليس هناك شاغل للآباء علي امتداد العصور يفوق انشغالهم بما إذا كانت الطريقة التي يربون أبنائهم بها ملائمة أو غير ملائمة ***child 1968&Zigler*** و إن كان تاريخ الحضارة الإنسانية يشهد بأن الدراسة العلمية للإنسان لم تبدأ إلا في مرحلة متأخرة نسبيا إلا أننا نستطيع أن نقرر أن الدراسة العلمية للإنسان لم تبدأ من فراغ وإنما سبق ذلك فترة من التأملات الفلسفية وأنواع أخرى من التفكير في أهمية خبرات الطفولة وأثرها في تشكيل شخصية الفرد ويبرز ذلك بوضوح في كتابات الفلاسفة والمفكرين فمثلا نجد أفلاطون في تخطيطه للمدينة الفاضلة يضع المعايير لتربية النشء (٥٢:٣٨) كذلك يؤكد ابن سينا علي أهمية الأسرة في عملية التنشئة الاجتماعية والأب بصفة خاصة (محمود ابو النيل ١٩٨٦).
علي اية حال فالدراسات العلمية بالمعني الاصطلاحي للكلمة لم تبدأ قبل بداية القرن العشرين حيث نشر "بارك ***Park"*** عام ١٩٣٧ أول بحث عن التنشئة الاجتماعية باعتبارها الإطار المرجعي لدراسة المجتمع(فؤاد الهى السيد ١٩٨٠)

<u>وربما يرجع الاهتمام بدراسة التنشئة الاجتماعية قديما و حديثا , لعدد من الاعتبارات التي يمكن تلخيصها في النقاط التالية:</u>
١ – العجز البيولوجى للوليد البشرى وحاجته إلي فترة طويلة من الرعاية حتي يكون بمقدوره ممارسة الأنشطة و المهارات التي تمكنه من الاعتماد علي نفسه ٠
٢- أن عملية التنشئة الاجتماعية تقرر المهارات و التجارب اللازمة للمعيشة في جماعة حضارية معينة ٠
٣- أن موضوع التنشئة بحكم كونه يختص بتشكيل الأفراد في السياق الاجتماعي الذي يوجدون فيه هو السبيل لفهم أنماط الأفراد علي اختلافهم في السوية والانحراف ٠
٤- تمكننا التنشئة من معرفة مطاوعة الكائن البشرى للمتغيرات الاجتماعية المختلفة ,وبالتالى تساعدنا على إمكانية تعديل سلوك الأفراد وتقويمه أو من حيث إبراز أنماط سلوكية جديدة ٠ الأمر الذى يجعل من دراسة هذه العملية تستند إليها أى خطة إصلاحية أو تقويمية٠

والتنشئة الاجتماعية هى تلك العملية التى يكتسب الفرد من خلالها الخصائص الاساسية لمجتمعه ,كما تبدو هذة الخصائص.

فهى اذن عملية توجيه الفرد إلى أنماط سلوكية مرغوبة من قبل المجتمع الذى يعيش فيه ,والبعد عن أنماط أخرى غير مرغوبة (***zigler &(chil 1989*** فلكل مجتمع من المجتمعات

نماذج وأنماط تحدد ما يجب أن يكون عليه سلوك أفراده، وتهدف التنشئة إلى إدماج الفرد فى الإطار الثقافى العام للمجتمع وتعليمه نماذج السلوك المختلفة فى ذلك المجتمع.
ومن خلال الأنماط الشائعة للتنشئة تغرس المجتمعات فى أبنائها بعض سمات الشخصية والقيم والمعتقدات ٠والميول والاتجاهات (فوزية دياب ،١٩٧٨)٠

ولاتتم هذة العملية –التنشئة الاجتماعية –بصور عفوية ولكن يسهم فيها مؤسسات عديدة فى المجتمع ،وهى :

١- الأسرة ٠ ٤- جماعات الأقران

٢- دورالحضانة ٠ ٥- المؤسسات الدينية

٣- المدرسة ٠ ٦- وسائل الاعلام

وعلى الرغم من أهمية كل تلك المؤسسات ،ودورها الفعال فى عملية التنشئة الاجتماعية ٠ إلا أن أحدا لاينكر أهمية دور الاسرة بصفة خاصة فى إعداد وتشكيل شخصية الفرد , لاسيما فى السنوات التكوينية الاولى ٠

دور الاسرة فى عملية التنشئة الاجتماعية :

تعتبر الأسرة من أهم الجماعات الأولية التى يتفاعل الطفل مع أعضائها ٠ ويتم فى ظل هذا التفاعل اهم مراحل إعداده وتنشئته وتشكيل شخصيته ٠

ويذكر "عثمان لبيب فراج " فى هذا الصدد "أن شخصية الطفل اذن هى نتاج لتفاعل تكوينه البيولوجى والنفسى الموروث مع العوامل المادية والاجتماعية المحيطة به, فإذا كانت الوراثة تقدم المادة الخام ، والثقافة الاجتماعية تقدم النظم والمعايير فإن الجماعات الأولية هى التى تعمل على تشكيل هذه المادة وصقلها حتى تقترب من النموذج الذى تريده هذه الثقافة (عثمان لبيب فراج ،١٩٧٠) ويؤكد البعض على دور المنزل ؛حيث يعتبرونة أحد المحددات الهامة فى نمو الشخصية – أعني شخصية الطفل – فالأسرة تكون مركزا رئيسيا يدعم أو يهدد مشاعر الطفل بالطمأنينة فإذا كانت ظروف المنزل من النوع الذى يدعم توافق الطفل بدرجة مناسبة ، فإن الطفل يصير فى سبيل النمو الصحيح ,أما إذاعجز المنزل عن أن يقدم للطفل الاستجابات الانفعالية المناسبة والشعور بالأمن ،فسوف ينمي عنده ميكانيزمات دفاعية يكون الهدف منها التغلب على مشاعر عدم الأمن.

فالتنشئة في نطاق الأسرة تحدد حجم و دور المؤسسات الأخرى ، فبقدر نجاح الاسرة في إرساء دعائم شخصية الابن يتقلص دور المؤسسات الأخرى ، وبقدر فشل الأسرة في ذلك يتزايد تأثير المنشئين الآخرين . ومن هنا تكتسب الأسرة أهمية خاصة – بالذات الوالدين – في تشكيل شخصية الطفل ، في مراحله الأولى بحيث تجعله يستجيب للخبرات القادمة بصورة سلبية او إيجابية.

ولكن كيف يقوم الوالدان بهذه العملية ؟ أو ما الذي يفعلانه لكي ينشئوا أبنائهم اجتماعيا؟

بالطبع إحدى الطرق التي يستخدمها الوالدان في ذلك هي الأساليب المباشرة (الثواب و العقاب) ***Reward and Punishment*** . علي أن الأطفال لا ينتظرون حتي يوقع عليهم الجزاء ثوابا أو عقابا لكي يكتسبوا ألوانا جديدة من السلوك. فهناك الملاحظة والتقليد ***Imitation***و التوحد ***Identification*** مع أحد الوالدين ,فهذه العمليات تسهم جميعا في التنشئة الاجتماعية للطفل . وهي ليست مستقلة الواحدة منها مكان الأخرى بل هي على العكس متداخلة وتكمل كل منها الأخرى .

وأحيانا يحدث تعارض بين ما يكتسبه الطفل بإحدى هذه العمليات مع ما اكتسب عن طريق عملية أخرى مما يوقع الطفل في تناقض أثناء عملية التنشئة الاجتماعية .

وفيما يلي نتناول هذه العمليات بشئ من التفصيل:

الثواب و العقاب:

يميل الوالدان لاستخدام هذه الوسيلة لتدريب أطفالهم علي اكتساب بعض السلوكيات مثل المشاركة في الملكية مع الآخرين أو التعاون ، فيكافئ الوالدان أطفالهما مثلا إذا ما أشركوا صديقا في اللعب معهم ويعاقبانهم إذا لم يفعلوا ذلك ، وهكذا يدرب الوالدان أطفالهما عن طريق مكافأة أو تدعيم ***Reinforcement*** استجابات معينة وإيقاع العقاب علي أخرى.

وتفيدنا نظريةالتعلم بأن الاستجابات التي تكافأ تميل إلي أن تقوى وتصبح عادات سلوكية ثابتة نسبيا .أما تلك التي تعاقب فقد تضعف أو تختفي ، أو إن كان العقاب قد يسفر عن مضاعفات أخري غير سلبية في شخصية الطفل مثل الخوف أو القلق أو العدوان.

علي أن الثواب و العقاب لا يكفيان وحدهما لتفسير اكتساب الطفل للعادات و الدوافع و سمات الشخصية سواء كانت إيجابية أو سلبية ،فهناك قدر كبير من سلوك الاطفال يكتسب عن طريق الملاحظة و التقليد .

الملاحظة والتقليد :

رغم أن جزءا من عملية التنشئة الاجتماعية يقتضي تدريبا مباشرا فإن كثيرا من جوانب عملية التنشئة الاجتماعية يكتسب من خلال الملاحظة و التقليد و يذكر باندورا وولتر ***Walters& Banaura*** ١٩٦٣أن الأطفال في كثير من الثقافات لا يعملون ما يقوله له الراشدون وإنما يعملون ما يشاهدونه من سلوك الراشيدين وما يتمثل في نماذج واقعية يتم محاكاتها دون أن يصحبها تعليمات صريحة بتقليدها . فالأطفال بإمكانهم أن ينمو أنماطا سلوكية بمجرد ملاحظة بعض الكبار المحيطين بهم يقومون بها أي دون أن تكون هناك مدعمات إيجابية كانت أو سلبية . ولقد تبين لباندروا وولتر أن استجابات المحاكاة سواء كانت سلوكا اجتماعيا أو غير اجتماعي في حضور النموذج أو غيابه تظهر دون حاجة إلي أن يسبقها علاقة رعاية أو تبعية (تدعيم)بين النموذج والفرد المشاهد (***ers 1902 bandwra 7walt***) والتقليد أو المحاكاة هذه عملية مؤقتة بحيث نجد المقلد يعود الى شخصيته الأصلية بعد انتهاء المحاكاة على أن الشخصية والسلوك الاجتماعى لايمكن تفسيرها ببساطة بمثل هذه العبارات ،فكما أننا لا نقبل الثواب والعقاب كمتغير وحيد فى بناء شخصية الطفل ،كذلك فإننا لا نستطيع أن نفسر بناء الشخصية بعبارة بسيطة مثل الملاحظة أو التقليد فهناك الكثير من الأنماط السلوكية المعقدة التى قد تكتسب دور مثل هذا التدريب المباشر ٠بعبارة أخرى هناك ذاتية الطفل واستقلاليتها التي تغفلها مثل هذه التفسيرات البسيطة ، ولكي نتفادي هذه الثغرة علينا أن ندخل في تفسيرنا للسلوك الاجتماعي ونمو شخصية الطفل عملية التوحد.

التوحد :

يشير مفهوم التوحد إلي عمليتين : **الأولى** تتضمن ملاحظة الطفل لأنه يشبه شخصا آخر . و **الثانية** تتضمن مشاركة الآخر في انفعالاته.

هذا الشخص الآخر بالنسبة للطفل هو في الغالب أحد الوالدين. وتتم عملية التوحد بصورة لاشعورية يحصل بها الطفل علي حل – ولو مؤقت – للصراعات التي تنشأ بينه وبين السلطة الوالدية ، وبهذا يتفادى ما ينشأ عن هذا الصراع من قلق وفي نفس الوقت يحقق إشباعا لدوافع أساسية لديه . فالتوحد يحقق للطفل شعورا متزايدا بالاستقلال، فمن خلال استدماج ***Introjection*** اتجاهات وقيم ودوافع الوالد (الوالدة),بحيث تصبح جزءا من العالم الداخلي للطفل وذلك من شأنه أن يجعل الطفل يعرف كيف

يتصرف الآباء في موقف معين فإنه لا يعود بعد في حاجة إلى وجودهم جسميا لكي يوجه سلوكه وبالتالي يستطيع الطفل أن يعاقب أو يكافئ نفسه على أفعاله ويصبح أقل اعتمادا على الوالدين ***kagan.j.1958***.

ولكي يتم التوحد بين الطفل وأحد والديه لابد من أن يدرك الطفل أوجه التشابه بينه وبين هذا الوالد ،وإذا كان الأطفال غالبا ما يشبهون آباءهم في ناحية أو أخرى من النواحي الجسمية لذا فإنهم سوف يلاحظون غالبا نواحي التشابه هذه .ومن أهم هذه النواحي الجنسية ،ولذلك فإن الوضع النموذجي هو أن يتوحد الوالد مع والده والبنت مع أمها ,ولكي تتم عملية التوحد بدرجة قوية لابد من أن يمتلك الوالد صفات جذابة بالنسبة للطفل فالتوحد مع والد يتحلى بالدفء العاطفي والرعاية والحب يكون أسرع وأقوى منه بالنسبة لوالد رافض أو مهمل ،وعلى ذلك فيحدث خلل في التوحد إذا كان الوالد غير كفء وغير جذاب عندئذ تؤدى عملية التوحد بالطفل إلى القلق والخجل وانعدام الأمن ؛فيصبح التوحد بالمعتدى بدلا من التوحد التطوري (السوي) .

من خلال العمليات السابقة –الثواب والعقاب .الملاحظة والتقليد .التوحد –تتم عملية التنشئة الاجتماعية ،بعبارة أخرى من خلال طرق التعليم المباشر ، أو تأثرا بالتعليم غير المباشر يستقي الطفل من الوالدين اتجاهاتهما و قيمهما و معتقداتهما و أنماط سلوكهما عبر مواقف الحياة المختلفة.
وتجدر الإشارة إلى أن الوالدين في تعاملهما مع الطفل يكون لها طابعاً عاماً للمعاملة أو أسلوب للمعاملة يترواح ما بين الشدة واللين ، أو الحماية و الإهمال ، او الاتساق و التذبذب ، فلكل من تلك الاساليب آثارها الضارة علي نمو شخصية الابن . فإذا كان أسلوب المعاملة يقوم علي إثارة مشاعر الخوف وانعدام الأمن مثلا ترتب علي ذلك تعرض الابن للاضطراب النفسي و التاخر في نواحي النمو المختلفة . والذي يؤثر دون شك في صحته النفسية ،

ويلخص (مصطفي فهمي ١٩٦٧) أهم الأسباب المؤدية للاضطراب النفسي فيما يلي:
١ - شعور الطفل بأنه غير مرغوب فيه.
٢ - إفراط الوالدين في التسامح و الصفح عن الأبناء.
٣ - الإفراط في رعاية الأبناء والاهتمام الزائد بهم.
٤ - صرامة الأباء و ميلهم إلي الاستبداد بأبنائهم.

فأسلوب المعاملة الوالدية يؤثر تأثيرا مباشرا في شخصية الابن و يذكر (سيد غنيم ١٩٧٥) أن النبذ كنمط من أنماط المعاملة الوالدية من شأنه أن يخلق شخصية خانعة ، أما الرعاية الزائدة عن الحد فإنها تخلق شخصية أسلوبها طفلي و انطوائية ليست لديها القدرة علي تحمل المسؤلية , تعاني من صعوبات التوافق ، و الأباء المسيطرون يؤدي سلوكهم إلى طبع شخصيات أبنائهم بطابع الخنوع ، فيكونون من النوع الاتكالي الخجول ، أما الآباء المتقبلون لأبنائهم فقد يطبعون شخصيتهم بطابع المتقبل للناس(الواثق في المستقبل).

ولقد أبدت نتائج البحوث التي عنيت بهذا الموضوع الملاحظات السابقة ، حيث أشارت إلي وجود علاقة بين الأساليب التي يتبعها الأباء في تربية أبنائهم وشخصية هؤلاء الأبناء . بحيث يمكننا الآن من خلال معرفة أسلوب المعاملة الوالدية التنبؤ – إلى حد كبير – بنوع السمات الشخصية التي ترتبط بذلك الأسلوب.

تشير الدراسات التي أجريت بهدف معرفة العلاقة بين الأساليب التي يتبعها الوالدان في تنشئة أبنائهم و علاقتها بشخصيتهم، إلى أن هناك مجموعة من العلاقات السببية بين ما يتبعه الوالدان من أساليب في التنشئة وشخصية هؤلاء الأبناء.

و كما سبق الإشارة – في المقدمة – إلى أن الأسلوب الوالدي تترتب عليه نتائج في غاية الأهمية تنعكس علي شخصية الابن فيذكر "أحمد عبد العزيز سلامة ، و عبد السلام عبد الغفار ١٩٧٠ "."أن نوع المعاملة التي تنشأ بين الوالدين و الطفل و طريقة تربيتهما عامل هام يدخل في تشكيل شخصية الطفل ، فهناك فرق بين شخصية فرد نشأ في جو من التدليل والعطف الزائد و الحنان المفرط و آخر نشأ في جو من الصرامة و النظام الدقيق.

بل لقد ذهب (محمد عماد الدين إسماعيل و زملاؤه) إلى أبعد من ذلك فيرون أنه إذا كانت الشخصية نتاجا للخبرات الطفلية فإنه يبدو من المحتمل أيضا أن تكون أشكال السلوك المميزة للمجتمع بأكمله نتيجة لنفس السبب ويمكن بالمثل تفسيرها بنفس الطريقة.

وعلي ذلك يمكننا القول أنه إذا كان لنا أن نعدل من شخصيتنا العامة كمجتمع يتميز أفراده بصفات معينة، فإنه لابد وأن نتناول بالتبديل و التغيير تلك الأساليب غير المرغوبة التي يتبعها الأباء في تنشئة أبنائهم ، و لا سيما في المجتمع العربي بصفة عامة ، و المصري بصفة خاصة ، ولقد أوضح ذلك " فرج عبد القادر طه" عند تسليط الأضواء علي سيكولوجية الشخصية العربية قائلا " وإذا ما تأملنا السبب الجوهري وراء سيادة التفكير الغيبي في الشخصية العربية ، لوجدناه كامنا وراء أسلوبنا في تنشئة أبنائنا و تربيتهم و تعليمهم، سواء أكان ذلك عن طريق الاسرة أم المدرسة أم الوسائل المختلفة للإعلام ، فكلما تغرس في نفوس الأبناء الإيمان بالغيبيات و الخرافات سواء بوعي أو بغير وعي ، وكأننا بلغنا من الصاروخية النفسية ما جعلنا نستهدف تدمير الشخصية العربية بيدنا لا بيد غيرنا.
و في تحليله لبنية و تركيب العائلة في المجتمع العربي، و العلاقات التي تقوم عليها – خاصة علاقة الوالدين بأطفالهم – انتهي " هشام عرابي ١٩٨١ "إلى أن نمط السلطة الشائع هو النمط المستبد الدكتاتوري الذي يقوم علي القهر و الاستبداد ، فما القهر الذي يعانيه الفرد العربي إلا انعكاس للسلطة الان في العائلة .

و إذا كنا فيما سبق أشرنا إلى ملاحظات علماء النفس عن التنشئة في المجتمع العربي. فإن ما أفصحت عنه نتائج البحوث التي أجريت في هذا السياق تتفق مع ما سبق بحيث تتضح الصورة .

ففي دراسة أجريت في قطر لمعرفة الاتجاهات الوالدية في التنشئة المتبعة في المجتمع القطري ، تبين منها شيوع الاتجاهات اللاسوية في التنشئة مثل الحماية الزائدة و التسلط و التذبذب و القسوة و التدليل. (عبد الفتاح القرشي ١٩٨٦).

و في دراسة اخري أجريت في الكويت لمعرفة الصورة العامة للاتجاهات الوالدية في التنشئة ، السائدة في المجتمع الكويتي ، تبين أن الاتجاهات اللاسوية كانت هي الأكثر ارتفاعا ، حيث أن اتجاه التذبذب من أكثر الاتجاهات اللاسوية ارتفاعا ويليه التسلط ثم الحماية الزائدة.

و في دراسة ثالثة أجريت في دولة الإمارات العربية و ذلك لمعرفة الفروق بين الجنسين في الاتجاهات الوالدية في التنشئة و الشخصية ، وكشفت نتائج الدراسة عن وجود مناخ للتنشئة يتسم بالتفرقة بين الذكور و الإناث – حسب تقريرهم – في اتجاهات الأمهات نحوهم ، حيث وجد أن الإناث يدركن أمهاتهم أكثر تسلطا و إثارة للألم النفسي في المقارنة بالذكور ، بينما يحظى الذكور بالحماية و التدليل .
أما في تونس فيشير " ستيفن " إلى أن نمط التنشئة السائد هو القهر و الذي يتمثل في سلطة الأب المطلقة ، تلك السلطة الدكتاتورية التي تناهض الجدية و تميل إلي الخمول "لامرت والاس ١٩٨٧ ".
فإذا كانت هذه هي بعض معالم الصورة لواقع أساليب التنشئة في البلدان العربية ، و التي تشير إلى وجود أساليب لاسوية ، فإن الوضع في مصر ليس أحسن حالا ، و ذلك حسبما تشير نتائج الدراسات التي أجريت في مصر ، ففي دراسة أجريت علي ألف أسرة ممثلة لمختلف قطاعات المجتمع المصري بهدف التعرف على أساليب التنشئة السائدة فيه ، و من أهم النتائج التي خلص اليها الباحثون ما يلي:
" أن قيمة الفرد و مكانته تتحددان في المقام الأول بعوامل كالسن و الجنس ، لا بما يسهم به أو ما يتحمله من مسئوليات ، مما يدعم بناء شخصيات جامدة متسلطة ، و لا يساعد على تدعيم صفات مثل الانطلاق و التحرر والعمل الإيجابي المنتج ... وأن السلطة في الأسرة تتركز في فرد واحد هو الأب (أو بديله) مما يخلق جوا استبداديا (أوتوقراطيا) يعطل نمو القدرات المختلفة و يدعم الانصياع و السلبية " .(محمد عماد الدين اسماعيل و زملاؤه ١٩٧٤).

كذلك وجد الباحثون أن الأسلوب الذي تستخدمه السلطة لكي ينصاع الصغير لتوقعات الكبار هو أسلوب العقاب البدني باشكاله المختلفة (العقاب البدني عند الطبقات الدنيا ، و الحرمان من الحب أو التهديد به عند الطبقة الوسطى) ،
و تلتقي هذه النتائج مع ما سبق أن توصل إليه " حامد عمار ١٩٨٧) في دراسته للتنشئة الاجتماعية في قرية سلوا بأسوان حيث وجد أن هدف الأسرة من التنشئة هو أن تخلق لدى الطفل الطاعة و الأدب و تستخدم الأسرة في سبيل ذلك وسيلتين هما :
*خلق الخوف لدى الطفل بواسطة كائنات خرافية.
* العقاب البدني بأشكاله المختلفة.

و إذا كانت هذه هي بعض معالم الصورة بالنسبة لواقع التنشئة الاجتماعية في المجتمع المصري فإن السؤال الرئيسي الذي يواجهنا الآن ما هي علاقة هذه الأساليب اللاسوية في التنشئة الاجتماعية علي شخصية الفرد بصفة عامة و سمات شخصيته بصفة خاصة ؟

في الواقع بدأت الأبحاث السيكولوجية – في مصر – في السنوات الأخيرة للإجابة علي هذا السؤال ، حيث تناولت بالدراسة أساليب التنشئة الوالدية و علاقتها بشخصية الأبناء عموما ، فبينما اهتم بعض الباحثين بتناول السمات المعرفية ، أولى البعض الآخر اهتماما بالسمات المزاجية .
و غلي من البيان أن هذا الاهتمام المكثف من جانب الباحثين يعكس أهمية هذا الموضوع ، و إذا كانت تلك المحاولات قد ساعدت علي إثراء معلوماتنا في هذا الموضوع فإننا نلاحظ تضاربا بين نتائج تلك الدراسات ، الأمر الذي يعكس أهمية أخرى تتمثل في الكشف عن مصدر هذا التباين في نتائج تلك الدراسات

و فيما يلي نعرض لنتائج بعض الدراسات بما يساعد علي ايضاح هذه الفكرة :
ففي دراسة ميدانية أجراها " سيد صبح عام ١٩٧٥ " لمعرفة أثر الاتجاهات الوالدية في التنشئة و المستوي الثقافي للوالدين علي تنمية الابتكار لدي طلبة الجامعة ، وخلص من دراسته إلى عدم وجود علاقة بين الابتكار وكل من التسلط وإثارة الألم النفسي والحماية الزائدة , والتذبذب والتفرقة والاهمال, أى أن الابتكار لايرتبط بهذه الأساليب ؛وعلي الجانب الآخر فقد توصل البعض إلى نتائج مخالفة لتلك السابقة ؛ففي دراسة أجراها (عبدالحليم محمود السيد)(١٩٧٩ م) لمعرفة السياق النفسي الاجتماعي الذي يساعد علي تنمية الابداع أو يعوقه وانتهى إلي أن معاملة الوالدين التي تتسم بالرفض والاكراه والقهر ترتبط بانخفاض القدرات الابداعية وإذا انتقلنا الي الدراسات التي اهتمت بدراسة أساليب التنشئة الوالدية وعلاقتها بالسمات المزاجية- نجد نفس التضارب بين نتائج الدراسات المختلفة فعلي سبيل المثال في دراسة قام بها (محمود عبد القادر)عام ١٩٦٦ م لمعرفة أساليب الثواب و العقاب التي تتبعها الأسر المصرية في تدريب أطفالها و شخصية هؤلاء الأبناء وانتهى إلى أنه ليست هناك علاقة بين آراء الأبناء في تصرفات الأباء معهم والسمات الشخصية لهؤلاء الأبناء وفي دراسة حديثة أجرتها (فاتن عبد الفتاح السيد)عام ١٩٨٦م ذلك بهدف معرفة أثر اتجاهات

الوالدين في التنشئة علي نمو مفهوم الذات لدي أطفالهم ؛وتوصلت الباحثة إلى أنه لايوجد تاثير للاتجاهات الوالدية في التنشئة المتمثلة في التسلط والحماية الزائدة ؛والاهمال ؛والتدليل ؛والقسوة ؛وإثارة الألم النفسي ؛والتذبذب والتفرقة والسواء علي مفهوم الذات لدى الأطفال وفي المقابل نجد العديد من الدراسات التي توصلت إلى نتائج مخالفة لتلك السابقة ؛ففي دراستها للعلاقة بين أساليب التنشئة الوالدية للأبناء وسماتهم الشخصية وأنساقهم القيمية فقد توصلت (فايزة يوسف)عام ١٩٨٠م إلى وجود علاقة سلبية بين أساليب التنشئة الوالدية التي تتسم بالإفراط في التقبل والقسوة والتشدد والإهمال وبين السمات السوية.

كماخلص (محي الدين أحمد حسين)ومعاونوه عام ١٩٨٥م من دارستهم لأساليب تنشئة الأسر المصرية لفتياتها الجامعيات المتمثلة في التشدد ، وعدم الاتساق و السماحة و علاقة ذلك بسلوكهن العدواني و اتجاهاتهن التسلطية .

إلى أن السلوك العدواني يبرز في مناخ التنشئة الذي يتميز بعدم الاتساق و التشدد ، بينما ينحسر أو يقل في مناخ التنشئة الذي يتميز بالسماحة .
و ربما يوحي التعارض بين نتائج الدراسات المختلفة إلى أهمية فحص منهج هذه الدراسات و التعرف علي مصادر هذا التعارض.

البحث الملائمة لدراسة التنشئة الوالدية

علي الرغم من اتفاق السيكولوجيين المهتمين بدراسة التنشئة الاجتماعية – علي اختلاف أطرهم النظرية – علي أهمية العلاقة بين الوالدين و الأبناء في مراحل العمر المختلفة . و لاسيما في مراحل طفولتهم المبكرة ، و ارتباطها بشخصية هؤلاء الأبناء ، إلا أنهم يختلفون علي تحديد أنسب الطرق لدراسة تلك العلاقة .

و في هذه المناقشة سنحاول التوصل إلى أسلوب مناسب لدراسة تلك العلاقة بين الوالدين و الأبناء و التي من شأنها أن تؤثر علي أسلوب الأبناء بوجه عام ، وعلى سماتهم الشخصية بوجه خاص.
ونهتم بالتحديد الواضح لمفهوم التنشئة الوالدية ، لأن من شأنه أن يحدد خطى الباحث في عملية جمع البيانات بصورة ملائمة لهدف البحث ، وذلك بعد مناقشة الأساليب الرئيسية المتبعة لهذا الغرض.

في خلال البحوث التي تناولت جهود الوالدين في تربية الأبناء يمكننا ملاحظة ثلاث مداخل رئيسية لدراسة هذا الموضوع و هي :
أ - سلوك الوالدين الفعلي نحو الأبناء .
ب - اتجاهات الوالدين نحو أساليب التنشئة.
جـ- أساليب التنشئة الوالدية كما يراها الأبناء .
و بطبيعة الحال يعتمد أنصار كل مدخل علي طريقة لدراسة الموضوع تختلف عن الاخر ، علي أن السؤال الذي يهمنا في هذه المناقشة هو " ما هو المدخل الذي يوفر لنا طريقة صادقة و دقيقة في دراسة هذا الموضوع".

و للإجابة علي هذا السؤال ربما يكون من المفيد أن نعرض بإيجاز لكل منها ، ونناقش كفاءته في جمع البيانات و ذلك كما يلي:

أ – سلوك الوالدين الفعلي نحو الابناء :

قد يبدو من المنطقي و نحن بصدد دراسة أسلوب الوالدين في تربية أبنائهم ، أن نشاهد سلوكهم الفعلي ، و تصرفاتهم مع أبنائهم في مواقف الحياة المتنوعة ، واستجابات الأبناء لهم لذلك فقد بدأ الباحثون بعملية ملاحظة السلوك الوالدى داخل الأسرة أو من خلال إجراء المقابلات مع الأبناء والأمهات لمعرفة ما يدوربينهم وقد حظى هذا الاتجاه باهتمام بعض الباحثين ..***baldwin ;bbeers;chamdnv;*** ***bumarind;*** الذين قدموا بصورة تطبيقية كيفية دراسة السلوك الوالدي داخل الأسرة ومن الثابت أن معظم معلوماتنا عن العلاقة التفاعلية بين الوالدين والأبناء ،قد أتت إلينا من خلال الملاحظة والأسئلة الموجهة للآباء والأمهات من خلال المقابلة ،إلا أن قيمة هذه المعلومات تتوقف علي مقدار الصدق الذي تحمله ،فالملاحظة يصعب إجراؤها علي عدد كبير من الأبناء مع والديهم في مواقف الحياة المتنوعة .كما أن مجرد وجود ملاحظة داخل الأسرة يقلل من تلقائية سلوك الوالدين والأبناء ،هذا فضلا عن أخطاء القائم بالملاحظة وإجابات الوالدين التي تتأثر بعواطفهم الذاتية .وبما هو مرغوب اجتماعيا ،فالأسئلة الموجهة إليهم علي سبيل المثال ،قد تتعرض لمجالات تمنع ثقافتهم من التعرض لها .ومناقشتها ،فعندما تسأل الأب مثلا عما يفعله حين يسمع من ابنه المراهق ألفاظا لايجب سماعها.هل يتوقع القائم بالمقابلة إجابة غير متأثرة بحاجات الأب وقيمه عن السلوك الوالدى ،وتوحده مع طبقته الاجتماعية ومعايير تربية الأبناء السائدة في ثقافته والتي يرتبط بها ؟

في الواقع يصعب التحديد فيها إذا كان التحريف في البيانات التي قد يدلي بها الأباء (الأمهات)ترجع إلى أخطاء في إدراكهم ،أو إلى اختلاف في الإطار المرجعي بين الاباء والقائم بالملاحظة،أو إلى اختلاف في مستوى الذكاء .أو في مستوى التعليم .

بصفة عامة يمكن القول بأن التحريف في البيانات التي يدلي بها الوالدين ترجع الي هذه العوامل مجتمعة،وبالتالي تقلل من صدق المعلومات التي نحصل عليها .

ب-اتجاهات الوالدين نحو اساليب التنشئة

نظرا للصعوبة العملية في ملاحظة السلوك داخل الأسرة بالإضافة إلى عدم ملائمة الملاحظة داخل الأسرة من الناحية الأخلاقية كذلك المقابلة يقابلها أيضا بعض أوجه القصور ،مما يقلل من صدق وقيمة المعلومات التي نصل إليها بهاتين الطريقتين فقد اتجه بعض الباحثين إلى الاعتماد على اتجاهات الوالدين نحو تربية أبنائهم ،من خلال تحديد مجموعة من المواقف التي رؤي أنها تمثل أهم المواقف التي يتم فيها تعليم الأبناء وإكسابهم قيم وعادات المجتمع .وهذه المواقف هي

١-النوم	٤-الجنس
٢-التغذية	٥-العدوان
٣-الاخراج	٦-الاستقلال

(محمد عماد الدين اسماعيل وزملاؤه)

ويتم معرفة اتجاهات الأباء والأمهات نحو تربية أبنائهم في هذه المواقف. وجدير بالذكر أن هذا الإجراء قد طبق علي نطاق واسع لدراسة المقارنة بين اتجاهات الأباء (الأمهات)،نحو تربية الأبناء في مستويات اقتصادية اجتماعية متباينة أو في ثقافات متباينة ***(child)***

و لكن عند محاولة الربط بين اتجاهات الوالدين و شخصية الأبناء ، فإن الأمر جد مختلف ، فالأولى متغيرات اجتماعية ، والثانية متغيرات نفسية ، و على العموم فإن معظم الدراسات التي حاولت الربط بين هذين المتغيرين فشلت في إيجاد علاقات واضحة و مستقرة ، و لعل ذلك يرجع لسببين هما :

الأول و يتعلق بمصدر المعلومات (الأباء ، الأمهات).

الثاني و يتعلق بأسلوب القياس (المواقف).

فالسبب الاول و يتعلق بمصدر المعلومات و هو الأباء أو الأمهات الذي يكون غير ملائم و ذلك لـ :

ميل الأباء إلي الإجابات المرغوبة اجتماعيا.

ميل الأباء إلى التحريف و التشويه.

الفرق بين الاتجاه الوالدي و ما يراه الابن و يطبع سلوكه.

و مع التسليم بأهمية آراء الأباء في تربية الأبناء ، على اعتبار أن ذلك يزودنا بمنظور الراشدين و ممثلي الضبط في المجتمع ، إلا أنه لا ينبغي في نفس الوقت تجاهل مدركات الأبناء عما يعيشونه من خبرات ،فالعلاقة بين الوالدين و الأبناء يتوقع أن تختلف تبعا لـ : سن الابن ، طريقة تلقي الابن لسلوك وتصرفات والديه معه. ففيما يتعلق بالسن هناك مثلا بعض السمات التي قد تكون ملائمة في فترة من فترات العمر ، و قد لا تكون كذلك في فترات أخرى . فالتعلق بالأم و الاعتماد مثلا ، تعد صفة إيجابية في مراحل العمر الأولى، إلا أنه إذا ظهر ذلك في مراحل تالية من العمر يعد مسألة غير عادية.

و طريقة المعاملة قد يتلقاها طفلان من نفس الوالد بطريقتين مختلفتين تماما تبعا لما يحيط بكل منهما من إطار ثقافي- اجتماعي بحيث يجعل أحدهما يتقبل من والده تصرفا معينا بينما يضيق الاخر من نفس التصرف.

فالعبرة ليست بتصرفات الاباء أو اتجاهاتهم ، و إنما من خلال تلقي الابن لهذه التصرفات ، و يؤكد ذلك " اسماعيل . منصور " في عرضهما لمقياس الاتجاهات الوالدية حيث يري الباحثان أن إدراك الابن هو الفيصل في الحكم علي طبيعة المعاملة التي يلقاها من والديه فمثلا الحماية الزائدة و التسلط ، لا يمكن التعرف عليهما إلا من خلال رؤية الابن فالي الحد الذي يحتمل أن يكون فيه موقف الوالدين عند ممارسة حمايتهما الزائدة معارضا لرغبة الابن في التحرر و الاستقلال ، يمكن أن نتحدث عن الحماية والتسلط , ولكن إذا كان الاحتمال هو تقبل الابن لهذا الموقف كما هو الحال في أداء الواجب المدرسي نيابة عنه أو في الدفاع عنه مثلا فإننا يمكننا الحديث عن الحماية الزائدة فحسب .

أما في الحالات التي يكون فيها فرض الرأي علي الابن لا يتضمن فكرة أداء واجب مدرسي نيابة عنه يمكننا الحديث عن التسلط فقط ومن ثم فمن يحكم علي شعور الابن وإدراكه إلا الابن نفسه؟
فالصورة التي يدرك بها الابن سلوك والديه وتؤثر علي سلوكه وشخصيته , أهم من تقارير الوالدين حسبما يري ***Ausble*** فيذكر أنه علي الرغم من كون سلوك الأب حادثة موضوعية في العالم الواقعي إلا أنها تؤثر نمو الذات في الحدود والصورة التي يدرك بها الابن هذا السلوك . فالسلوك الوالدي كما يراه الابن أكثر ارتباطا بنمو وارتقاء شخصيته.

السبب الثاني في عدم ملائمة هذا المنحي – اتجاهات الوالدين – حيث تعتمد الأسئلة الموجهة للوالدين علي المواقف النوعية وهذا الأسلوب قد أدي إلى فشل معظم الدراسات التي تمت بالخارج أو في مصر في إيجاد علاقات واضحة حيث أنه من المسلمات الأساسية لعملية التفاعل الأسري هو الاتصال عبر المواقف المختلفة وليس الانفصال أو التقطع بحيث أن الأسلوب الوالدي المتسامح يكون تقريبا في كل المواقف ومع تسليمنا بديناميات كل موقف علي حده إلا أن الطابع العام للمعاملة السائد في الأسرة هو الأسلوب الملائم والذي يجب فحصه .

ويوصي الباحثون بضرورة الاهتمام بالأسلوب السائد في الأسرة من أساليب المعاملة الوالدية بدلا من النظر الي المواقف الفرعية .

ج٠ أساليب التنشئة الوالدية كما يدركها الأبناء:

تناولنا فيما سبق الجهود التي بذلت لقياس سلوك الوالدين وممارستهم في تربية الأبناء ، بدءا من عملية الملاحظة و رصد السلوك داخل الأسرة ، و ما يحوط بهذا المنحي من محاذير منهجية تقلل من دقة و مدى المعلومات التي نتوصل إليها ، ثم دراسة اتجاهات الوالدين إزاء تربية الأبناء من خلال التقارير اللفظية للوالدين ، و ما يواجه هذا المنحي أيضا من بعض أوجه القصور ، الأمر الذي دفع الباحثين إلى التعامل المباشر مع مدركات الأبناء أنفسهم ، عن خبرات التنشئة التي عايشوها خلال فترة طفولتهم المبكرة ، علي اعتبار أن ذلك أكثر ارتباطا بشخصيتهم ، و ذلك نظرا لأن البيئة الاجتماعية ليست كما تقوم فعلا هي المحدد الأساسي لصورة التنشئة كما تنعكس علي البناء النفسي و لكن الكيفية التي يدرك بها الأبناء بيئتهم الاجتماعية هي أكثر المحددات أهمية .

فالبيئة الواقعية قد تكون واحدة بالنسبة لعدد من الأفراد و بالرغم من ذلك تؤلف بيئات نفسية لكل منهم بحسب البيئة النفسية لكل منهم . و البيئة النفسية كما حددها " ساران ***Sarain*** "" هي البيئة كما يدركها الفرد ، و عملية الإدراك هذه يتدخل فيها عوامل متعددة مثل نوع الفرد ، سنه ، حاجاته ، ميوله ...الخ".
اذن فمن الضروري أن نتعرف علي الصورة التي يدركها الابن عن تصرفات والديه معه ، و تطبع سلوكه ، وتصرفه بدلا من الاعتماد علي اتجاهات الوالدين ، و يذكر " أحمد عبد العزيز سلامة ، و عبد السلام عبد الغفار " في هذا الصدد " أنه ينبغي أن نحكم علي المعاملة الاجتماعية التي يلقاها الشخص أو التي خبرها الشخص ، من وجهة نظر الشخص نفسه ، لا من وجهة نظر من يصدر الحكم ... فقد تقابل طفلا يعامل معاملة تبدو لنا قاسية ، و على الرغم من ذلك لا تبدو عليه الاثار السيئة التي نتوقعها".
و في ضوء الاعتماد علي مدركات الأبناء عن أساليب التنشئة التي عايشوها ، فقد بدأ الباحثون في تطوير أدوات ملائمة لذلك ، و من أبرز رواد هذا الاتجاه " سيجلمان ***Siegelman*** و هيلبرين ***Hellbrin*** و شيفارا ***Scheffar*** و برونفبرونر ***Born Fenbernnre*** .
إجمالا لما سبق ، فقد تناولنا أهم الطرق التي اهتمت بقياس أساليب التنشئة الوالدية ، بدءا من الملاحظة المباشرة لكل من الوالدين و الأبناء ، فالمقابلة التي تتم مع الوالدين أيضا ، و كيفيات هاتين الطريقتين بهما أوجه القصور كذلك الاتجاهات الوالدية في التنشئة و ما يقابلها من محاذير تقلل من قيمتها و صدقها ، خاصة إذا ما تعلق الأمر بربط ذلك بشخصية الأبناء.

الفصل السابع

" العـــدوان "

لا نحتاج لأكثر من مطالعة الجرائد اليومية أو ملاحظة ما يدور حولنا لتنهمر علينا أمثلة لا تنتهي عن العدوان ، سواء على المستوى المجتمعي (الحروب ، الغزو ، الاغتيال) أو على المستوى الفردي (الجرائم ، سوء معاملة الأبناء لوالديهم أو العكس ، السطو المسلح ، ..... إلخ) . فهل العدوان جزء لا يتجزأ من الطبيعة البشرية ؟ أم هو محصلة لظروف معينة ، إذا تغيرت فإنه يختفي أو على الأقل تقل وتيرته ؟ .
قبل الخوض في هذه المسائل وغيرها ، يجدر بنا أن نرجع إلى نقطة البداية ؛ أي تعريف العدوان .

١ – تعـريف العـــدوان .

مثل كثير من الكلمات التي نستخدمها في حياتنا اليومية ، . ولكي ندرس العدوان أو أي سلوك آخر ، ينبغي أن نحدِّد أو نعرِّف ما نبحث عنه حتى يمكننا تناول الأحداث التي تسبقه ،والعواقب التي تتلو ذلك السلوك بدقة .
في موسوعة علم النفس (الجزء الأول) ، يذكر "رونالد باينجر ***R. Baenninger (1994)*** أن عالم النفس بوس ***A.H. Buss*** الذي أمضى وقتاً كبيراً من حياته في دراسة العدوان ، قد عرَّف العدوان بأنه " استجابة يحوِّل المرء بمقتضاها المثيرات الضارة ***Noxious*** إلى كائن آخر " . ورغم وضوح هذا التعريف وموضوعيته ، فإنه ليس مفيداً , لنرى ذلك :

أولاً : وقبل كل شيء ، لا يشير التعريف إلاَّ إلى السلوك الظاهر , فالمشاعر التي يعتبرها أغلب الناس جزءاً من العدوان – مثل مشاعر العدائية والغضب والغيظ والثورة – لا تُعدُّ وفقاً لهذا التعريف " الموضوعي " عدوانية , فالمشاعر مسألة ذاتية . افترض أنك تقف في صفٍ طويلٍ لقطع تذكرة سفر وجاء شخص وانسلَّ أمامك في الصف ، وكنتَ على وشك الوصول إلى النافذة . من المحتمل أن تشعر بالغيظ أو الغضب أو حتى العدائية نحو هذا " المخادع " . ولكن إذا لم تقم باستجابة ظاهرة نحوّ ه (بدفعة مثلاً لإبعاده أو حتى ضربه وإيذائه) فلن تكون عدوانياً وفقاً لهذا التعريف " المقترح " للعدوان .

ثانياً : نلاحظ أن التعريف لا يشمل أي شيء عن القصد الذي يقف خلف المثيرات الضارة, ذلك أنه لا يمكننا ببساطة قياس نوايا أو مقصد الشخص الآخر بمقياس موضوعي . ولذلك فنحن ننسب القصد للشخص الذي يؤذي غيره ، فنقول " إنه متعمد إصابته أو إلحاق الأذى به " . افترض أن تلهّفُك للوصول إلى نافذة التذاكر قد جعلك - دون قصد – أن تطأ بحذائك قدم الشخص الذي يقف خلفك مباشرةً . وفقاً لهذا التعريف " الموضوعي " لابد أن تكون عدوانياً حتى لو لم تكن تقصد إيذاء الشخص . نحن أحياناً نؤذي أناساً أو حيواناً بالمصادفة دون أن نقصد , فدهسك لقطة أو فأر وأنت تقود سيارتك لا يُعتبر عدواناً ، حتى لو أدَّت الحادثة لمقتل المخلوق المسكين , والجنود الذين يقتلون زملائهم خطأً في ميدان الحرب (النيران الصديقة) لا يُعتبرون عدوانيين . بل حتى في أحيانٍ كثيرة ، يتعرَّض أشخاص للأذى أو يمرُّون بمحنة الألم من قبل أشخاص يقصدون إفادتهم . فطبيب الأسنان أو الجراح الذي يشق بطن مريضه يعتبر عدوانياً إذا لم نأخذ مقاصده و نواياه في الحسبان .

ومن جهة أخرى ، يمكن أن تكون هناك نية مبيتة للأذى أو الإصابة دون القيام فعلياً بمثل هذا العمل ؛ افترض أن مسلحاً يجهز عبوة ناسفة للتخلص من خصمه السياسي . فقام بوضع العبوة في سيارة الضحية المقصودة . من المفترض أنه بعد أن يركب سيارته و يدير المفتاح تنفجر السيارة ، و لكنها لم تنفجر

لأسباب معينة . من المؤكد أن غالبية الناس سوف تعتبر محاولة الاغتيال هذه عملاً عدوانياً ، حتى لو لم يسفر عنه ضرر أو إصابة .في هذه الحالة ، يدلنا العمل المعتمد بتجهيز العبوه الناسفة على أن هناك قصداً ونية مبيتة . إن القصد جانب مركزي في تحديد ووصف العمل بأنه عدواني ، و لكن في معظم الحالات يصعب تحديد نوايا الشخص الآخر بصورة موضوعية . فقد يلوح الشخص الذي يرغب في التهديد بقبضة يده. رغم ذلك ، لا تعتبر هذه الإشارات عدوانية حسب التعريف الموضوعي الدقيق و الصارم .

ثالثاً : آخر ثغرة في هذا التعريف تتعلق بفكرة " العدوان السلبي " هنا لا يقوم العدوانيون بأي عمل ، و لكن الإحجام عن العمل يؤدي إلى إلحاق الأذى بالضحية ؛ فمثلاً ، حارس السجن الذي لا يبالي بمشاجرة تحدث بين سجنين يتصرف بعدوانية سلبية لأنه يعلم حق العلم أن وقوع الأذى بأحد الطرفين أو كليهما أمر مؤكد .
و الشخص الذي يتظاهر بأنه لم يسمع أو لم يفهم طلب المساعدة يتصرف بعدوانية سلبية من خلال إرغام المحتاج للمساعدة على تكرار الطلب منه ، أو التحدث بصوت أعلى أو صرف النظر عن المساعدة . ورغم أن الضرر في هذه الحالة يكون في حده الأدنى ، فإن النتيجة هي إيذاء مشاعر المحتاج و مضايقته .
كيف يمكننا إذن تعريف العدوان ؟ إن الأمر ليس سهلاً كما رأينا ، و لكن التعريف الأساس الذي يتفق عليه أغلب المتخصصين في المجال **هو** "السلوك الجسمي أو اللفظي الذي يقصد منه إلحاق الأذى أو الضرر أو التدمير ، سواء كان هذا الأذى فيزيقياً (إتلاف الممتلكات) أو جسدياً (الضرب و الإصابة الجسمية) أو نفسياً (الإهانة و التحقير) ".

و هكذا يجب أن نتذكر دوماً أن العدوان يضم نية إحداث الأذى (***Machie, 1995)&Smith*** . ومع ذلك ، ليست كل الأفعال العدوانية مشينة أو جديرة بالازدراء أو الشجب . يجب أحياناً أن نكون عدوانيين للدفاع عن أنفسنا أو أرضنا أو كرامتنا أو عما نعتقد أنه صواب. و في وقت الحروب ، تقوم الدول بمكافأة الأعمال (التي تعتبر عدوانية) بميداليات الشرف و النياشين . إن نوع العدوان الذي نهتم به هنا هو السلوك العدائي المفرط الذي يأتي دون استفزاز .

و العدوان على هذا النحو ينقسم إلى نمطين رئيسين : **العدوان الانفعالي *emotional*** و **العدوان الوسيلي *instrumental*** . يتضمن العدوان الانفعالي الرغبة في إيذاء شخص آخر . و الواقعون في براثن العدوان الانفعالي غالباً ما يلحقون الأذى بالآخرين دون وعي – على ما يبدو – بعواقب أفعالهم . و يمكنك أن نشاهد العدوان الانفعالي في مناصري فرق كرة القدم الذين يقذفون بعضهم بعضاً بأي شيء يقع تحت أيديهم . و يتطلب العدوان الانفعالي أن يحدث في حالة الثورة و الغضب , فالذين يسعون إلى أخذ الثأر يفعلون ذلك بأعصاب باردة ، مع أن النتيجة هي إزهاق روح إنسان . أما العدوان الوسيلي فيتم بغرض تحقيق هدف محدد مثل نقود شخص أو سرقة معطفه. (***pennington, etal. ,1999)***

النظريات المفسرة للعدوان .

١ التفسير البيولوجي الوراثي.

<u>– ١ – نظرية التطور</u> :

تُفيد نظرية دارون أن الصفات التي تساعد على البقاء تنتقل من جيلٍ لآخر ، ومن هنا يكون البقاء للأصلح . فهل للعنف والعدوان فوائد بقائية ؟ بالتأكيد نعم ، فكثير من العنف والعدوان الذي يحدث بين الحيوانات يرتبط بالمنافسة والافتراس . وقد توصلت جين جودول ***Goodall Jane*** في إحدى الدراسات الميدانية الكلاسيكية إلى أن التهديد والهجوم بين أفراد الشمبانزي (أقرب أنواع الكائنات للبشر) يظهر في المواقف التالية :

١ – المنافسة على الطعام .
٢ – دفاع الأم عن صغارها .
٣ – التحارب على تسلسل الزعامة والامتياز المرتبط بها ، حيث يرتبط الشجار بالتغير في أوضاع الزعامة .
٤ – إعادة توجيه العدوان ؛ حيث يقوم الفرد الذي خسر المعركة مع منافس له مركز متقدم في تسلسل الزعامة إلى تحويل عدوانه لفردٍ أقل منه قوة .
٥ – في حالة إحجام الحيوان من الإذعان لإشارة التحذير التي يعطيها له المعتدي .
٦ – المظهر الغريب ، مثل التشوه أو الإعاقة الجسدية .
٧ – التشاجر بين الذكور للاستئثار بالإناث .

In : Baenninger , 1994, P.45)

وتحدث هذه المواقف بالنسبة للبشر كذلك ، و لكن العنف أو العدوان الصريح بشأن هذه الأمور غير معتاد بين البشر الذين اكتسبوا القواعد الاجتماعية التي أقرتها الثقافات البشرية . و لكن في ظروف الظلم أو الجدب أو المجاعة يتم انتهاك هذه القواعد و في المجتمعات البدائية ، لدينا بشر يتقاتلون من أجل الطعام أو الزعامة.

ورغم أن العدوان البشري قد نشأ مبكراً في ظروف شبيهة بتلك التي يكون فيها أفراد الرئيسات أقرب أنواع الكائنات لنا كبشر ، فإننا سرنا على ما يبدو – شوطاً أبعد منها فالمبررات المعرفية المجردة (مثل الإهانة) قد تكون سبباً لعدوانيتنا . أي لدينا الآن مبررات نفسية و ثقافية مختلفة للقتال أو الشجار . وصارت الأسلحة التي يمكننا استخدامها الآن فعالة في التدمير وإلحاق الأذى مقارنة بالأنياب أو الأظافر التي تستخدمها الرئيسات .

٢- نظريات الغريزة :

تفترض نظريات الغريزة الخاصة بالعدوان البشري أن الدافع العدواني هو قوة فطرية . و إذا كان الأمر كذلك ، فنحن "مبرمجون" للاستجابة بعدوانية في مواقف معينة . و إذا كان بالإمكان تعديل السلوك العدواني ، فلا يمكن تعديل أساسه و هو " الدافع" . وكان فرويد ***Frued*** (١٩٣٠) من الأوائل الذين افترضوا التفسير الغريزي للعدوان . فقد رأى أن العدوان جزء لا يتجزأ من طبيعتنا كبشر . و قد توصل إلى هذه القناعة بعد أن عاين أهوال الحرب العالمية (١٩١٤ – ١٩١٧) و ما خلفته من دمار و إزهاق أرواح الآلاف من البشر . و قد افترض فرويد أن السلوك العدواني نابع من غريزة الموت ***thanatos*** التي تقابلها غريزة الحياة ***eros*** و تمثل :

غريز الموت الرغبة اللاشعورية فى تحاشى صور التوتر فى الحياة بالهروب الى الموت وهى موجهة أصلا نحو الذات قبل الأخرين .وهكذا تتطلب الطاقة العدوانية الكامنة فى البشر وسيلة تتحرر بها من عقالها ,أسماها فرويد التنفيس ***catharcis*** ويمكن أن يكون هذا التحرر مباشرا عندما يطلق الشخص النار وهو فى حالة غضب ليوقع الأذى بالأخرين .ويمكن أن يكون غير مباشر عندما يهتف مشجعو كرة القدم والملاكمة والمصارعة من أعماقهم تأييدا للمتنافسين .وعلى نحو غريب ما يرى فرويد أن تأجج العدوان وفورته حتى يصل الى التلاشى هو انتصار لغريزة الحياة حيث الدافع لحماية الذات.

وانسجاما مع أراء فرويد رأى كونراد لورنز ***konrad Lorenz*** ١٩٦٦ أن العدوان دافع غريزى .كما رأى أن حماية الذات والعدوان أمران متكاملان .وتأييدا لأفكاره أفاد لورنز أن الحيوانات تكون أكثر ما تكون عدوانية مع أفراد نوعها ونتيجة لهذا العدوان تتوزع مصادر الطعام والوليف .وفى توسيع لنظريته لتشمل البشر افترض لورنز أن الدنيا غريزة المقاتلة .ورغم أن الحيوانات لا تمتلك سوى القرون والمخالب والأسنان فان لديها مدى من الايماءات المهدئة التى تعمل على الحد من العدوان .ولكن اذا حدث ونشب نزاع عنيف بين البشر فيبدو أنهم لايعرفون متى يتوقفون فى اغلب الأحيان.

ولا تتمتع نظريات غريزية العدوان إلا بقيمة ضئيلة حاليا لأنها تتضمن فى الأساس استدلالا دائريا بمعنى أن النظرية تقول أننا نتصرف بعدوانية لأن لدينا غريزة عدوانية .ونحن نعلم أنه لابد من وجود غريزة عدوانية إذا تصرفنا بعدوانية .وادعاءات منظرى الغريزة هذه غير قابلة للتحقق التجريبى ولذلك فهى ضعيفة للغاية (***Pennington, D., et al., 1999***)

٣-البيولوجيا الاجتماعية

يسعى الباحثون فى المجال البيولوجيا الاجتماعية ***Docioliology*** الى اكتشاف العوامل البيولوجية المتضمنة فى السلوك الاجتماعى لدى كل الأنواع الحيوانية .ويعتقد علماء البيولوجيا الاجتماعية مثل ويلسون أن بعض نزعتنا السلوكية مثل الميل الى الاستجابة بعدوانية عند شعورنا بالتهديد قد تكون نتيجة مباشرة للطريقة التى يتركب بها الدفاع والجهاز العصبى الانسانى .وهذه النزاعات هى جزء لا يتجزأ من ميراثنا الجينى تم الاحتفاظ بها من خلال عملية الانتخاب الطبيعى لأنها ساعدت أسلافنا على البقاء وقد وصف كوزاد هذه العملية النشوئية بشئ من التفصيل .يجادل لورنز بأن لدى الحيوانات "غريزة المقاتلة "الموجهة نحو الأعضاء الآخرين من نفس النوع ولهذه الغريزة قيمة بقائية كبرى حيث ينتج عن الصراعات العدوانية مع الأفراد من نفس النوع أن الأقوى سيكون الأب للذرية و من ثم يتحسن النوع ككل ومن جهة أخرى يعتقد لورنز أن العنف أصبح يمثل مشكلة للبشرية لعدة أسباب منها أنه على خلاف أنواع الكائنات الأخرى لم يتطور لدى أسلافنا كبح فطري ضد اقتتال البشر فيما بينهم و فى نفس الوقت

طور البشر وسائل صناعية للعدوان بدءا من الحراب والرماح وانتهاءا بالقنابل الذرية بصورة أسرع مما طوروا بها كوابح طبيعية للعدوان ضد أبناء جنسهم ,أى أن حركة التطور الثقافى قد فاقت حركة التطور البيولوجى وفى الوقت نفسه تقتضى المدنية الحديثة أن يقمع البشر العدوانية, ويعتقد لورنز أنه إذا تم إعاقة التعبير عن غريزة المقاتلة بصورة متكررة لدى أى كائن بما فيه الانسان فان الحفزات العدوانية ستنمو وقد تفرغ شحنتها فى نهاية المطاف بطرق قاسية ووحشية وقد يفسر هذا ثورتنا بما تتضمنه من انفعال شديد قد يصل لحد العنف الذى يقع من حين لاخر.
(***Wortman, CB., et al., 1992***)

إذا كان العدوان سمة بيولوجية عامة وفقا لما سبق, فكيف يمكننا تفسير الفروق الواضحة بين الناس من اظهارهم للعدوان ؟فى البداية نقول أن الأفراد يبدون **اتساما** فى تصرفاتهم المتسمة بالعدوانية رغم اختلاف وسائل التعبير عنها فالطفل الذى يعض أقرانه عند الخامسة قد يستخدم الضرب عند العاشرة والأسلحة النارية عند العشرين, وتوحي الفروق بين الأفراد والاتساق فى سلوك الفرد لبعض الملاحظين بأن العدوانية سمة وراثية جينية .وقد توصلت الدراسات عن العدوانية باستخدام التوائم إلى أن معامل الارتباط بين التوائم المتماثلة أى الذين يشتركون فى نفس الصفات الوراثية هو فى حدود ٤٠ وبالنسبة للتوائم الأخوية أى الذين يشتركون فى ٥٠% من الصفات الوراثية.
(***Rushton, J. P., et al., 1986***).

ومن وجهة نظر علماء البيولوجيا الاجتماعية فالعدوان سلوك توافقى يتطور كوسيلة لزيادة إمكانية الوصول لمصادر الإعاشة والمصدر الذى يتم التنافس عليه بقوة هو الرفيق, الجنس أكثر من الطعام أو مناطق النقود فرغم أهمية الطعام ومناطق النفوذ بالنسبة للبقاء فإنتاج الذرية أمر جوهرى إذا كان الفرد يريد لمورثاته أن تبقى, وأقارب الدم يشتركون معنا فى مورثاتنا وعلى ذلك يتوقع المنحنى البيولوجى الاجتماعى بأننا نتصرف بأقل قدر العدوانية مع أقاربنا ومما يؤيد ذلك أن إحدى الدراسات وجدت أن الوالدين البيولوجيين أقل احتمالا بكثير لإيذاء أو قتل ذريتهما حيث يشتركون بالطبع فى المورثات مقارنة بزوج الأم أو زوجة الأب حيث يسيئون لأطفال الزوج.
(***Wilson, 1988&Daly***)

إلا أن التفسير البيولوجى الإجتماعى للعدوان يتعرض لانتقاد شديد وربما يكون أقوى انتقاد موجه له هو أنه يدعى بأن العدوان فطرى وشامل أى ينطبق على كل المجتمعات وهذا غير صحيح فهناك قدر هائل من التفاوت والاختلاف الثقافى والتاريخى يظهر فى العدوان (***Weiner, 1995&Rulach***) فمثلا فى السنوات الأخيرة يشكل الانتحار والقتل أكبر سبب للموت بين المراهقين الأمريكيين (***Ozer, 1998***).
ولا يوجد بلد فى العالم يقترب من هذه المستويات وعلى هذا فلا يمكن أن ينشأ العدوان بصورة تامة من قيمته النشوئيه البقائية فلابد أن يكون للعوامل الاجتماعية تأثير جوهرى ويوضح شكل المدى الثقافى للعدوان.

٤مورثات السلوك

تركز البحوث عن مورثات السلوك على الوشائج بين الارث الجينى والسلوك وهى مهمة طموحة وغاية فى الصعوبة للبيولوجيا الاجتماعية ويدرس الباحثون فى مجال الوراثة الجينية الفروق بين الأفراد و الجماعات المختلفة و من الطرق الفعالة فى بحث محصلات الوراثة دراسة التوائم و الأطفال الذين يتم تبنيهم ففى درسات التوائم تتم المقارنة بين التوائم المتطابقة والتوائم الأخوية والتوائم المتطابقة كما عرفنا

تنشأ من نفس الخلية المخصبة وتشترك بنسبة ١٠٠%من المورثات بينما تنشأ التوائم الأخوية من بويضتين منفصلتين ولا يشتركان الا بنفس القدر من المورثات التى يشترك فيها أى أخوين آخرين لهذا إذا كانت السمة موروثة ستظهر التوائم المتطابقة تماثلا فى السمة أكبر من التوائم الأخوية ولسوء الحظ زودتنا دراسات التوائم بنتائج متضاربة بالنسبة للعدوان ومن ثم لايمكن استخلاص استنتاجات قاطعة. (***Yashikawa,*** ١٩٩٤).

وقد تم كشف النقاب عن نتائج مثيرة من الدراسات التى أجريت على أطفال التبنى فى هذه الحالات و بالنسبة لأى سمة موروثة سيكون أطفال التبنى أكثر شبها بوالديهم البيولوجين حيث هم الذين أمدوهم بالمورثات مقارنة بوالديهم الذين تبنوهم وقد بحث مدنيل وكاندل ***Kandel&Mednic*** السجلات الإجرامية لأطفال التبنى فى الدنمارك وأيضا السجلات الاجرامية لوالديهم البيولوجين ووالديهم بالتبنى, كان الرجال أكثر احتمالا من النساء لأن يرتكبوا جرائم و لذلك تم استبعاد الإناث من الدراسة,وأوضح الباحثان أنه بالنسبة لجرائم الملكية ,السطو على المنازل ليلا الخ ارتبط سلوك الأطفال الذين تم تبنيهم إيجابيا بسلوك والديهم البيولوجى, إلا أنه بالنسبة لجرائم العنف الاغتصاب الاعتداء إلخ لم تكن هناك علاقة. وفى ضوء هذه المعطيات لا يزودنا منحنى مورثات السلوك إلا بالقليل من التأييد لوجهة النظر القائلة بأن العدوان هو جزء موروث من شخصية المرء

.

٥: الفروق بين الجنسين

فى أغلب المجتمعات يتم تشجيع الصبيان على أن يكونوا أكثر عدوانية من البنات حيث يتعرضن للاستهجان إذا أظهرن العدوان (***Ross, 1985&Condry***) وللأدوار الاجتماعية تأثير قوى للغاية على السلوك العدوانى (***Steffen, 1986&Eagly***) وبصورة عامة الرجال أكثر عدوانا جسديا من النساء (***Niemela, 1992&Bjorkvist***) فالغالبية العظمى من جرائم العنف يرتكبها الرجال (***Steffen, 1986&Eagly***) ربما لأنهم أقوى جسميا إلا أنه وعلى نطاق محدود تكون هذه النزعة معكوسة فى بعض المجتمعات فى الجزر المعزولة (***Cook, 1992***).

وبالطبع لا يتجلى العدوان فى الصور الجسمانية فقط فنحن على وعي بالكذبة المستمرة منذ القدم القائلة العصى والحجارة يمكن أن تكسر عظامى ولكن الكلام لن يؤذينى ,فبإمكان العدوان اللفظى أن يسبب أذى أكثر من العدوان الجسدى و الأدلة على وجود فروق بين الجنسين فى العدوان اللفظى متضاربة إلى حد ما فقد وجد بوس وبيرى ***Perry&Buss*** ١٩٩٢أن الرجال أكثر عدوانا لفظيا بينما لم يجد ستروس وسويت ***Sweet*** ١٩٩٢فرقا بين الرجال والنساء على مقاييس العدوان اللفظى وقد تكون النساء اكثر استخداما للعدوان اللفظى المباشر مثل التحدث فى غياب الآخر بما يسوءه ونشر الإشاعات و الأكاذيب. (***Pennington, et al., 1999***)

كيف يمكن تفسير هذه الفروق بين الجنسين؟ تقوم بعض التفسيرات الممكنة على العوامل البيولوجية التى تضم الهرمونات الجنسية وبنية الجسم. فقد ربط بعض الباحثين بين مستوى التستوستيرون فى الدم والعدوان. ومن المعلوم أن هذا الهرمون تفرزه الغدد التناسلية لدى كل من الذكور والإناث على السواء، ولكن يبدى الذكور معدلاً أعلى من هذا الهرمون فى الدم. وبصورة عامة، تصدق المقولة القائلة بأن الذكور فى أغلب أنواع الكائنات الحية (وليس كلها) تعرض مستويات مرتفعة من السلوك العدوانى مقارنة بالإناث؛ ففى الفئران مثلاً، تم التأكد جيداً بأن السلوك ينخفض بعد خصاء الحيوان. ويمكن أن

تعود الفئران المخصية إلى السلوك العدوان لدى طائفة من حيوانات المزرعة كالماعز والحمير والخيل. (أحمد الشافعى، ٢٠٠٠)

ومع أن هذه الدراسات تظهر ارتباطاً بين المستويات المرتفعة من التستوستيرون والسلوك العدوانى، ولكن لا يمكن إثبات صلة سببية بينهما. وقد افترض بعض الباحثين أن السلوك العدوانى هو الذى يزيد من مستويات التستوستيرون (***Richardson&Baron***). إضافة لذلك، يبدو أن للعوامل الاجتماعية تأثير على دور التستوستيرون فى العدوان. فمثلاً، وجد دابس وزملاؤه ***Dabbes, et al***., (١٩٩٠) أن المستويات المرتفعة من التستوستيرون ترتبط بقوة بالسلوك العدوانى بين الذين ينتمون للطبقة الاجتماعية – والاقتصادية الدنيا. كذلك يمكن للبنية الجسمية الذكرية "القوية" أن تفسر الفروق بين الجنسين فى العدوان.

٣ –نظريات التعلم:

من خلال التفسيرات السابقة، ينظر إلى العدوان كمحصلة محتومة لعوامل داخل الشخص أو فى بيئته. إلا أن وجهة النظر البديلة هى أن هذا السلوك مكتسب، وهذا ما يتبناه أغلب العلماء الاجتماعيين. بل إن الحيوانات الأدنى مرتبة فى التطور تتعلم الاستجابات التى كنا نعتبرها "غريزية الطابع". فعلى سبيل المثال نجد صغار القطط لا تطارد الفئران من خلال الغريزة وحدها. إنها تتعلم هذا السلوك بمراقبة القطط الأكبر.. وبالنسبة للبشر، يكون تأثير التعلم أكثر شمولاً. وعلى هذا حازت نظريات التعلم الاجتماعى فى العدوان على اهتمام كبير. وفى هذا الجزء سنتناول بالإضافة إلى التعلم الاجتماعى أو النمذجة المعايير التى تصنعها الثقافة بالنسبة للسلوك العدوانى.

– النمذجة:

تعتبر نظرية ألبرت باندورا ***A. Bandura*** عن القدوة أو النمذجة ***modeling*** أكثر نظريات التعلم قبولاً فى الأوساط العلمية. وطبقاً لهذه النظرية، يكتسب الناس كيفية إلحاق الأذى بالآخرين من خلال تعرضهم لنماذج العنف ومن خلال التدعيم الإيجابى للعدوان. وقد اتضح مدى تأثير النمذجة فى استثارة السلوك العدوانى فى التجربة الكلاسيكية التى أجراها باندورا وزملاؤه (١٩٦١). قام تلاميذ الحضانة بمشاهدة أحد شخصين راشدين كنموذجية. أهمل الأول دمية كبيرة وأنشغل بالعبث فى أحد المقاعد ولكن بصورة هادئة، بينما أساء الشخص الآخر للدمية، فقام بتثقيبها (تخزيمها) من وجهها وضربها فوق رأسها بمطرقة خشبية وقذفها فى الهواء بغضب وركلها بقدمه عبر أرجاء الحجرة. وكان يصرخ بين الحين والآخر وهو يهاجم قائلاً: اضربها فى أنفها... اركلها!". وتحت ظرف تجريبى يحتوى على إحباط طفيف، أظهر الأطفال الذين شاهدوا النموذج العنيف عدوانية أكبر من الأطفال الذين شاهدو النموذج الآخر. علاوة على ذلك، مال الأطفال الذين شاهدوا النموذج العنيف إلى تقليده. فقد قاموا بثقب الدمية وضربها بالمطرقة وركلها والصراخ فيها.

وهكذا يتضح أن التعرض للنموذج العدوانى يطلق العنان للعدان ويوحى بأفعال عدوانية محددة. ومن وجهة نظر باندورا (١٩٧٧)، فإن النماذج تحرص بطريقة أو بأخرى على العدوان. وقد تتمثل هذه الطريقة فى الإيضاح أو التحريض الضمنى أو الصريح، أو بالإيحاء بأن هذا السلوك مناسب أو مرغوب فيه أو على الأقل جائز ومسموح به.

وفى المقابل، فإن ملاحظة النموذج " (اللاعدوانى) تزود المرء ببديل آخر للتصرف، وقد تفيد فى تقوية مقاومة الشخص للعدوان. فالشخص الغاضب الذى يلاحظ شخصاً ما يتصرف بهدوء وعقلانية من المحتمل أن تخمد ثورة الغضب فى نفسه بدلاً من الاندفاع فى ثورة غضب.

ولكن ما هى العوامل التى تؤثر على الدرجة التى يقلد بها الشخص النموذجية العدوانية؟ إن أحد التأثيرات المهمة هى وجود الثواب أو العقاب. ففى دراسة تتبعية، وجد باندورا (١٩٦٥) أنه من غير المحتمل أن يقلد الأطفال النموذج الذى تتم معاقبته على العدوان. رغم ذلك، فالتأثير الكابح للعقاب على العدوان أمر بالغ التعقيد. وبصورة عامة، يجب توافر العديد من الشروط حتى يتحقق الخوف من العقاب على ارتكاب العمل، حددها باندوار (١٩٨٣) فى:

لابد من توافر طرق بديلة للحصول على ما يرغبه الشخص العدوانى.
يجب أن يتم إدراك العقاب على أنه سريع ومؤكد الحدوث.
ألا يصل الفرد إلى درجة شديدة من الغضب.
أن يعتقد أن القائم بالعقاب لديه الحق والتخيل بتوقيع العقاب.
P. 610). ,١٩٩٢***In : Wortman, C. et al.,***)

ولكن يجب أن نأخذ فى اعتبارنا أنه بمجرد إزالة التهديد بالعقاب، قد يزين العدوان للشخص مرة أخرى، وخاصة إذا كانت المكافآت المحتملة كبيرة. وتوضح البحوث أن أغلب حالات العدوان يتم مكافأتها. ففى دراسة قام بها باترسون وزملاؤه ***Patterson, et al.***، حصل ٨٠% تقريباً من الأطفال الذين شنوا هجوماً جسدياً و لفظياً على نتائج إيجابية للغاية من عدوانهم. وأحياناً تكون هذه المكافآت مادية (مثل الحصول على لعبة محبوبة)، وتكون فى أحيان أخرى اجتماعية (الفوز بإعجاب الوالدين أو الإخوة أو الأقارب أو الزملاء)، وفى أحيان ثالثة تكون داخلية (تقوية إحساس الطفل بالقوة)، وفى أحيان رابعة يتلقى الطفل أكثر من صورة من صور المكافآت هذه.

والسؤال المطروح هنا هل نستخدم العقاب مع الشخص العدوانى؟ ومن الصعب الوصول إلى إجابة قاطعة لهذا السؤال. ولكننا نعرف أن المربيين وعلماء النفس يتحاشون استخدام العقاب البدنى مع أطفال المدارس. ويبررون ذلك بأن المعلمين والوالدين هم رموز يحظون باحترام الأطفال. فإذا قام رموز السلطة موضع الاحترام بإيذاء الأطفال، فسيكون ذلك مسوغ للأطفال بأن يستخدموا مثل هذه الطرق.
ومن خلال العقاب، يتعلم الناس وكذلك الحيوانات ما لا يجب عليهم أن يفعلوه أكثر من أن يتعلموا ما يجب عمله. وقد لاقت آثار العقاب على السلوك العدوانى اهتماماً كبيراً لأن هذه الآثار متناقضة إلى حد ما. فعند توقيع العقاب على الحيوان أو الشخص على تصرفه بعدوانية، فإن ذلك يعنى أن مثيراً مؤلماً يقدم له بسبب عدوانه ومن ثم، قد تختفى أفعاله العدوانية مؤقتاً، ولكن المثيرات المؤلمة هى أحد أسباب العدوان. وهكذا قد يعمل الإجراء الذى يستهدف تخفيض العدوان على زيادته فى نهاية المطاف. وقد وجدت هذه النتيجة فى مجموعة متنوعة من التجارب التى أجريت على أنواع مختلفة من الكائنات (وكذلك الإنسان). وعلى هذا، فإن صفع الطفل على وجهه لإيذائه طفلاً آخر قد ينتج عنه مزيد من الإيذاء والضرب.
Baemninger, R., 1994))

٢- المعايير الاجتماعية

من المعايير الاجتماعية التى تحض على العدوان معيار التبادلية (أو السن بالسن) الذى يعبر عن عادة الأخذ بالثأر (إن لم يشجعها) السائدة فى بعض مناطق مصر وخاصة الصعيد، رغم أن الثأر كنوع من السلوك العدوانى – عمل كريه فى الثقافة اليابانية (***Alcock, et al., 1988***). ويحتوى العرف الأمريكى على عبارة شهيرة تقول "من الصواب أن تحمل سلاحاً نارياً، ومن الأصوب ألا تستخدمه". ورغم أن المقصود من العبارة الدفاع عن النفس، فإن معدل القتل فى هذا البلد اكبر منه فى أى مكان آخر (***Ozer, 1998***).

هناك معايير للعدوان تكون محصلة لثقافة فرعية معينة. فمثلاً، من الخطأ بين مراهقى شيكاغو أن تظهر عدم الاحترام للشباب الآخرين فى الجيرة (***Mackie, 1995&Smith***). والاستجابة المعيارية لعدم الاحترام هو العنف المتطرف بما فيه القتل (***Terry,*** ١٩٩٣). والصبية العدوانيون من بين أطفال المدارس يحوزون على شعبية كبيرة، ترسخ هذه الشعبية معيار تقبل العنف (***Dodge, &Price 1989***). والمعايير ليست مقصورة على الشباب، فغالباً ما تستخدم المعايير التى تحض على العدوان بين المتنافسين فى عالم الأعمال من المديرين التنفيذيين (ذوي الياقة البيضاء).

ويجيز معيار العدوان الذكرى كذلك السلوك العدوانى بدرجة أو بأخرى، وهو معيار سائد فى الثقافة الأمريكية وثقافة جنوب أوربا، وأيضاً فى مصر. ففى تلك البلدان، يعجب الذكر كثيراً بكونه "عنيفا" : أكثر مما فى بلدان أوربا الشمالية مثل إنجلترا (***Block, 1973***). وهناك معيار آخر يسمى الخصوصية الأسرية. يتغاضى هذا المعيار عن العدوان فى المواقف الأسرية. فنحن لا نكون فى الغالب على استعداد للتداخل فى المشادات الكلامية بين رجل وأمرأة لأننا نفترض أنهما زوج وزوجة كذلك من غير المحتمل أن نتدخل إذا رأينا إمرأة تضرب طفلاً على الملأ، مفترضين أنها أمه. ولسوء الحظ، يكفل معيار الخصوصية الأسرية عدم التدخل لوقف العنف داخل الأسرة، بل وتشجيعه فى الغالب (***Berk&Sherman***).

٣ العوامل الموقفية

قد يجادل علماء البيولوجيا الاجتماعية بوجود نزعة بيولوجية فطرية للسلوك العدوانى. وقد يفترض منظور التعلم الاجتماعى وجود طرق يمكن من خلالها تعلم العدوان. وفى هذا الجزء، سنتناول تأثير البيئة الفيزيقية وبعض المتغيرات الاخرى على العدوان.

-١- الظروف البيئية:

تسهم الظروف البيئية الضاغطة بدور لا يمكن تجاهله فى حدوث العدوان. وتشمل الظروف البيئية: الضوضاء والإزدحام والتلوث البيئي والطقسى. فبالنسبة للطقس، فإن حدوث أعمال الشغب نكون أكثر إحتمالاً عندما يكون الطقس معتدلاً (***Richardson, 1994&Baron***). ذلك أن الطقس المتطرف وخاصة شديد البرودة يؤثر سلبياً على خروج الناس فى الشوارع. وفى المقابل عندما تكون الحرارة مرتفعة يكون العدوان أكثر إحتمالاً. ذلك أن ما يصحب ارتفاع الحرارة من تغيرات فسيولوجية (فقد نسبة من الأملاح نتيجة العرق) تعمل على زيادة درجة الاستثارة فى الجهاز العصبى، وهكذا يكون الفرد مهيئاً للإنخراط فى العدوان. كما أن الإزدحام يؤدى إلى حدوث العدوان. فتكوم الناس فى وسائل المواصلات مثلاً ينتهك خصوصيتهم ويوتر أعصابهم، وبذلك يكونون اكثر استعداداً للتشاجر وإصدار السلوكيات العنيفة. وفى ظروف إزدحام السجون يتصاعد العنف. أما الضوضاء فتجعل الفرد على استعداد للاستجابة بعدوانية من خلال تأثيرها السالب على بعضه الوظائف الحيوية كالسمع ونبض القلب، فضلاً عن إثارتها للشعور بالإنزعاج (زين العابدين درويش وآخرون، ١٩٩٤). كما يؤثر التلوث البيئى على الاستجابات العدوانية وخاصة تلوث الهواء (***Zillman, et al.,*** ١٩٨١).

٢- المكانة الاجتماعية:

ذكرنا من قبل أن أولئك الذين ينتمون إلى المكانة الاجتماعية – الاقتصادية المنخفضة يبدون صلة قوية بين مستويات التستوسترون والسلوك العدوانى إذا قورنوا بجماعات أخرى (***Dallis &Morris, 1990***) إلا أن الظروف الاجتماعية التى يحياها الناس يمكن أن تؤثر أيضاً على العدوان ويبرز الحرمان النسبى عندما يقارن الناس وضعهم الاجتماعى – الاقتصادى بوضع غيرهم فى المجتمع، ومن ثم يستنتجون أن وضعهم سيئ. وإذا كان من المستحيل أو على الأقل من المتعذر إصلاح الخلل فى التوازن بالطرق الشرعية القانونية، فقد يتصرف أعضاء الجماعة المحرومة بعدوانية. وقد اندلعت العديد من الثورات عبر التاريخ بهذه الطريقة. وقد قيل إن أعمال الشغب التى شهدتها مدينة لوس إنجلوس بعد تبرئة رجال الشرطة (البيض) من تهمة ضرب رودنى كنج (الأسود) قد تعززت بالشعور بالحرمان النسبى بين مثيري الشغب (***Vaughan, 1995&Hagg***).

-٣ الإحباط

يتم فى الغالب اقتراف الأعمال العدوانية فى وجود نوع من الاستفزاز أو المضايقة. ولذلك يلجأ المحامون عن القتلة إلى إثبات أن السلوك العنيف الذى أدى إلى القتل قد جاء نتيجة الاحباط. وهم فى ذلك ينطلقون من فكرة أن القتل أو الضرب العنيف لم يكن ليقع لو لم يحدث الاستفزاز من جانب الضحية. وفى الحياة اليومية عندما يعيقك شخص أو شئ عن تحقيق هدف مثلا ، عندما تقود سيارتك وأمامك شخص يقود سيارته ببطء وأنت متأخر عن موعد المحاضرة ، أو جارك الذى يعزف الموسيقى أو يفتح جهاز التسجيل بصوت مرتفع وأنت تستذكر دروسك ليلة الامتحان ، فى كلتا الحالتين ستشعر بالإحباط فى العادة.

فى الثلاثينيات من القرن العشرين ، افترض مجموعة من علماء النفس فى جامعة ييل ***Yale*** وعلى رأسها دولارد ***Dollard*** (١٩٣٩) – أن العدوان هو دوما نتيجة للإحباط ، وأدت أعمالهم إلى صياغة فرض الإحباط – العدوان. وجادل دولارد وزملاؤه بأن الدافع للعدوان هو دافع نفسى يستثيره الإحباط. والإحباط هو التدخل غير المتوقع الذى من شأنه عرقلة السلوك الموجه نحو الهدف. وعلى هذا ، فعندما تعاق محاولات الشخص للحصول على الطعام أو المأوى أو الاعتراف ... الخ يصبح عدوانيا. ولكن هذا لا يعنى أنه سيندفع على الفور تأثرا بسبب الإحباط ، بل إن الإستجابة العدوانية – من وجهة نظر دولارد – قد تتأخر أو تتقنع أو تتحول نحو أناس آخرين أو موضوعات أخرى أو تنحرف عن هدفها المنطقى المباشر. فالموظف الذى يتخطاه زميله فى الترقية قد يروج شائعة تسئ إلى سمعة زميله هذا ، أو قد يوجه الإهانة (أو حتى الضرب) لزوجته أو ابنه بدلا من توجيهها لمن اغتصب حقه. أى أن الإحباط من وجهة نظر دولارد يؤدى دائما إلى نوع من السلوك الذى يستهدف إطلاق الحفزات العدوانية. وقد تم تبنى القول القديم القائل "إذا رجعت إلى المنزل فى يوم كان مليئا بالإحباط ، فاركل القطة" ثم تبنيه بطريقة أكثر إنسانية من جانب بعض الشركات اليابانية ، حيث تضع تمثالا طبق الأصل لرئيس الشركة ، وتسمح للعمال المحبطين بضربه.
Pennington, et al., (1999))

وقد وجهت الإنتقادات لفرض الإحباط – العدوان. فالعدوان طبقا لهذا الغرض هو رد الفعل الوحيد على الإحباط ، ولكن الواقع لا يؤيد ذلك. فمثلا ، ينسحب بعض الناس عند إعاقة جهودهم ، بينما يعمل آخرون بجدية أكبر لتحقيق هدفهم. ومن الإنتقادات الأخرى أنه على نقيض ما يقترحه دولارد ، فالإحباط ليس السبب الوحيد للغضب والعدوان. ففى مقابلات أجريت عن خبرات الناس الحياتية الفعلية فيما يتعلق بالغضب ، كشفوا عن أنهم يصبحون غاضبين لعدد متباين من الأسباب بما فيه جرح كرامتهم أو تقدير الذات لديهم أو انتهاك الآخرين للمعايير الاجتماعية المتعارف عليها أو حدوث إهانة شخصية.
وكما يذكر زين العابدين درويش وزملاءه (١٩٩٤) ، توصل الباحثون إلى وصف الشروط التى فى ظلها يؤدى الإحباط إلى العدوان. منها أن تكون مثيرات الإحباط مقبولة للعدوان (الأعداء أو أبناء الأقلية فى مجتمع عنصرى) أو حين يعتقد الشخص أنه لن يتعرض للعقاب ، أو حين يشعر الفرد بأن الإحباط نتج عن سلوك غير مشروع أو متعسف قام به العائق. فعلى سبيل المثال ، الطفل الذى يحرمه والده من المصروف حين يتقاعس عن إكمال الواجب المدرسى لن يتساوى إحباطه مع طفل حرم من مصروفه على الرغم من قيامه بأداء ذلك الواجب.
زين العابدين درويش وآخرون ، ١٩٩٤).

وقد جاءت نظرية بديلة من التجارب المعملية على الحيوان ، حيث وجد أن الاستثارة المؤلمة فى حضور فرد آخر من أفراد نفس النوع كاف لحدوث هجوم فورى. وثم تم مطابقة هذه النتيجة على مجموعة متنوعة من الحيوانات شملت كل طائفة الفقاريات تقريبا. حتى حمام المعمل سعى إلى الهجوم على الحمام الآخر عند تلقيه صدمات كهربية. وقد اقترح العديد من المنظرين أن الخوف أو الرعب هو أهم محرض على العدوان. ويحاول البعض بأن الخوف منهم فى العدوان بالمعيار الوطنى ، كما يحدث عندما تعتقد كل دولة متحابة أنها فى خطر من مهاجمة الدولة الأخرى. لهذا تلجأهذه الظروف إلى ما يسمى "بالضربة الاستباقية".

وعلى كل الأحوال ، ما يزال لغرض الإحباط – العدوان صدى فى الأوساط العلمية. وفى مراجعة للأبحاث فى هذا المجال ، وجد ليونرد روكفيتش ***L.Rorkuitz*** (١٩٨٩) أن لب افتراض دولارد صحيحا ، ولكن يجب تعديله على النحو التالى : إن الإحباطات لا تخلق العدوان إلا بالمقدار الذى يشعر به الشخص على أنها غير مريحة فالإحباطات أحداث منفرة ، ولذلك ينتج عنها مشاعر سلبية ، ومن المحتمل أن تستثير المشاعر السلبية كالعدوان. ويوسع بركوفيتش هذه الفكرة بافتراض أن أى نوع من المشاعر السلبية – كالحزن والاكتئاب وكذلك العدائية وسرعة الاستثارة – سوف ينتج عنها الغضب والسلوك العدوانى.

(***Berkowtiz, &Fimman*** ١٩٨٩)

٤ الخصائص الشخصية

:السلوك هو محصلة كل من البيئة والفرد ، فالخصائص الشخصية هى أحد مصادر التأثير فى السلوك العدوانى. وفى هذا الصدد سنتناول ثلاثة أمور : الشخصية العدوانية والضبط المعرفى وانعدام الكف.

١- الشخصية العدوانية

إذا تأملت فى الناس الذين تعرفهم ، فقد تعتبر أن واحدا أو اثنين منهم لديه "شخصية عدوانية ، حيث يبدو أن رد فعله حاد بالنسبة لأى شئ تقريب ، ويعتبر بصورة عامة شخصية "سيئة الخلق" ***Touchy*** مثال ذلك الشخص السادي الذى يتلذذ بتعذيب الآخرين دون أى استفزاز من جانبهم. كما أن هناك فى كثير من المجتمعات من يتم استئجارهم بهدف القتل ، أو المرتزقة الذين يحاربون مع أى جيش فى مقابل المال. إذن يبدو أن هناك شخصيات "عدوانية" بطبيعتها.

وفى شرح مستفيض تم بناء على أعمال بحثية ، يصف لنا هانزتوك ***Hans Toch*** الباحث فى علم الجريمة فى كتابه ***Violent Men*** المنشور عام ١٩٨٤ خصائص الدوافع لدى أولئك الذين يستخدمون العنف دون استفزاز واضح على النحو التالى.

Through : Barnninger, 1994, PP. 44-45))

الدفاع عن السمعة : يتوقع كثير من الناس أن يدافع بطل الملاكمة أو المصارع عن سمعته خارج الحلبة مثلما يدافع عنها داخل الحلبة. والشخص الذى يعتقد أن لديه هذه الشهرة أو شهرة مشابهة وهى عرضة للضياع – سواء كان ذلك حقيقيا أو متخيلا – فإنه يستخدم العنف.

دعم المعايير والتأكيد عليها : من الناس من يحددون لأنفسهم رسالة تتمثل فى التأكيد على معايير وقواعد للتصرف يعتقدون أنها شاملة. ويمكن أن نجد أمثلة من التاريخ العربى فى الصعاليك الذين كانوا يشنون الغارات – فى الجاهلية قبل الإسلام – على الأغنياء ويسلبون من أموالهم ليعطوها للفقراء.

جـ- الدفاع عن الذات : فى الحياة البدائية ، حيث تكون بيئة الشخص فى الغالب خطرا جسيما عليه من أشخاص يناصبونه العداء أو من آخرين ، فإن مهاجمة أو ترويع الآخرين قبل أن يلحقوا به الأذى هو أمر يمكن توقعه وتفهمه.

د- إزالة الضغط : إن مخاوف ومطالب وضغوط وإحباطات الحياة الاجتماعية أو الظروف الاقتصادية قد تتضخم لتصل إلى النقطة التى عندها يبدو أن الانفجار هو الخيار الوحيد المتاح.

هـ- الاستئساد : يتمثل الأمر ببساطة لبعض الناس فى الضغط من خلال تخويف أو ترويع الآخرين بوسائل عنيفة.

ز- الانغماس الذاتي : يمثل إلحاق الأذى بالآخرين مبعث رضا الشخص السادى. ويكون اشباع رغبة ذلك الشخص هو الشئ الأهم فى تفاعلاته الأجتماعية.

ح- التنفيس : إذا قام المرء بأفعال عدوانية وعنيفة ، فإنه يمر بخبرة التنفيس ، ومن ثم تميل مثل تلك الأفعال للتكرار. فقد كانت انفعالات جمهور الحضور في اليونان القديمة تتدافع عند مشاهدة التراجيديات الكلاسيكية ، ومن ثم يحدث لهم "تطهير".

هذه الدوفع التى حددها توك ليست من النمط الحصرى ، بمعنى أنه إذا وجد دافع ينفى باقى الدوافع بل إن وجودها لا يستبعد إمكانية وجود أسباب اخرى كالإحباط مثلا.

٢- التحكم المعرفى

تخيل نفسك تشق طريقك وسط حشود من الناس فى أحد الأسواق الشعبية ، واصطدم واحد منهم بك بشدة, إن أول خبرة تمر بها هى الضيق ، وتضايقك هذا أمر يمكن تفهمه. ولكن كيف يكون شعورك إذا قدم لك اعتذارا ؟ رغم أنك ما تزال تشعر بالضيق ، فإنك أقل احتمالا بكثير للإستجابة بعدوانية بعد تقديم الاعتذار (***Ohbuchi, et al., 1989***). هذا لأن قول "آسف" تزودنا بمعلومات ملطفة ***mitigating*** توضح أن الفعل لم يكن مقصودا. وفى القانون ، يستخدم المعلومات الملطفة عند الحكم على الشخص بأنه غير مسئول عن أفعاله بسبب الجنون. وفى المواقف اليومية ، نميل لأن نكون متساهلين نحو الناس الذين يضايقوننا إذا علمنا أنهم يمرون بظروف شخصية صعبة.

وإحدى المؤثرات القوية على التحكم المعرفى هو تعاطى الكحول؛فللكحول مثلا دور أساسى كسبب للاعتداء الجنسى. ذلك أنه يقلل من قدرات المعالجة المعرفية لأنه يجعل الشخص يفقد الإشارات التى تقمع السلوك العدوانى (***Jasephs& Steele1990***). رغم ذلك ، ترى النظرية البديلة أن الضغوط هى التى تسهم فى كل من تعاطى الكحول والعدوان ، وأن الأشخاص المتسمين بالعنف يميلون إلى تعاطى مقادير كبيرة من الكحول (***Bradbury,*** ١٩٨٤).

٣- انعدام الكف

إن أحد أسباب استخدام الناس للكحول فى المناسبات الاجتماعية (فى الغرب عادة) هو أن جرعات صغيرة منه تقلل الكف الاجتماعى ، مما يسمح للناس أن يقيموا تفاعلات بسلاسة وحرية. أما الجرعات الكبيرة فيمكن أن تؤدى إلى انعدام الكف بصورة تامة. ويشير المصطلح إلى تقلص المؤثرات الاجتماعية التى تمنع الناس من إتيان السلوك العدوانى. ويحدث انعدام الكف فى حالة العدوان الجماعى (حيث لا يمكن التعرف على أحد كمسئول عما يحدث) وفى حالة تجهيل المسئولية الفردية,فإذا استطاع الناس التملص عن تحمل المسئولية عن أفعالهم ومن ثم يمكنهم الإفلات من العقاب ، فإنهم أكثر احتمالا لارتكاب الأفعال العدوانية. فقد وجدت سلسلة من الدراسات أن ضمانة عدم ذكر أسماء المبوثين يؤدى إلى تزايد العدوان (***Zimbardo, 1969)*** ، وأن الرجال يتصرفون بعدوانية مع النساء عندما تجهل أسماؤهم (***Prentice, 1994)&Lightadal*** . وقد يؤدى تغييب المسئولية الشخصية إلى ارتكاب أفعال مرعبة يعجز اللسان عن وصفها مثل مهاجمة الجنود الأمريكيين للنساء والأطفال فى فيتنام ،

والمذبحة التى وقعت منذ عدة اعوام للآلاف من التوتسي على يد خصومهم الهوتو فى رواندا.

وسائل الإعلام

إن إحدى القضايا الخلافية التى تدور حول تفسير التعلم الاجتماعى للعدوان تتمثل فى آثار مشاهد العنف التى تعرض على الشاشة بصورة واسعة الانتشار. ولقد وضع تأثير وسائل الإعلام – وخاصة التليفزيون – تحت الفحص المكثف كسبب محتمل للعنف. ورغم كثرتها ، تعانى البحوث فى هذا المجال من مشكلات منهجية ، حيث أن اختبار تأثيرات العنف فى وسائل الإعلام. يشتمل – فى العادة – على رؤية المشاركين لعدوان خفيف لفترة قصيرة من الوقت (***Freedman, 1984***).

ويتمحور الجدل فى هذا الخصوص حول وجهتي نظر ، تفيد الأولى بأن شاشة التليفزيون بعرضها لمشاهد العنف تولد الأفعال العنيفة لدى المشاهدين ، وترى وجهة النظر الأخرى بأن مشاهد العنف ينتج عنها تنفيس لدى المشاهدين ومن ثم تنخفض انفعالات الغضب والعداء لديهم تماما كما تفرغ التمرينات الرياضية الطاقة الزائدة فيشعر الشخص بالاسترخاء ويتخلص من عدوانيته فى نهاية المطاف.

ولنتوقف الآن لاستعراض بعض تلك الدراسات.

فى إحدى الدراسات ثم سؤال الوالدين عن مقدار الوقت الذى يقضيه أطفالهم الصغار أمام التليفزيون,وبعد ذلك تم زيارة هؤلاء الأطفال الذين يتصرفون بعدوانية أكثر هم الأطفال الذين يشاهدون البرامج التى تحتوى على العنف (***Singer, 1981)&Singer*** . وفى دراسة طولية ، تم تتبع عينة من الناس بالنسبة لعادات المشاهد على مدار اثنين وعشرين (٢٢) سنة. وكانت النتيجة اللافتة أنه كلما شاهد الشخص مشاهد عنف عند الثامنة من عمرة ، فإنه أكثر احتمالا لأن يرتكب أفعالا عنيفة عند الثلاثين (***Eron, 1986)&Huesmann*** . وتوضح بعض الدراسات الارتباطية أن العنف التلييفزيونى لا يؤدى بالضرورة إلى تقليد مباشر ولكنه يرفع بصورة عامة من مستوى السلوك العدوانى, فمثلا : تميل مستويات القتل فى المجتمع إلى الارتفاع بصورة دالة بعد مباريات الملاكمة للأبطال الشعبيين المحترفين (***Wortman, et al., 1992***). والمربك فى المسألة أن للعنف التليفزيونى أثر مضعف للعنف ، بمعنى أنه كلما شاهدنا العنف أكثر كلما تعودنا عليه. والنتيجة يكون الناس أكثر قبولا للسلوك العدوانى الفعلى وأقل ميلا أن ينفروا منه بمعنى آخر أنه بينما قد تنخفض المشاعر العدوانية بمشاهدة العنف ، فإن المرجح أن تزيد وتيرة الأفعال العدوانية.

ويرى رونال باينجر ***Baenninger*** (١٩٩٤) أن التليفزيون يؤثر جوهريا لا محالة على العدوانية. ففى سلسلة من التجارب المعملية ، وجد ليونارد بيركوفيتش ***L. Berkoutiz*** وزملاؤه أن الأسلحة – أو حتى صورة الأسلحة يزيد بصورة دالة من التعبير عن الغضب و وسائل الإعلام عموما ليست الوحيدة المتهمة بترويج العنف والعدوان. فقد وجد شيهان ***Sheehan*** (١٩٨٣) أن مشاهدة العنف التليفزيونى قد ارتبط بتقديرات الرفاق عن السلوك العدوانى لدى الأولاد (الذكور) فى سن ٨-١٠ سنوات, رغم ذلك لم يوجد تأثيرات لعادات المشاهدة على العدوان اللاحق لدى الأطفال صغار السن. أما أفضل العوامل تنبؤا بالعدوان اللاحق فهو الممارسات الأبوية ، أى تقديرات الطفل عن عدوان والديه واستخدام اللعب التخيلى العنيف ، لهذا فمشاهدة العنف التليفزيونى هو ببساطة واحد من عدد من المتغيرات التى تسهم فى السلوك العدوانى.(***In : Pennington, et al.,*** ١٩٩٩, ***PP. 903 – 310)***

كيفية تقليل السلوك العدوانى

اقترح العلماء والمعالجون النفسيون عددا من الأساليب التي تستهدف مواجهة العدوان والعمل على التحكم فيه أو على الأقل تقليله. ويمكن تصنيف هذه الأساليب فى ثلاث فئات كالتالى :

تفريغ الطاقة : ينصح بعض المعالجين الناس أن يطلقوا حفزاتهم العدوانية بالإنهماك فى أشكال غير ضارة من العدوان مثل التمرين البدنى العنيف ، أو لكم "كيس" الملاكمة ، أو حتى مشاهدة المباريات الرياضية الحافلة بالتنافس (***Huffman, K., et al., 1997***).
ولكن الدراسات التجريبية (***Zanna, 1990)&e.g. Mckenie – Mahr*** توحى بأن "استنزاف مستودع العدوان" لا يساعد فى الواقع على تخفيضه, والواقع أن التعبير عن الأنفعال أو الغضب .. الخ يؤدي إلى تكثيف الشعور أكثر من تقليله.

الاستجابات المنافسة : يقترح بارون ***Baron*** (١٩٨٣) أن تقديم استجابات انفعالية معينة مثل التعاطف مما يعمل على تقليله أو التحكم فيه (***Huffman, K., et al., 1997***).

تحسين المهارات الاجتماعية : يهدف هذا الأسلوب إلى التحكم فى العدوان من خلال تحسين المهارات الاجتماعية ومهارات الاتصال, فقد وجدت بعض الدراسات (***e.g., Baron, 1988)*** أن الناس الذين يعانون من نقص مهارات الاتصال يميلون إلى ارتكاب الأفعال العنيفة فى المجتمع. ولسوء الحظ ، لا نبذل إلا القليل من الجهد فى المدارس والبيت لتعليم مهارات الاتصال وأساليب حل الصراع.

الفصل الثامن

سلوك المعاضدة الاجتماعية

حتى عهد قريب كانت دراسة السلوك البناء (السلوك الإيجابي) مجالا لا يلقى الاهتمام الكافي، ووفقا لايزنبيرج ***Eisenberg*** فإن بداية الاهتمام بالسلوكيات الإيجابية مثل الامباثية(١) ***Empathy*** والمشاركة ***Sharing*** والمساعدة ***Helping*** بدأت في عقد السبعينيات من القرن الماضي ؛ الأمر الذي يمكن فهمه من خلال التوجه الإنساني للعلوم الاجتماعية والذي أحدث تغيرات واسعة في أساليب التفاعل البشري . علي الرغم من أن الوحشية موجودة عبر الزمن فإن وحشية النوع الإنساني ضد ذاته تقل بازدياد الاهتمامات الخيرة، وبازدياد تبني الاتجاهات الإيجابية نحو الحفاظ علي كرامة الحياة الإنسانية ، فضلاً عن ذلك فزيادة الاتجاهات الخيرة . بات يوازيه زيادة مماثلة في الاهتمام بالفئات الخاصة من الضعفاء والعجزة والمرضي والجماعات الأخرى من ذوي الحاجة للرعاية مثل الأطفال . ولعل مثل هذا التحول في النظرة قد أدى إلي استثارة الاهتمام بتطوير السلوكيات الإيجابية والاهتمام بها(***Eisenberg,1982***) أيا ما كانت الأسباب الدافعة لهذا الاهتمام فإن الملاحظ هو تنامي الاهتمام بدراستها علي المستويين العالمي والإقليمي (في العالم العربي عموما ومصر خصوصا) ومن المؤسف أن الدراسات العربية لم تهتم بدراستها إلا بعد أن بدأ الاهتمام بها في الغرب (سيد احمد عثمان ١٩٨٦ : ٦٠)(علي الرغم من أن فئات السلوك الإيجابي مثل المساعدة ، الكرم ، المشاركة، البذل .....الخ جميعها تعد تاريخيا ودينيا أهم سمات الشخصية العربية والإسلامية.

وبصورة تاريخية نلاحظ أنه منذ السبعينيات بدأت الدراسات التي عنيت بالسلوكيات الايجابية في الظهور مثل دراسة دارلي ولاتنية ماكوبي ***(Darly& Latante Macouby, 1970)*** ،وعند منتصف السبعينيات نشرت عدة كتب لبارتال (***Bartal , 1976***) وموسين وايزنبرج ***(Mussen & Eisenberg, 1977)*** ، بل صدر عدد خاص عام١٩٧٢ في دورية ***Journal of Social Issue,*** واستمر التراث البحثي في الامتداد وبدأت تظهر بحوث عن سلوك المعاضدة الاجتماعية ***Pro social*** والإيثار ***Altruism*** (***Eisenberg, 1982,p.3***).

ونظرا لحداثة الاهتمام نسبيا بهذا الموضوع فإن هناك الكثير من القضايا المفاهيمية والنظرية التي مازالت موضع جدل ، مثل تعريفات وتصنيفات سلوك المعاضدة والفرق بينه وبين الإيثار ، كذلك دور العمليات النوعية في تطور سلوك المعاضدة الاجتماعية مثل التنشئة وتأثير الارتقاء في الوجدان والمعرفة.

ويتفق الباحثون في مجال التنشئة علي أن سلوك الفرد هو دالة لعملية التنشئة الو الدية التي خضع لها في الطفولة السوية فالرعاية الو الدية بما تضمنه من إشباع الحاجات الأساسية للطفل وغيرها من أشكال الرعاية السليمة هي بمثابة الأساس لنمو ثقة الطفل في نفسه وبالتالي ثقة الآخرين من حوله وهذا النمو يصبح قاعدة لقدرة الطفل علي فهم مشاعر الآخرين (***Erikson,1963***) و في المقابل يشير "آدلر ***Adlar***" إلي أن عواقب إهمال الطفل وعدم رعايته أو القسوة والإساءة إليه قد تفضي إلي شخصيات لديها تصورات خاطئة عن العالم الخارجي وبالتالي تتبني سلوكيات مضادة للمجتمع (كالفين هول،

---

(١) اصطلاح استخدمه *لبيتز* (١٩٠٣) ليدلل على انغمار المرء في عمل فني أو منظر طبيعي مما أدى إلى إدخال المفهوم في العديد من نظريات علم الجمال واستخدام التحليل النفسي هذا الاصطلاح عند" *أوتورانك*" ليدلل على ضرب من الحب الذي يقوم في العلاقة الطرحية في شقها الحبي مما يمكن من التعرف الموضوعي غير الشخصي في مقابل التعاطف Sympathy . ويشير" *كمال دسوقى*" إلى أن الإمباثية (الإعتطاف) تشير إلى " العلم بحال عقل شخص آخر من غير شعور كما في التعاطف " والذي يشعر به الشخص الآخر . كمال دسوقى . ذخيرة علوم النفس . ص ٤٧٣ الجزء الأول .

جاردنر لندزي،١٩٧١ ،١٧٣).
فتنمية السلوك الايجابي لدي الأطفال تتم أولا في سياق الأسرة ، فالعلاقات الوالدية التي تتسم بالحب والقبول تجاه الطفل ترسخ لديه وتضع الأساس لعلاقاته واتجاهاته الإيجابية نحو الآخرين ، فتعلم قبول وحب الآخرين يتم جنبا إلي جنب مع قبول الذات في إطار العلاقات الأسرية (ممدوحة سلامة،١٩٩٠ ،١٣٣) ، فالشعور بالآخر يسبق الشعور بالذات ، والوعي بالأخر باعث علي الوعي بالذات ،وهذه الذات بدون الآخر الذي تنتمي إليه تظل وجودا غافلا وخاليا من المعني وتظل إمكان بالقوة لا يتحقق بالفعل إلا من خلال الآخر وبإيجابية العلاقة معه(فرج أحمد،٩٧،١٩٨٠)

ووفقا لبارتال ونسيم ***Nissim & Bartal*** فالسلوك الايثاري الذي يقدمه الفرد هو سلوك مركب يتطلب مستوي معيناً من النمو الخلقي والمعرفي والاجتماعي ، فالقدرة علي تأجيل إشباع حاجاته الذاتية ، وأن يضع نفسه موضع الآخر ، والتنبؤ بعواقب السلوك الذي يقوم به كلها متطلبات مهمةللقيام بهذا السلوك . (***Bartal & Nissim 1984,329***).

وقبل الخوض في التراكمات البحثية التي عنيت بالمفهوم وطرق دراسته تجدر الإشارة الى المفارقة المثيرة للدهشة وهى علي الرغم من أن فئات السلوك الإيجابي مثل المساعدة ، الكرم ، المشاركة، البذل .....الخ جميعها تعد تاريخيا ودينيا أهم سمات الشخصية العربية والإسلامية.فلم ينتبه أحد لدراسته إلا بعد تناوله فى الدراسات الغربية.

. ومن أمثلة ذلك النبأ الذى نقلته وكالة أسوشيتد برس فى ٢٦ نوفمبر : قرأ عامل بريد من ولايةفرجينيا عمره ٥١ عاما متزوج ويعول ودخله السنوى ثلاثة عشرة ألف دولار ، قرأ مقالا صحفيا عن طالب فى مدرسة ثانوية فقير ولا يمتلك المال الذى يقتات به ، قام بإرجاع (٤٠) دولار وجدها ملقاه فى أتوبيس المدرسة. وأشار المقال إلى أن الطالب تعرض للسخرية على صنيعه هذا من جانب كثير من زملائه. هنا قرر عامل البريد أن يكافئ هذا الطالب على أمانته ، فقرر منحه مبلغ ألف دولار. إلى هنا والخبر قد يبدو عاديا ، ولكن ذكرت وكالة الأنباء أن عامل البريد يعيش حياة الشظف ليقتطع من راتبه ألف دولار أخرى سنويا لصالح مؤسسه تعيد تأهيل المسجونين وألف دولار ثالثة لصبى مصرى فى حاجة لعملية جراحية باهظة التكاليف,ورغم أن أفعال هذا الشخص المحسن فى أمريكا خارج نطاق المألوف ، فإنها تعكس جانبا على قدر كبير من الأهمية فى الشخصية الإنسانية. وهناك أفعال أقل شأنا من هذا وأكثر اعتيادية تحدث يوميا. ففى حياتنا اليومية نرشد الناس الذين ضلوا طريقهم ، ونساعد قائدى السيارات المعطلة بدفعها والآخذ بيد شخص كفيف لعبور الشارع ... الخ. ما الذى يدفع البشر إلى القيام بمثل هذه السلوكيات؟ هذا هو موضوع هذا الفصل ، حيث سنتناول مفهوم سلوك المعاضدةالاجتماعية والنظريات المختلفة لتفسيره سواء كانت عوامل شخصية أو وراثية أو موقفية.

مفهوم سلوك المعاضدةالاجتماعية

هناك عدة مصطلحات يستخدمها بعض المعنيين بمجال علم النفس الاجتماعى تدل على السلوكيات الإيجابية منها: سلوك المساعدة ، الإيثار ، سلوك المعاضدةالاجتماعية. ورغم محاولة بعض الباحثين التمييز بين مثل هذه المصطلحات ، إلا أن أغلب الباحثين يستخدمونها بالتبادل ، وهذا يعكس الغموض والخلط الذى يكتنف هذا المفهوم حتى اليوم. وفي هذا الجزء ، سنحاول إلقاء الضوء على الجوانب المختلفة لهذا المفهوم.

.

بعض تعريفات المفهوم :

تتفق بل تجمع كل التعريفات على أن سلوك المعاضدة الاجتماعية ***Prosocial behavior*** هو سلوك اجتماعي إيجابي . وسنعرض فيما يلي بعضا من هذه التعريفات التي تعكس هذه الحقيقة :

١ـ تعريف مورجان وكنج (١٩٧٥) : يشار إلى دراسة سلوكيات مثل المساعدة ، الإيثار ، الكرم ، الاستدلال الأخلاقي بمفهوم "سلوك المعاضدة الاجتماعية .
(Morgan & King, 1975 : 424)

٢ـ تعريف برفن ***Pervin*** (١٩٧٨) : يمكن النظر إلى المساعدة على أنها شئ نبيل أو إيثاري بقدر انعدام توقع المكاسب الخارجية ، وبقدر ما يتكبده القائم بالمساعدة من عناء أو تكلفة ***In : Phares, 1988 : 525)*** (

٣ـ تعريف صامويل (١٩٨١) : يمكن تعريف سلوك المعاضدة الاجتماعية – أو سلوك المساعدة – بأن القصد منه تغيير الحالة الجسمية أو النفسية لمتلقي المساعدة بطريقة يدرك بها القائم بالمساعدة أن هذا الشخص أصبح أكثر صحة أو رضاء سواء من الناحية المادية أو الجسمية ***Samuel, W, 1981 :*** ***(308)***

٤ـ يرى أندروود و مور ***Moore & Underwood*** (١٩٨٢) : أن سلوكيات المعاضدة الاجتماعية هي السلوكيات التي تنفذ بقصد واضح هو إفادة الآخر أكثر من إفادة الذات ***In : Eisenbry, 1982 :*** ***(5)***

٥ـ تعريف فيرز (١٩٨٨) : يطلق على سلوك المعاضدة الاجتماعية مسميات أخرى مثل : سلوك المساعدة الإيثار ويطبقونها على آلاف السلوكيات التي تتراوح من المساهمة بالمال كنوع من الإحسان إلى فتح الوقت لخدمة دور المسنين ؛ ومن إبطال مفعول قنبلة في حي سكنى إلى مساعدة صديق في دراسته ، ومن الاستجابة لطلب شخص بإرشاده إلى الطريق الصحيح إلى إعادة بطاقة تأمين فقدها صاحبها. ***(Phares, E., 1988, 524 – 525)***

٦ـ تعريف ميدلارسكى (١٩٩١) : يشير سلوك المعاضدة الاجتماعية أو المساعدة إلى الأفعال التي يتم التعهد بها لمصلحة الآخرين. ***Midlarsky, 1991 : 238)*** (

٧ـ تعريف كليرى (١٩٩٤) : سلوك المعاضدة الاجتماعية هو الأشكال الإيحائية من السلوك التي تتضمن

إفادة الآخرين ، وهو مفهوم يقابل السلوك المضاد للمجتمع ***anti-social behavior*** ***(Clary, 1994 : 93)*** وهكذا ، يتضح من هذه العينة من التعريفات أن سلوك المعاضدة الاجتماعية يضم أغلب السلوكيات الإيحائية التي تتراوح من المساعدة والكرم والإيثار .. إلى مجرد التعاطف أو الاستدلال الأخلاقي . ولكن يكمن في هذا التوسع الفضفاض للمفهوم فوضى مفاهيمية (إن جاز هذا التعبير) . وتؤيد رادك يارو وزملاؤها (١٩٧٦) هذا الاستنتاج ، فيتذكرون أن هذا المصطلح الغريب تستظل به مجموعة متنوعة من الاستجابات مثل : المشاركة ، المساعدة ، الحماية ***defending*** ، التعاطف ، الإنقاذ ، التعاون .... وغيرها.

(Radhe – Yarrow, etal., 1976).

بل يمكن القول بأن تاريخ علم النفس لم يشهد مصطلحا فضفاضا مطاطا يفوق مصطلح سلوك المعاضدة الاجتماعية "ليس هذا فحسب ، بل إن ألفاظه تبدو غريبة. فكما يذكر دالي ، فإن سلوك المعاضدة الاجتماعية هو مثال مثير على مصطلحات علماء النفس ، حيث حل مفهوم المعاضدة ***Prosocial*** محل مفهوم المساعدة ***helping***. ***(Darley, J., 1991, Footnote1 : 326)***

تحليل مقترح للمفهوم:

أسهم التشابك المفاهيمى في مجال سلوك المعاضدة الاجتماعية البحثي بدور فعال في الخلط التنظيرى والامبريقى لكثير من القضايا المتعلقة بهذا المجال البحثي. ويكفى لتوضيح هذا التشابك المفاهيمى أن نذكر المصطلحات والمتغيرات التي يضمها مفهوم سلوك المعاضدة الاجتماعية ، فهو يشمل ما يسمى بـ : الاستجابة الانفعالية البديلة ***vicarious emotional response*** ، اتخاذ المنظور ***perspective taken*** ، التقمص ***empatly*** ، التعاطف ***sympatby*** ، الضيق الشخصي ***Personal distress*** ، الإيثار ***altruism*** ، المساعدة ***helping*** ، المشاركة ***sharing*** ، الإزاحة ***comforting*** ، التعاون ***Cooperation*** .. الخ. فإذا كان مفهوم واحد يضم كل هذه المصطلحات ، فكيف يعالجه الباحثون على المستويين التنظيرى والمنهجي ؟ وكيف يتم استخراج البيانات الإمبريقية ومعالجتها وتأويلها في ضوء هذا التشابك المفاهيمى ؟

بالنظر إلى المفاهيم السابقة التي يضمها مفهوم سلوك المعاضدة الاجتماعية ، يمكن تحديد ثلاثة جوانب رئيسية تبدو منفصلة – على الأقل من الناحية النظرية – وهى :

١- الموقف المثير ٢- العمليات الداخلية ٣- الاستجابة النزوعية .

وفيما يلي توضيح لهذه الجوانب الثلاثة :

١- الموقف المثير : لا تصدر استجابة المعاضدة الاجتماعية إلا عن موقف يستثيرها ، وحتى المواقف غير الطارئة تكون فيها دلائل ***wes*** على وجود حاجة إلى المساعدة . والاستثناء الوحيد قد يكون العمل التطوعي ، الذي يبدو أنه ناتج من غير استثارة, ولكن المدقق يكتشف أن المتطوع لابد أن يكون قد أدرك مدى الحاجة لجهوده التطوعية لخدمة أفراد ومؤسسات في حاجة إلى المساعدة.

هذا ، وينقسم الموقف المثير إلى نوعين : الموقف الطارئ ، وتكون فيه الحاجة إلى المساعدة واضحة وملحة في نفس الوقت – سواء جاء ذلك عن طلب بالمساعدة أو لم يأت – مثل شخص ينزف ملقى على الرصيف والموقف غير الطارئ حيث لا تكون الحاجة إلى المساعدة ملحة وعاجلة ، ولا يتسبب عن عدم

وجودها ضرر مباشر مثل التبرع لبناء مدرسة أو مستشفى أو مساعدة شخص يستجدي فى الطريق, ومثل النوع قد يأتى الطلب بالمساعدة فى الموقف غير الطارئ أو لا يأتى.

٢-العمليات الداخلية : يستتبع تعرض الشخص لموقف أو شخص يتطلب المساعدة عمليات داخلية أو وجدانية ومعرفية) استجابة للموقف المثير. وتمثل هذه العمليات الداخلية المتغير (أو المتغيرات) الوسيط ، الذي يتوسط بين المثير وقيام الشخص بالاستجابة.
وهناك أشكال متعددة للعمليات الداخلية هذه : فقد يشعر الفرد بدرجة ما بنفس شعور الواقع فى محنة وهو ما يسمى بالتقمص ***empathy*** ، أو قد يتعاطف معه فيشعر بالتأسف أو الانشغال نحو الشخص الآخر ، أو قد يشعر بالضيق الشخصي ويريد أن يتخلص من الموقف المثير له. وكل هذه الأشكال من الاستجابة الوجدانية يسميها المتخصصون فى المجال بالاستجابة الانفعالية البديلة ***vicarious emotional response*** ولكن هناك شكل آخر مغاير يأتى استجابة للموقف المثير يطلق عليه اتخاذ المنظور ***perspective-taken*** ، ويعنى أن الشخص يفهم أفكار ودوافع ومشاعر الشخص المكروب ، وإن لم يستجب له انفعاليا.

٣ـ الاستجابة النزعوية : إذا مر الشخص بشكل أو بآخر من هذه الخبرات الداخلية (التقمص ، التعاطف ، الضيق ، اتخاذ المنظور) فقد يبادر بمد يد المساعدة لذي الحاجة. وتتخذ المساعدة هذه أشكالا متعددة منها الإيثار كأن يعطى الطفل طعامه وهو جائع إلى طفل آخر أدرك أنه جائع ، أو المشاركة فى عمل يعجز الشخص ذو الحاجة عن القيام به بمفرده كدفع سيارة معطلة من قارعة الطريق أو الإراحة كإزالة ألم أو ضرر لحق بالشخص أو أشكال أخرى تتسم بمساعدة الشخص ذى الحاجة.

<u>ملاحظات على ما سبق:</u>
بعد التعريفات المبدئية والمخطط التنظيمي الذي تم اقتراحه لسلوك المعاضدة الاجتماعية ، يمكن استنتاج ما يلى :
١ـ تتفق التعريفات السالف ذكرها على أن سلوك المعاضدة الاجتماعية هو سلوك إيجابي.
٢ـ كذلك تتفق كل التعريفات على أن سلوك المعاضدة الاجتماعية هو السلوك الذي يقصد منه (أو على الأقل ينتج عنه) صالح فرد آخر (أو أفراد آخرين).
٣- يفرق بعض العلماء بين سلوك المعاضدة الاجتماعية والإيثار ، فالإيثار لا يقصد منه سوى إفادة شخص آخر (أو مجموعة أشخاص) مع انتفاء المنفعة المادية للشخص الذي يقوم بهذا الفعل ، أما سلوك المعاضدة الاجتماعية فلا يشترط هذا.
٤- يستخدم أغلب الباحثين مصطلح المساعدة ***helping*** كمرادف لمصطلح سلوك المعاضدة الاجتماعية (على سبيل المثال : (***Samuel,*** ١٩٨١; ***Phares, 1991, 1988; Midlarsky, 1991; Dorley, 1991 :***)

٥- هناك خلط فى التراث البحثي بين سلوك المعاضدة الاجتماعية من ناحية ، وسوابق ***antecedents*** هذا السلوك (أي العمليات الداخلية التي تسبق حدوث المعاضدة الاجتماعية ، والتي يعتبرها بعض الباحثين مثل باتسون ١٩٩١ مسئولة عن حدوث سلوك المعاضدة الاجتماعية) من ناحية أخرى, ولعل المخطط التنظيمي السابق يوضح ذلك.
وقبل محاولة استخلاص تعريف لسلوك المعاضدة الاجتماعية ، سنحاول إلقاء مزيد من الضوء على هذه الملاحظات.

١- هل المعاضدة الاجتماعية سلوك إيجابي ؟

وبالرغم من اتفاق الغالبية العظمى والباحثين على إيجابية سلوك المعاضدة الاجتماعية كما سبق وأوضحنا ، إلا أن بعضهم يشكك فى هذه الإيجابية . فإذا كان الإيثار – كأحد أنماط أفعال المساعدة (أو المعاضدة الاجتماعية) – كما يعرفه بارتال ورافيف - ***Bartal & Rhaviv*** ، بأنه عند أعلى مستوى من الجودة ، فإن هناك من يدعون بأن الإيثار هو أمر سئ ، فهو في نظر هؤلاء يميل إلى تطوير شخصية اعتمادية ، تفتقر إلى حب المغامرة والعمل مستسلمة للعواطف ***Encyclopedia American, 1990)*** (

وأكثر من هذا ، يتساءل المنتقدون : إذا لم يلزم المرء نفسه أخلاقيا بجلب السعادة ، فلماذا ينبغى على شخص آخر أن يلزم بجلب السعادة له ؟

(١٩٩١ ***New Encyclopedia Britannica,***)

على أن جمهرة يعتبرون وجهات النظر المنتقدة هذه ماهي إلا مجرد أفكار فلسفية تجاوزها علم النفس الحديث ، ويؤكدون على إيجابية سلوك المعاضدة فى كل من العلاقات الاجتماعية والبناء الاجتماعي.

٢- هل القصد ضروري فى تمييز سلوك المعاضدة الاجتماعية ؟

يصر أغلب الباحثين على إدراج "القصد" كأمر جوهري فى تعريف سلوك المعاضدة الاجتماعية. وكما يذكر صمويل ، فالقصد أمر مهم وأساس. افترض مثلا أن صبيا سقط من يده بعض الطعام فى حديقة المنزل حيث يكون بمقدور كلب الأسرة العثور عليه. هل نعتبر ذلك معاضدة اجتماعية من جانب الصبى لصالح الكلب ؟ إن الأمر يتوقف على نية أو قصد الصبى؛فإذا سقط الطعام منه عفويا دون أن يدرى ، فإن ذلك لا يعتبر سلوك معاضدة اجتماعية حتى ولو استفاد منه الكلب, أما إذا تعمد الصبى أن يلقى بالطعام للكلب ، فإن ذلك يعتبر اجتماعيا حتى لو لم يعثر الكلب عليه.

إلا أن الصعوبة الحقيقة تكمن في استخدام كلمة "مقصد" في تعريف سلوك المعاضدة الاجتماعية . فعندما يحاول المرء تطبيقه على مواقف الحياة الواقعية ، لا يستطيع ذلك إلا بقدر مقدرتنا على ملاحظة المعايير المستدخلة. ولكننا نستطيع الاستدلال على النوايا من السلوك الملاحظ ؛ فبإمكان الناس التطوع ، وبإمكاننا نحن ملاحظة سلوكهم هذا. كذلك نستدل على سلوك المساعدة من تكراره. ففي المثال السابق ، إذا كان مقصد الصبى مساعدة الكلب ، فإنه سيكرر الفعل " إسقاط الطعام " ، أو يجد طريقة لجذب انتباه الكلب الطعام.(***Samuel, W., 1981***)

ومن جهة أخرى ، يرى فريق من الباحثين أن القصد ليس شرطا ضروريا فى تعريف سلوك المعاضدة الاجتماعية . وكما يذكر فيرز ، قد ينتج عن سلوك المعاضدة الاجتماعية إفادة للشخص الآخر دون أن يوجد أي مقصد حقيقي للمساعدة ، أو قد توجد حتى بعض المكاسب المادية يتوقعها القائم بالسلوك. فالشخص الذي يخصص مبلغا كبيرا من المال لمؤسسة خيرية لأنه يعرف حق المعرفة أن ذلك يعفيه من الضرائب ، فهذا يطلق عليه سلوك المعاضدة الاجتماعية ، ولكنه ليس إيثارا (***Phares, 1988***) لأن الإيثار لابد أن يتضمن القصد والإرادة. وعموما فمسألة "القصد" فى تعريف سلوك المعاضدة الاجتماعية لم ينته الجدل والخلاف حولها.

٣- تصنيف فئات سلوك المعاضدة الاجتماعية :

كما لاحظنا منذ قليل ، أن الفرق بين الإيثار وسلوك المعاضدة الاجتماعية هو فى "القصد" ، فإذا كان القصد من المساعدة حاضرا كان السلوك إيثارا ، وإذا لم يكن الشخص يقصد المساعدة كان السلوك معاصرة اجتماعية.

وبالإضافة إلى عنصر القصد ، يجب على القائم بالإيثار ألا يتوقع أي منفعة شخصية بأي شكل من الأشكال فعلى حد زعم بوك وجينسبورج ***Ginsbug & Buck*** يعرف الإيثار بأنه نزعة الكائن الحي إلى التصرف على نحو يزيد من رفاهية ***welfare*** كائن حي آخر ، بدون فائدة ظاهرة ، بل وغالبا بتكلفة يتحملها القائم بالتصرف.

ويضرب لنا فيرز ***Phares*** (١٩٨٨) مثلا على السلوك الإيثاري بذلك الشخص الذي يغوص فى نهر ثلجي لإنقاذ كلب جانح فى النهر الثلجي ، فأي مكسب هذا الذي يجنيه من عمل كهذا ، اللهم إلا تعريض حياته للهلاك !

وتضيف دائرة المعارف البريطانية بعدا آخر للإيثار هو الجانب الأخلاقي. فإذا أخذ المصطلح على أنه جلب اللذة وانتقاء الألم ، فإن الإيثاريين يتفقون على أن العامل الأخلاقي له قوة إلزام بالقيام بجلب اللذة وتخفيف الألم عن الآخرين.

(New Encyclopedia Britannica,91)

علاوة على ما سبق ، يضيف فيلدمان ***Feldman*** (١٩٧٨) عنصر التضحية الذاتية. فالإيثار فى نظره المساعدة التي يستفيد منها الآخرين ، ويتطلب تضحية ذاتية واضحة.

وهناك فريق آخر لا يحبذ التمييز بين الإيثار والمعاضدة الاجتماعية. فمثلا يقول جيلفاند وهارتمان ***Hartman & Gilfand*** – من المنظور السلوكي – ما نصه : "يحدونا توجه نظريتنا في التعلم الاجتماعي إلى الشك في جدوى تعريفات الإيثار التي تستبعد احتمالية التدعيم الخارجي . ويوحى بدل ذلك بأن هذه التعريفات يجب أن تتجرد من خصائصها غير القابلة للملاحظة ". (***In : Eisenberg , 1982, P.4***)

ما قيمة التصنيفات ؟ يجيب دارلى ***Darly*** (١٩٩١) بأنها تركتنا من القيام بالتنبؤات المختلفة التي ينظمها – بصورة دقيقة – نظام تصنيفي نوعى. علاوة على ذلك كما تذكر أيزنبرج ***Eisenberg*** (١٩٨٢) ، فإن سبب وجود فروق هامة بين مختلف أشكال الاستجابة بمعاضدة اجتماعية ، مثل : المشاركة ، المساعدة ، .... الخ ، تؤدى إلى الحصول على بيانات خاصة بمجموعة متنوعة من سلوكيات المعاضدة الاجتماعية إذا رغب المرء في إجراء تعميمات واسعة عن سلوك المعاضدة الاجتماعية وتطوره.

ومن هذا المنطلق ، أجريت محاولات لتصنيف فئات المعاضدة الاجتماعية ، لعل أبرزها تصنيف أينوتى ***Iannotti*** (١٩٨٥) وفيه أربع فئات هي :

- المشاركة ***sharing*** : وتشمل عند الأطفال بصورة خاصة إعطاء أو تقديم لفظي لشئ كان في حوزة الشخص .

- التعاون ***Cooperation*** : ويختلف عن فئات المعاضدة الاجتماعية الأخرى في أن كلا الطرفين يستفيد من انشغالهما معا ، بينما لا يستفيد سوى طرف واحد وهو المتلقي في الفئات الأخرى كالمساعدة أو الإراحة. وبالنسبة للتعاون ، يشترط وجود شخصين على الأقل منخرطين – بصورة متبادلة – في مهمة أو نشاط.

- المساعدة ***helping*** : تحدث عندما يقوم شخص آخر كتزويده بالمعلومات ، أو القيام بعمل من شأنه تسهيل استمرارية نشاط الشخص الآخر.
- الإراحة ***Comforting*** : عندما يبدى المتلقي (أو الضحية) ضيقا أو ألما ، يقوم الشخص بإراحته من خلال المواساة اللفظية أو الجسمية أو التعاطف أو إظهار المودة أو إعطاء شئ للشخص المكروب أو استدعاء آخرين يمكنهم المساعدة.

ومقابل هذه الفئات الأربع ، تأتى الاستجابة النقيضة وهى الرفض . ويحدد الرفض بأنه الامتناع عن التصرف بصورة اجتماعية عندما يتطلب الأمر ذلك بصورة صريحة.
على أننا لا نحبذ تفتيت سلوك المعاضدة الاجتماعية إلى فئات كثيرة لسببين : أن تأصيل المفهوم وتحديد معالمه وارتباطاته النظرية والإمبريقية ما يزال فى بداياته. ويرتبط السبب الثاني بواقعنا في مصر. فهذا المجال البحثي ما يزال يكتنفه الجهل ، علاوة على نقص البيانات الإمبريقية النابعة من البيئة المصرية. ولذلك ، فأي محاولة لتفتيت المفهوم فى الثقافة المصرية دون بصيرة قائمة على البيانات الإمبريقية والتأصيل النظري قد تضر أكثر مما تفيد من خلال تشويه البيانات والتحليلات . وعلى ذلك يمكن تصنيف سلوك المعاضدة الاجتماعية ثنائيا : السلوك الإيثارى من ناحية وسلوك المساعدة التي تضم أشكالا مثل : الإراحة ، التعاون ، المشاركة ، الكرم ، ... الخ .(أحمد الشافعي ، ١٩٩٦) .

- ٤ - تعريف سلوك المعاضدة الاجتماعية

بناء على المناقشات السابقة ، يمكن استخلاص التعريف التالي (نقلا عن أحمد الشافعي) :
(سلوك المعاضدة الاجتماعية هو ذلك السلوك الإيجابي اجتماعيا ، حيث أن فردا (أو مجموعة أفراد) يستفيد منه سواء ماديا أو معنويا – ويكون عادة في محنة ***distress*** أو في حاجة إلى المساعدة. ويتخذ هذا السلوك أشكالا متعددة ، فإذا تضمن قصد وإرادة المساعدة ، وكان عنصر التضحية الذاتية فيه واضحا ، مع عدم وجود (أو مجرد توقع) منفعة أو مكاسب شخصية ، عد هذا الشكل إيثارا. أما إذا لم يضم كل هذه العناصر (مع أنه قد يضم بعضها) عد سلوك مساعدة. وقد يتخذ سلوك المساعدة أشكالا متعددة حسب ما يقتضيه الموقف وحالة ذي الحاجة للمساعدة ، مثل : المشاركة ، التعاون ، الإراحة ، إظهار الود أو المساندة الوجدانية ، الكرم ، ... الخ ". (المرجع السابق : ٣٩).

٥- هل هناك فرق بين الإيثار وسلوك المعاضدة الاجتماعية ؟

(ب) مفهوم الإيثار :-
لعل التشابك المفاهيمى في مجال سلوك المعاضدة الاجتماعية أسهم بدور فعال في الخلط التنظيرى والامبريقى لكثير من القضايا المتعلقة بهذا المجال البحثي ويكفى لتوضيح هذا التشابك المفاهيمى أن نذكر المصطلحات والمتغيرات التي يضمها مفهوم سلوك المعاضدة الاجتماعية فهو يشمل ما يسمى بـ : الاستجابة الانفعالية البديلة ***vicarious emotional response*** ،اتخاذ المنظور ***Taken perception*** الإمباثية ***empathy*** ،التعاطف ***sympathy*** ،الضيق الشخصي ***personal distress*** ، الإيثار ***altruism*** المساعدة ***helping***، المشاركة ***sharing***، الإراحة ***comforting***، التعاون ***Cooperation***.... الخ . فإذا كان مفهوم واحد يضم كل هذه المصطلحات فكيف يعالجه الباحثون على المستويين التنظيرى والمنهجي ؟ وكيف يتم استخراج البيانات الامبريقية ومعالجتها وتأويلها في ضوء هذا التشابك المفاهيمى ؟

يرى اندروود مور (***Underwwod & moore,1982***) أن سلوكيات المعاضدة الاجتماعية هى تلك السلوكيات التي تُنَفَّذ بقصد واضح هو إفادة الآخر أكثر من إفادة الذات (***In : Eisenbrg . 1982 : 5***) وطبقاً لفيرز (١٩٨٨) : يطلق على سلوك المعاضدة الاجتماعية مسميات أخرى مثل : سلوك المساعدة و الإيثار, ويطبقونها على آلاف السلوكيات التي تتراوح بين المساهمة بالمال كنوع من الإحسان إلى التضحية بالوقت لخدمة دور المسنين ومن إبطال مفعول قنبلة في حي سكنى إلى مساعدة صديق في دراسته ومن الاستجابة لطلب شخص لإرشاده إلى الطريق الصحيح إلى إعادة بطاقة تأمين فقدها صاحبها ***(phares, E., 1988 ,524 – 525)*** .

وترى "ميدلارسكى ": أن سلوك المعاضدة الاجتماعية أو المساعدة يطلق على الأفعال التي يتم التعهد بها لمصلحة الآخرين (***Midlarsky. 1991 : 238***) وترى كليرى أن سلوك المعاضدة الاجتماعية هو أحد الأشكال الإيجابية من السلوك التي تتضمن إفادة الآخرين وهو مفهوم يقابل السلوك المضاد للمجتمع(***Clary, 1994 : 93***) .

ومن ثم يتضح من هذه العينة من التعريفات أن سلوك المعاضدة الاجتماعية يضم أغلب السلوكيات الإيجابية التي تتراوح من المساعدة والكرم والإيثار .. إلى مجرد التعاطف أو الاستدلال الأخلاقي . وقد أنتج هذا التوسع الفضفاض للمفهوم فوضى مفاهيمَّية (إن جاز هذا التعبير) .

وتؤيد رادك – يارو وزملاؤها (١٩٧٦) هذا الاستنتاج فيذكرون أن هذا المصطلح الغريب تستظل به مجموعة متنوعة من سلوكيات المعاضدة الاجتماعية والإيثار : قد يكون من المفيد تلمس التعريفات التي قدمت لسلوك المعاضدة الاجتماعية بصفة عامة بوصفه سلوكاً إيجابياً والإيثار خاصة وكذلك تتفق كل التعريفات على أن سلوك المعاضدة الاجتماعية هو السلوك الذي يقصد منه (أو على الأقل ينتج عنه) صالح فرد آخر (أو أفراد آخرين) .

ويفرق بعض العلماء بين سلوك المعاضدة الاجتماعية والإيثار ، فالإيثار لا يقصد منه سوى إفادة شخص آخر (أو مجموعة أشخاص)مع انتفاء المنفعة المادية للشخص الذي يقوم بهذا الفعل ، أما سلوك المعاضدة الاجتماعية فلا يشترط هذا.

ويستخدم أغلب الباحثين مصطلح المساعدة ***helping*** بوصفه مرادفاً لمصطلح سلوك المعاضدة الاجتماعية (على سبيل المثال ***(Samuel, 1981 : phares, 1991, 1988, Midlarsky)***

هناك إذن خلط فى التراكمات البحثية بين سلوك المعاضدة الاجتماعية من ناحية ،وسوابق ***antecedents*** هذا السلوك(اى العمليات الداخلية التي تسبق حدوث المعاضدة الاجتماعية والتي يعتبرها بعض الباحثين مثل باتسون ١٩١٩مسئولة عن حدوث سلوك المعاضدة الاجتماعية) من ناحية أخرى.
إن الفرق بين الإيثار وسلوك المعاضدة الاجتماعية هو في " القصد " فإذا كان القصد من المساعدة حاضراً كان السلوك إيثاراً ، وإذا لم يكن الشخص يقصد المساعدة كان السلوك معاضدة اجتماعية ، وبالإضافة إلى عنصر القصد يجب على القائم بالإيثار ألا يتوقع أى منفعة شخصية بأي شكل من الإشكال. فعلى حد زعم بوك وجينسبورج ***Buck & Ginsbug*** يعرف الإيثار بأنه نزعة الكائن الحي إلى التصرف على نحو يزيد من رفاهية ***Welfare*** كائن حي آخر بدون فائدة ظاهرة بل وغالباً بتكلفة يتحملها القائم بالتصرف .

ويضرب لنا فيرز ***(Phares,1988)*** مثلاً على السلوك الإيثاري بذلك الشخص الذي يغوص في نهر ثلجي لإنقاذ كلب جانح في النهر الثلجي ، فأي مكسب هذا الذي يجنيه من عمل كهذا اللهم إلا تَعَرُّض حياته للهلاك !
وتضيف دائرة المعارف البريطانية بعدا آخر للإيثار هو الجانب الأخلاقي . فإذا أُخِذَ المصطلح على أنه جلب اللذة وانتفاء الألم ، فإن الإيثاريين يتفقون على أن العامل الأخلاقي له قوة إلزام بالقيام بجلب اللذة وتخفيف الألم عن الآخرين ***(New Encyclopedia Britannica, 1991)*** علاوة على مما سبق يضيف فيلدمان ***(Feldman,1978)*** عنصر التضحية الذاتية ، فالإيثار في نظره هو المساعدة التي يستفيد منها الآخرون ويتطلب تضحية ذاتية واضحة وأخيراً
يضيف بارتال ورافيف عنصر الإرادة فيعرفان الإيثار على أنه نمط من أنماط أفعال المساعدة الذي هو عند أعلى مستوى من الجودة يتحدد كسلوك إرادي مقصود يتم تنفيذه بهدف إفادة شخص ما كنتيجة للقناعة الأخلاقية بالعدالة وبدون توقع مكاسب خارجية***(In, Eisenberg)***.
ويمكن تلخيص العناصر التي يشترطها الباحثون في الإيثار في القصد أو النية وعدم توقع منفعة شخصية وأن الذي يوجه السلوك هو محدد أخلاقي كما يستلزم أيضا عنصر التضحية الذاتية وأن يتم الفعل بكامل إرادة المرء دون إكراه . ومن وجهة النظر هذه لابد من توافر هذه العناصر في السلوك حتى يمكن وصفه بالإيثارية بينما لا يشترط توافر هذه العناصر في سلوك المعاضدة الاجتماعية .
وتؤكد اينوتى ***innotti*** على أن هناك شواهد جوهرية على أن الاستجابة لانفعالات الآخر يرتبط بسلوك المعاضدة الاجتماعية , كما توجد أدلة على أن الأطفال حساسون لحاجات الآخر ، والاستجابة لحاجة الآخر دون طلب صريح لذلك, كما أن الأطفال يفهمون مشاعر ودوافع الآخرين أو ما يسمى باتخاذ المنظور ويتصرفون من هذا الوعي***(innotti, 1985 :53)***.

وباستخدام تحليل الانحدار ارتبط سلوك المساعدة بصورة دالة بالنزعة الإمباثية ، وتجدر الإشارة إلى أن المكون الانفعالي الأوليَّ للنزعة الإمباثية إنما هو محدد رئيسى من محددات الشخصية لسلوك المساعدة ***(Mehrabion & Epsein , 1976 : 542-541)*** .

ويمكن تعريف الإمباثية ***empathy*** بأنها استجابة انفعالية لمحنة الآخر وفهمها . ورغم الجدل المستمر ، فهناك اتفاق عام على أن الإمباثية تضم مكونين ؛ أحدهما معرفي والآخر انفعالي ، ويتمثل الجانب المعرفي في اتخاذ المنظور أي القدرة علي اتخاذ وجهة نظر الأخر أما الجانب الانفعالي فهو لا يصل إلى حد التعاطف المستمر .

ما علاقة الإمباثية بسلوك الإيثار ؟ يجادل باتسون بما يسمي بفرضية الإمباثية – الإيثار . فالشعور بالإمباثية يثير الدافعية التي تقف وراء هدف محدد هو إفادة الشخص الذي تم الشعور نحوه بالإمباثية . وإذا كان هذا صحيحا ، فإنه يتعارض مع الافتراض الشائع في علم النفس بأن الدوافع كلها موجهة بصورة جوهرية نحو هدف أناني هو زيادة الرفاهية الذاتية , بل إنه يناقض الافتراض الضمني بأن الطبيعة البشرية مجبولة علي خدمة الذات أساسا . وتوحي هذه الفرضية

بأننا نتفاعل مع الآخرين ، ليس لأنهم مصادر المكافأة والمعاقبة ، أو لأنهم مصادر للتسهيل والمنع في كل مسعى يستهدف صالحا ، بل أننا قادرون بالفعل حسب الفرضية هذه – علي السهر علي رفاهية الآخرين لذاتها وليس من أجل ذواتنا***(Batson& Oleson,1991)***.

ولكن كيف تساعد الإمباثية علي نمو السلوك الايثاري ؟ يجيب فيرز ***(Phares,1988)*** بأن للإمباثية دورا مهما في الحفز علي الإيثار ، فالشخص المتعاطف يكون مدفوعا بمساعدة ذي الحاجة ,فإذا مَرَرتُ بخبرةٍ محزنةٍ ، فأنا بالتأكيد مدفوع إلي تقبلها وإذا كان لديَّ تعاطف نحو شخص آخر يمر بخبرة محزنة ، فسيكون لدي الرغبة في تخفيفها حيث أنني أمر بهذه الخبرة بدرجة ما. وعندما تطلب المنظمات الخيرية المساعدة ، فإنها تؤثر بشدة علي مشاعرنا؛ إنها لاتفعل ذلك لمجرد تذكيرنا بوجود أطفال جوعي ، إنها تعرض علينا صورا لأولئك الجوعي ، وتحاول استثارة الاستجابة الإمباثية التي ترفع من الدافع للقيام بإسهام ما.

من العرض السابق يمكننا استخلاص بعض المكونات الرئيسية للإيثار والتي تتمثل في الجانب المعرفي والوجداني ثم الجانب الأدائي لهذا السلوك . وقد يكون من المفيد تناول كلٍّ منها من منظور ارتقائي.

<u>أولا: ارتقاء الجانب المعرفي للإيثار:</u>

أجري الباحثون في هذا الجانب ، سلسلة من الدراسات ، عنيت برصد التغيرات الارتقائية التي تطرأ مع زيادة العمر من الطفولة إلي المراهقة ، وقد انتهت هذه الدراسات في معظمها الي ما يؤكد حدوث زيادة في المظاهر الدالة علي التعاطف والإمباثية ، بتقدم العمر.

وقد ، أوضحت نتائج الدراسات التي أجراها بنجتسون جونسون (***Bengtsson& Johnson,1987***).علي ٤٨ طفلا سويديا ، تراوحت أعمارهم بين ٦و ١١ سنة ، أن الأطفال في المجموعة الأكبر سنا أظهروا تعاطفا مع أقرانهم الذين يحبونهم مقارنة بالذين لا يحبونهم ،

في حين لم يظهر ذلك الفرق لدي الأطفال في المجموعة الأصغر سنا . و تبدو مظاهر هذا الارتقاء في بزوغ القدرة علي تبني منظور الآخر لدي الأطفال في سن الحادية عشرة ، بينما لم تظهر هذه القدرة لدي الأطفال في سن السادسة.

وفي الدراسة الطولية – التتبعية – التي أجراها ديفز وفرنزو ***(Davis& Franzoi,1991)*** ، علي ٢٠٥ تلميذا بالصفوف من التاسع وحتى الثاني عشر ، وذلك بهدف الكشف عن مظاهر الاستقرار والتغير في الوعي بالذات والإمباثية خلال مرحلة المراهقة ؛ كشفت النتائج عن درجة كبيرة من الاستقرار تلحق بكلتا السمتين مع التقدم في العمر . ورغم عدم وجود فروق بين مجموعات المراهقين في درجات الوعي بالذات , فان النتائج أظهرت زيادة واضحة في بعض مكونات الإمباثية شملت : القدرة علي تبني منظور الآخر، والتعاطف.

وقام ريكارد وكيليسي (***Ricard& Killicci,1995***) بإجراء دراسة علي ٤٨ طفلا ، استهدفت الكشف عن مظاهر ارتقاء التعاطف عند الأطفال . وقد توزعت عينة الدراسة علي مجموعتين عمريتين ، حيث بلغ متوسط العمر في المجموعة الأولي ٥,٨ سنة ، في حين كان في الثانية ٧,٨ سنة . وأوضحت النتائج إن الأطفال في المجموعة الأكبر سنا، كانوا أكثر قدرة علي طرح هاديات شخصية ، ومبررات نفسية لتفسير انفعالات الآخرين ، في حين أظهر الأطفال في المجموعة الأصغر تعاطفا متزايدا مع عواطف وانفعالات الآخرين.

كما أجرت ستراير(***Strayer,1997***) دراسة علي ٧٣ طفلا ، وذلك بهدف رصد الفروق بين ثلاث مجموعات عمرية (٥.٩.١٩ سنة علي التوالي). في التعاطف . وقد أشارت النتائج إلي وجود فروق في التعاطف بين المجموعات الثلاث ، حيث كانت المجموعة الأكبر سنا أعلي في التعاطف من المجموعتين

الأخريين؛ كذلك بينت النتائج أن الإناث أعلي في التعاطف من الذكور، سواء فيما يتعلق بالاستجابات اللفظية أو الاستجابات التعبيرية علي حد سواء.
وتشير نتائج الدراسات التي أجرتها ستراير وروبرتس ***(Strayer& Roberts,1997)*** ، علي عينات من الأطفال والمراهقين إلي أن العلاقة بين التعاطف والعمر تزيد قوة في ظل وجود علاقات صداقة مع الآخرين.
كذلك تؤكد دراسة جورثري وزملائها(***Gurthrie et al.,1997***)أهمية أن تكون لدى الأطفال درجة عالية من التنظيم والمرونة لحدوث التعاطف مع الآخرين.

وأظهرت نتائج الدراسات التي أجراها فاندربولت وتيليجن ***(VanderBolt &Tellegen,1997)*** ، علي ١٩٨ طفلا ومراهقا وجود علاقة بين قراءة الكتب الأدبية وارتقاء كل من : التعاطف والإمباثية ، حيث تبين إن المراهقين الذين يقرؤن هذه النوعية من الكتب ، كانوا أعلي في الإمباثية والتعاطف ، وذلك عند مقارنتهم بأقرانهم الذين يقرؤن هذه الكتب بقدر أقل أو الذين لا يقرؤنها,من ناحية أخري وفي إشارة لتأكيد الدور المهم لعمليات التنشئة الاجتماعية في ارتقاء الإمباثية والتعاطف عند الأطفال والمراهقين ، أجرت أيزنبرج وزملاؤها(***Eisenberg.etal.,1992***) دراسة علي ٧١ طفلا ومراهقا من الجنسين ، بالإضافة إلي والديهم ، بهدف فحص العلاقة بين التعاطف عند الوالدين واستجابات التعاطف لدى أبنائها . وقد أوضحت النتائج إن تعاطف الوالدين ، ارتبط إيجابيا بالمستوي المنخفض من الشعور بالمحنة الشخصية لدى أبنائهم ولديهم هم شخصيا ؛ في حين ارتبط ظهور التعاطف لدي الأبناء بتأكيد الآباء استراتيجيات مواجهة المشكلات عندما يتعرض أبنائهم لمشكلات؛ كذلك ارتبطت القيود التي تضعها الأمهات علي أبنائهن فيما يتعلق بالإيذاء الانفعالي للآخرين ، بظهور مؤشرات غير لفظية للتعبير عن المحنة الشخصية وأخيرا ,إيجابي بنمو مراقبة الذات عند الأطفال.

وفي دراسة تالية أجراها كلٌ من كريفانز وجبس(***Krevans& Gibbs,1996***) علي ٧٨ طفلا ومراهقا تراوحت أعمارهم بين ١١, ٥ و ١٤,٣ سنة ، واستهدفت الكشف عن العلاقة بين القواعد التي يقرها الوالدان ، وبين استجابات التعاطف ، والسلوكيات الاجتماعية الإيجابية عند الأطفال ؛ انتهت النتائج إلى أن استخدام الآباء لمبادئ التفكير الاستقرائي إبَّان عمليات التنشئة ارتبط بظهور التعاطف والسلوك الاجتماعي الإيجابي عند الأبناء ؛ كما تبين أن التعاطف توسط العلاقة بين القواعد الو الدية والسلوك الاجتماعي الإيجابي ؛ وفي الوقت نفسه كشفت النتائج عن وجود ارتباط منخفض بين الشعور بالذنب وظهور سلوك اجتماعي إيجابي.

كذلك كشفت الدراسة الطولية التي أجرتها ايزنبرج وزملاؤها (***Eisenberg et.al.,1995)*** ، علي ٣٢ مراهقا، عن وجود علاقة إيجابية بين ارتقاء الاستدلال الأخلاقي، وظهور السلوكيات الاجتماعية الإيجابية لدي هؤلاء المراهقين.

وأجري كل من جانسنز وديكوفيتش (***Janssens&Dekovic,1997***) دراسة علي ١٢٥ طفلا ، تراوحت أعمارهم بين ٦ و ١١ سنة ، وذلك بهدف الوقوف علي العلاقة بين ارتقاء الاستدلال الأخلاقي المرتبط بقضايا اجتماعية إيجابية ، وبين ظهور السلوك الاجتماعي الإيجابي لديهم ، وقد أشارت النتائج إلي وجود علاقة إيجابية بين الاستدلال الأخلاقي والسلوك الاجتماعي الإيجابي لدي الأطفال الأصغر سنا ، في حين لم تتأكد هذه العلاقة لدي الأطفال الكبار . كذلك أوضحت نتائج الملاحظات السلوكية لأساليب التنشئة الأسرية إن التنشئة التي تتسم بالدعم الاجتماعي والتسامح تيسر للأطفال تفكيرا يتسم بالأخلاقية ،

ومزيدا من السلوكيات الاجتماعية الإيجابية فيما يتعرضون له من مواقف ومشكلات.
ومن الأهمية أن نذكر أنه من خلال استعراض دراسات ارتقاء التمثل الوجداني والتعاطف هذه نجد أنها أجريت على عينات تنتمي إلى مراحل عمرية مختلفة ،بدءا من الطفولة المبكرة وانتهاء بالرشد ؛وقد استعانت هذه الدراسات بالمناهج التتبعية والمستعرضة – على حد سواء – وانتهت نتائجها إلى ما يؤ كد حدوث تغيرات ارتقائية تطرأ على التمثل الوجداني خلال الانتقال من الطفولة إلى المراهقة ،تتمثل في زيادة القدرة على تبنى منظور الآخر ، والتعاطف ، والقدرة على تفسير انفعالات ومشاعر الآخرين .
كذلك أوضحت النتائج أن التنشئة الأسرية تؤدى دورا فعالا في ارتقاء وعى الطفل بالآخرين وزيادة قدرتهم على رؤية منظور الآخر ،وتبنى وجهة نظره والتعاطف معه. من ناحية أخرى تباينت أساليب قياس وتقدير التمثل الوجداني والتعاطف ، فبينما استعانت بعض الدراسات بمقاييس التقدير الذاتي ، والتقدير اللفظي ، استخدمت دراسات أخرى أسلوب الملاحظة ، واعتمدت على تقارير الوالدين عن سلوك أبنائهم ، في حين استعانت دراسات ثالثة ببعض المؤشرات الفسيولوجية المصاحبة للتمثل الوجداني والتعاطف مثل : معدل ضربات القلب ، ونشاط الجلد ، وتعبيرات الوجه . وقد أعاق هذا التباين في أساليب القياس التوصل إلى نتائج متسقة ، كما صعَّبَ من إمكانية عقد مقارنات فيما بين نتائج هذه الدراسات وبعضها البعض .

ثانيا: ارتقاء الجانب الوجداني:

اتجهت مجموعة الدراسات في هذه الفئة إلى فحص العلاقة بين الفعل الأخلاقي ، وكل من: التمثل الوجداني والتعاطف ؛ وكشفت نتائجها عن صور من التعارض فيما بينها ؛ فعلي حين انتهت بعض الدراسات مثل دراسة ***(e.g.:Coke et al.,1978,Batson et al., 1981., Krebs, 1970., Hoffman, 1982., Eisenberg.et al.,1983.,Batson,1987)*** ،

إلي وجود علاقة ارتباطية إيجابية بين سلوك الإيثار , والإمباثية والتعاطف،أشارت دراسات أخرى ***(e.g.:Knudson& Kagan, 1982; Underwood &MOOR, 1982)*** إلي عكس ذلك وحيث لم تكشف نتائجها عن مثل هذه العلاقة بين المتغيرات.

وفيما يلي نعرض لبعض الدراسات الممثلة لهذه الفئة من الدراسات , ومنها الدراسة التي أجراها كل من نودسون وكاجان (***Knudson& Kagan,1982***) على ٨٨ طفلا من الجنسين موزعين على مجموعتين ؛ تراوحت أعمار الأطفال في المجموعة الأولي بين ٥,٦ و٧,٤ سنوات ، في حين تراوحت الأعمار في المجموعة الثانية بين ٧,٥ و٩ سنوات.وقد استهدفت الدراسة الكشف عن العلاقة بين الإمباثية والسلوك الاجتماعي الإيجابي ، وأشارت النتائج إلي حدوث ارتقاء في الإمباثية ، حيث كانت المجموعة العمرية الأكبر أعلى في الإمباثية من المجموعة العمرية الأصغر ، بينما لم تكشف النتائج عن وجود علاقة دالة بين التمثل الوجداني والسلوك الاجتماعي الايجابي .

وقام كل من ايزنبرج وميللر(***Eisenberg& Miller,1987***) بإعادة تحليل نتائج ١٣٠ دراسة تتصل بالعلاقة بين الإمباثية والسلوك الاجتماعي الإيجابي ، باستخدام أسلوب التحليل المركب (***meta - analysis***) وانتهت إلى أن العلاقة بين الإمباثية والسلوك الاجتماعي الإيجابي تراوحت بين العلاقة الإيجابية المنخفضة والمتوسطة الدرجة , كما أظهرت النتائج أن أسلوب قياس التمثل الوجداني له تأثير كبير في تشكيل صورة هذه العلاقة ؛ فقد أشارت نتائج الدراسات التي استعانت بأسلوب الصورة / القصة لقياس الإمباثية إلي عدم وجود ارتباط بين الإمباثية والسلوك الاجتماعي الإيجابي ، في حين

ظهرت علاقة إيجابية بين المتغيرين في حالة الدراسات التي استخدمت أساليب قياس أخري شملت : التقارير الذاتية ، والاستخبارات ،ورصد التغيرات الفسيولوجية ، وتعبيرات الوجه.

وفي الدراسة التي أجرتها ايزنبرج وزملاؤها (***Eisenberg et al., 1989***) علي ٧٩ مراهقا من الجنسين ، وقد هدفت إلي فحص العلاقة بين التعاطف وسلوك المساعدة ، تبين وجود ارتباط دال بين الدرجة علي مقياس التعاطف والقيام بسلوك المساعدة ، وتسهم الحالة المزاجية في سلوك المساعدة فمن خلال دراستها قدمت ميدلاريسكي***(Midlarsky,1991)*** نموذجا يربط بين تقديم المساعدة وتخفيف الضغوط عن الأشخاص الذين يقدمون المساعدة وشعورهم بأنهم أفضل حالا . وتذكر ميدلارسكي أن النمط الأكثر قوة للنتائج الامبريقية هو أن مساعدة الآخرين يؤدي إلي زيادة في الصحة ***Well-being*** بين الناس الواقعين تحت الضغوط أكبر منه بين الناس غير الواقعين تحتها.وبافتراض وجود تفاعل بين المزاج الطيب وسلوك المساعدة . فلا عجب أن يؤثر المزاج الطيب في سلوك المساعدة .فأولئك الذين يكونون في مزاج سئ منشغلون بصعوباتهم وصور قلقهم ، ومن ثم يكونون اقل انشغالا بمصاعب الآخرين ، وإذن يكونون أقل ميلا لتقديم المساعدة (***pennington etal., 1999)*** .

ثالثا : ارتقاء الجانب الادائى للإيثار :

ركزت بحوث هذه الفئة على ارتقاء السلوكيات الاجتماعية الإيجابية ، كما تتمثل فى صور سلوك المساعدة ، وتقديم العون (الإيثار ، المشاركة، التطوع٠٠٠الخ). ومن ثم ينصب اهتمامنا على استعراض مجموعة الدراسات التي عنيت بارتقاء هذا الجانب من السلوك عند الأطفال والمراهقين ، وتوضيح أهم المتغيرات التي ترتبط بارتقائه. ففي الدراسة التي أجراها كل من جرين وشنيدر ***(Green&Schneider,1974)*** على ١٠٠ طفل ومراهق تراوحت أعمارهم بين١٥:٥ سنة ، وذلك بهدف معرفة العلاقة بين العمر وبعض صور الإيثار . أشارت النتائج إلى أن سلوكيات المشاركة والمساعدة تزداد مع التقدم فى العمر من الطفولة إلى المراهقة ، في حين لم يكن العمر متغيرا دالا بالنسبة لسلوك التطوع . كما أجرى كل من روشتون ووينر (***Rushton&Wienner,1975***) دراسة على ٦٠طفلا موزعين على مجموعتين (تمثل الأولى أطفالا في سن السابعة ، في حين تضم الثانية أطفالا في سن الحادية عشرة) وذلك بهدف رصد الفروق بين المجموعتين في سلوك الإيثار وقد كشفت النتائج عن وجود فروق دالة بين مجموعتي الأطفال ؛حيث كانت المجموعة العمرية الأكبر أعلى إيثارا من مجموعة الأطفال الأصغر وذالك في جميع مظاهر سلوك الإيثار .

وانتهت دراسة كل من سكارين ومولى ***(Skarin&Moely,1976)*** إلى ما يدعم النتائج السابقة . فقد أجرى الباحثان دراستهما على ١٩٢ طفلا من الجنسيين بين ١٢:٥ عاما ، وذلك بهدف فحص علاقة كل من العمر والجنس بارتقاء سلوك الإيثار حيث كشفت النتائج أن الإيثار كان أعلى لدى المجموعات العمرية الأكبر ، كما تبين أن الإناث كن أكثر إيثارا من الذكور.

وفى الدراسة التي أجرتها يارو و زان واكسلر ***(Yarrow&Zahan-Waxler,1976)*** على ١٠٨ طفلا ، تراوحت أعمارهم بين ٣و٧,٦ سنة ، واستهدفت معرفة أكثر السلوكيات الاجتماعية الإيجابية شيوعا خلال هذه المرحلة العمرية ، أوضحت نتائج ملاحظة الأطفال –في عدد من المواقف التجريبية والطبيعية – إن سلوك المساعدة كان هو أكثر شيوعا وتكرارا بالمقارنة بسلوكيات المشاركة والعمل التطوعي ؛ كما لم تظهر علاقة واضحة بين كل من العمر والسلوك الاجتماعي الايجابي .

وأجرى ما و لونج ***(Ma&Leung,1991A)*** دراسة على ١٠٩٥ تلميذا بالصفوف من الثاني إلى السادس الابتدائي ، بهدف الوقوف على مظاهر ارتقاء سلوك الإيثار لدى هذه المجموعات العمرية ؛ وقد كشفت النتائج عن وجود علاقة سلبية بين العمر والإيثار , حيث كان الأطفال الأصغر سنا أعلي في توجهاتهم الايثارية من الأطفال في الأعمار الأكبر . كما أوضحت النتائج كذلك وجود ارتباط إيجابي بين التوجه الايثارى وكل من الذكاء وتقدير الذات.

وفي دراسة تالية أجراها كل من ما و لونج (***Ma& leung,1991B***) علي ١٤٤ تلميذا بالصفوف من الأول وحتى السادس الابتدائي ، بهدف فحص العلاقة بين العمر وسلوك الإيثار ، وذلك في ظل ثلاث سياقات من العلاقات الاجتماعية تضمنت التالي :

أ- شخص يفضله الطفل في مقابل شخص لا يفضله.

ب- شخص ينظر إليه الطفل علي أنه متفوق دراسيا في مقابل شخص آخر ضعيف دراسيا.

ج- شقيق الطفل في مقابل طفل آخر لا يعرفه.

وقد كشفت النتائج عن أن الأطفال يسلكون بشكل إيثاري مع أولئك الذين يفضلونهم بالمقارنة بالذين لا يفضلونهم ، ومع الأشخاص الذين يدركونهم بوصفهم متفوقين دراسيا ، عن الأشخاص الذين تم إدراكهم بوصفهم ضعفاء دراسيا ، ومع أخواتهم أكثر مما يسلكون مع الأشخاص الذين لا يعرفونهم . كما أوضحت النتائج وجود علاقة ايجابية بين العمر والإيثار ، حيث كان الأطفال الأكبر سنا أكثر ميلا للإيثار . وتطرح هذه النتائج وجود علاقة مركبة بين العمر والإيثار ، مؤداها أن هذه العلاقة تقوم في ظل وجود علاقات صداقة ، ووجود ترابط وجداني وقرابى بين المانح والمستفيد.

وتؤكد دراسة لو رينسو ***(Lourenso, 1993)*** العلاقة الإيجابية بين العمر والسلوك الاجتماعي الإيجابي . فقد أجرى الباحث دراسته على ٧٢ طفلاً يمثلون ثلاث مجموعات عمريه (٥,٧,١٠ سنوات) بهدف الوقوف على اتجاه وقوة العلاقة بين العمر والسلوك الاجتماعي الإيجابي . وقد كشفت نتائج الدارستين المستعرضة ، والطولية (التتبعية) لنفس العينة ، عن زيادة ظهور السلوكيات الاجتماعية الإيجابية مع التقدم في العمر .

من ناحية أخرى ، عنيت بعض الدراسات بالوقوف على الدور الذي تؤديه عمليات التنشئة الاجتماعية في ارتقاء السلوك الاجتماعي الإيجابي ؛ ومنها الدراسة التي أجراها هوفمان ***(Hoffman, 1975)*** على ٨٠ طفلاً من الجنسين بالإضافة إلى والديهم ؛ واستهدفت تحديد أثر العلاقة بين الطفل والوالدين في ارتقاء سلوك الإيثار. وقد كشفت النتائج عن وجود ارتباط إيجابي بين سلوك الطفل الايثارى ، والقيم الإيثارية للوالدين ؛ كما أظهرت النتائج أن الإيثار عند الأطفال الذكور قد ارتبط بمبدأ محاكاة إيثار الوالدين للآخرين . وتدعم هذه النتائج عموماً ما يسهم به الوالدان من قيم ومبادئ تساعد في ارتقاء الإيثار عند الأطفال .

كما أجرت أيزنبرج وزملاؤها (***Eisenberg et al., 1981***) دراسة على ٣٣ تلميذاً بهدف رصد أثر التنشئة الاجتماعية على السلوك الاجتماعي الإيجابي داخل الفصل الدراسي ذلك كما تبتدى في ردود أفعال المدرسين والأقران تجاه السلوك الايثارى الذي يقوم به المبحوث . وقد كشفت النتائج عن أن نمط الاستجابة التي استقبلها المبحوث كرد فعل لسلوكه الايثارى ، كان له تأثير في تكرار أداء السلوكيات الاجتماعية الإيجابية ؛ فكلما كان رد الفعل إيجابياً ومدعماً ساهم في زيادة سلوك الإيثار الصادر عن المبحوث .

وتدعم هذه النتائج في مجملها الدور الإيجابي لعملية التنشئة الاجتماعية بما تتضمنه من توفير نماذج قدوة ، وتدعيمات سلوكية في ارتقاء سلوكيات المساعدة والإيثار .

وفى دراسة أجريت على عينة من (٤١٢) مفردة تم توزيعهم وفقاً لمتغير السن إلى ثلاث مجموعات :-
مجموعة الطفولة المتأخرة (ن = ١٢٠) بمتوسط عمري قدره ١٠,٤ سنة ،
مجموعة المراهقة المبكرة (ن = ١٤٢) بمتوسط عمري قدره ١٣,٤ سنة ومجموعة المراهقة المتأخرة (ن = ١٥٠) بمتوسط قدره ١٦,٣ سنة ، قامت رجوات متولي (١٩٩٩) بدراسة لمعرفة ارتقاء الأبعاد الأساسية لسلوك تقديم المساعدة لدى الأبناء الذكور. وقد طُبِّقَ في هذه الدراسة مقياس سلوك تقديم المساعدة واستمارة بيانات ديموجرافية ، ولقد أشارت النتائج إلى وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين أفراد العينة (الطفولة المتأخرة والمراهقة المبكرة والمتأخرة) فى الدرجة الكلية لسلوك تقديم المساعدة والأبعاد الفرعية (المساعدة في مواقف الحياة اليومية ، مواقف الخطر ، التعاطف مع الآخرين ، استشعار مشاعر الآخرين) والفروق لصالح مجموعة مرحلة المراهقة المتأخرة . (رجوات متولى، ١٩٩٩). عموماً ، يبين لنا الفحص الدقيق لدراسات ارتقاء المساعدة والإيثار ، أن الباحثين استعانوا بأساليب قياسية متنوعة لرصد مظاهر هذه السلوكيات عند الأطفال والمراهقين ؛ فقد طلب هوفمان ***(Hoffman, 1975)*** من جمهور التلاميذ تحديد الأشخاص الأكثر تقديماً للمساعدة والعون ، وذلك باستخدام استخبار سوسيومترى ، في حين قدم يارو وزملاؤها ***(See: Bar-tal & Raviv, 1979)*** صوراً تعبر عن موقف حزن أو شدة يمر به أحد الأشخاص ، ثم طلب من المبحوثين تقديم العون لهذا الشخص ؛ كما درست يارو و زان واكسلر أيضاً ***(Yaroo & Zahan-Waxler, 1976)*** استجابة الأطفال للمساعدة من خلال تعريضهم لمواقف طبيعية ، وأخيراً درس كل من روشتون وونير ***(Rushton & Winner, 1975)*** سلوك المساعدة في مواقف معملية ، من خلال إعطاء المبحوثين فرصة لمنح جائزة تخصهم لأحد الأشخاص .

النظريات المفسرة لسلوك المعاضدة الاجتماعية

١- التفسير البيولوجي :

تحاول نظريات البيولوجيا الاجتماعية تفسير السلوك الاجتماعي (بما فيه العدوان كما سبق أن أوضحنا) في ضوء الإرث الوراثي والنشوئي . فقد أكدت بعض الدراسات – حسب كاجان وسيجل – أن كثيرا من الأطفال يظهرون نزعات قوية للقيام بأفعال إيثارية فى وقت مبكر من الحياة ، حتى قبل سن سنتين؛ فالأطفال فى عمر ١٨ شهرا يعطون الطعام إذا شعروا أن شخصا جائعا ، ويحاولون الوصول لإنقاذ الضحايا ، ويواسون الكبار المكروبين ، ويظهرون مشاعر الأسى لمحنة طفل آخر.

(Kagan & Segal, 1988) .

بل ويدعى المناصرون لنظرية الوراثة أن الإيثار وسلوك المعاضدة الاجتماعية ليس مقصورا على البشر. فالعلماء الذين يدرسون سلوك الحيوان يعرفون أن بعض أفراد من أنواع الحيوان تخاطر أحيانا ، وتضحى ولو بحياتها من أجل غرض واضح هو إنقاذ الأعضاء الأخرى أو النوع إجمالا ؛ فأفراد النمل الأبيض أو النمل الذي ينتمي إلى فئة الجنود للمعركة عندما يتم مهاجمة المستعمرة ، ويخاطرون بأنفسهم حتى الموت . وأنماط مثل هذه السلوكيات لدى الحشرات الاجتماعية هي فطرية أكثر من كونها متعلمة. ***(Samuel, 1981)*** . وعندما يعتدى المتطفلون على خلايا النحل ، فإن النحل يهاجم رغم أن في ذلك هلاكا له. وتحمى الطيور صغارها أحيانا بالتظاهر بأنها جرحت لتغرى المفترسين بالابتعاد عن العش

والاتجاه نحوها. وتحقق طيور أخرى نفس الهدف بإصدار أصوات لجذب المفترسين والابتعاد عن العش (***Phares, 1991***) ..

وعندما يرى طائر أبو الحنا صقرا يتقدم ، فإنه يطلق استغاثة تحذير لكل أعضاء السرب ليدفعهم إلى البحث عن الملجأ. واستغاثة التحذير هذه قائمة على نزعة فطرية غير مكتسبة فجميع طيور أبو الحنا نطلق هذه الصيحة عند الخطر ، وتفعل ذلك ولو كانت في عزلة تامة عن باقي رفاقها. وليس من شك في أن هذا التحذير يستفيد منه طيور أبو الحنا حيث تختبئ ، بينما يضع الطائر الذي أطلق الصرخة نفسه في خطر عظيم من خلال زيادة احتمال أن يكتشف الصقر مكانه. وهكذا يقوم هذا الطائر بدور البطل بدلا من التسلل بهدوء بعيدا وترك رفاقه يواجهون مصيرهم.(***Gleitman, 1986***)

وبالنسبة للثدييات ، هناك مثال هو ما يحدث عندما تلغ الرقعة البيضاء الموجودة على كفل الظبي أو يقفز بطريقة لا تدل على الرشاقة المعهودة فيه كإشارة لباقي زملائه من القطيع بأن المفترس قريب . وبينما يستفيد من هذه الإشارات القطيع بأكمله ، فمن المحتمل أن تعيق هذه الإشارات الظبي أو تسترعى انتباه الحيوان المهاجم الذي قد يسمع أو يرى إشارة التحذير ، وهكذا يزيد من احتمال أن يصبح الحيوان الذي يصدر الإشارة هدفا لهجوم المفترس . وتزودنا الشمبانزي بمثال آخر على سلوك المساعدة عندما تصدر إشارة إلى باقي أعضاء الجماعة بأنها اكتشفت مصدرا للطعام. فالشمبانزي بإصدارها هذه الإشارة إما تعرض نفسها للخطر ، أو على الأقل تشرك الآخرين في الطعام الذي اكتشفته هي. (***Samuel, W., 1981***)

وبالنسبة للبشر ، فإن كثيرا من الأفراد الذين ينشئون في مجتمع ذي توجه أناني ، يتصرفون – مع ذلك – بإيثارية. وتبدو مثل تلك السلوكيات قسرية في الغالب وغير مكتسبة ، لا يبدو أنها محاولات معنوية للحصول على استجابة الآخرين .
(***Phares, 1988)***

من كل هذه الأمثلة وغيرها يرى بعض العلماء في سلوك الحيوان وكذلك الإنسان مؤشرا على الأساس الوراثي للإيثار . ولكن كيف يتم تفسير ذلك ؟

توجد عدة ميكانيزمات مقترحة لتفسر الإيثار أو سلوك المعاضدة الاجتماعية منها بقاء الصفات الوراثية ، التوافق أو التبادل ، انتقاء القرابة . ونعرض فيما يلى لتلك المكيانيزمات.
بالنسبة لميكانيزم بقاء الصفات الوراثية ، يرى عالم البيولوجيا الاجتماعية إدوارد ويلسون ***E.Wilson*** (١٩٧٥) أنه يمكن تفسير الإيثار من خلال الوراثة . فهذا الميكانيزم يفسر المهام الانتحارية وظاهرة شهداء الدين الذين يجودون بالروح في سبيل مبدأ أو عقيدة . ويدعى ويلسون أنه بالقيام بمثل هذه الأفعال ، فإن الفرد يساعد في التأكيد والاطمئنان على بقاء الجماعة ، ومن ثم بقاء موروثاتة الخاصة ، حيث أن الجماعة تضم في الغالب عشيرة الفرد. فالبطل كفرد يموت ، ولكن صفاته الوراثية تبقى . (***Glietman, 1986***)

وبالنسبة لميكانيزم التوافق أو التبادل ، فحسب زيمباردو ، يكون الإيثار عاملا توافقيا من الناحية البيولوجية عندما يزيد سلوك المساعدة من إمكانية المساعدة المتبادلة مستقبلا بين القائم بالمساعدة

ومتلقيها يمكن أن يكون توافقية كذلك إذا هي ازدادت في جودة التمثيل الجينى للفرد في الأجيال المقبلة ، والتي يمكن تحقيقها من خلال المآثر الإيثارية نحو عشيرته وأولئك الذين يتشابهون معها.(***Zimbardo,*** ١٩٨٨)

أما الميكانيزم الثالث فيطلق عليه ويلسون اسم " انتقاء الأقارب " . وحسب فيزر ، فالتصرف بإيثارية يزيد من احتمالية انتقال مورثات الكائن الإيثارى إلى الذرية عن طريق أقاربه الذين يشتركون معه في الموروثات والذين استفادوا من التصرف الإيثارى (***Phares, 1988***) .

إن ميكانيزم انتقاء القرابة يمكن أن يمنح قيمة توافقية نشوئية لأفعال المساعدة . فمثلا ، إذا نجح الحيوان الذي قام بالتحذير من قرب وصول المهاجم في إنقاذ عشيرته الأقربين – حتى لو كلفه ذلك حياته – فإن الإسهام الصافي لأن تنتقل مورثاته للأجيال التالية قد لا تزال إيجابيا . فإذا أنقذ الفرد الإيثارى – عن طريق التضحية بالذات – اثنين من أشقائه وأربعة أبناء لأشقائه ، فالإيثار في هذه الحالة – كسمة محكومة بالوراثة – قيمة تكيفية من الناحية النشوئية للنوع إجمالا . (***Samuel, 1981***)

<u>– نقد التفسير البيولوجي</u>

:لا يسلم التفسير " البيولوجي " لسلوك المعاضدة الاجتماعية من الانتقاد ، ليس من علماء التعلم والبيئة فحسب ، بل من داخل هذا التيار " الوراثي" أيضا . فبالنسبة لميكانيزم التوافق – وكما أشار ويلسون نفسه (١٩٦٦) ، لا يبدو أن لسلوك المساعدة إلا القليل من القيمة النشوئية ، لأن أفعال الفرد الإيثارى تفيد كل فرد في الجماعة ، بما فيهم أولئك الأعضاء الذين يعوزهم " المورث الإيثارى". ولأن المخاطر وافتقاد المصادر هما أمران قائمان ، تقل احتمالات بقاء الحيوان الإيثاري ، بينما يتمتع باقي أعضاء الجماعة بالمزايا التي تقدمها أفعال المساعدة مع عدم تكبدهم أي تكاليف. وتبعا لذلك ، فالإيثار (كسمة محددة وراثيا) هو أمر لا توافقي وهكذا ، لا يبدو إطلاقا أنه يتكرر أكثر من مجرد الصدفة لدى شرائح الحيوانات العليا . وقد يكون النمل والنحل الأبيض استثناء لهذه القاعدة ، لأن كل الأفراد ضمن أي نوع من الحشرات الاجتماعية هم أخوة وأخوات جاءوا من بيض رقدت عليه الملكة .
(***Samuel, W., 1981***)

وبالنسبة لميكانيزم التبادل أو التوافق ، يتساءل صامويل ***samuel*** (١٩٨١) : من ذا الذي يضمن أن يكون سلوك الإيثار متبادلا ؟ فيما يتعلق بالحيوانات العليا ، هناك ادعاء مؤداه أن أفراد النوع يصبحون غاضبين إذا أدركوا أن الإيثاريين تم "خداعهم". ومثل هذا الترتيب الاجتماعي المعقد – والمبنى على دوافع نشطة وراثيا للانخراط في إيثار متبادل و"معاقبة المخادعين" – له فائدة قائمة على الاعتماد المتبادل أساسا لكل من الفرع والنوع بصورة إجمالية, ويمكن الرد بسهولة على هذا الادعاء ، إذا هلك الحيوان الإيثارى ، فإن مسألة الإيثار المتبادل و"معاقبة المخادع "تصبح غير ذات موضوع.

والبديل المطروح لهذه التفسيرات – والذي يأتى من داخل المعسكر الوراثي – يقدمه بوك وجينسبورج يؤكد هذا البديل على وجود الأساس الوراثي ، ولكنه ليس خاصا بالإيثار ، بل بما هو أعم ، ويتمثل في ما يسمى بنظرية " المورث التواصلي". والمورث التواصلي هو الميكانيزم المسئول عن الرابطة الاجتماعية التي تميز كل صور الحياة مثل الصحبة ، الأبوة ، الاندماج مع الأتراب. وعلى ذلك ، فالأنظمة الوراثية التواصلية – وفقا لنظرية المورث التواصلي – هي أصل الإيثار ، بل وكل السلوك الاجتماعي في الواقع. (***Buck & Gainesborg, 1991***)

٣. التعلم الاجتماعي.

إن الغموض الذي يكتنف البحوث فى الوراثة عن الإيثار وسلوك المعاضدة الاجتماعية قد أقنع العلماء الاجتماعيين بأن التفسير المنطقي لمثل هذه السلوكيات لدى البشر هو المبنى على التعلم . وسنتناول في هذا الجزء التدعيم والنمذجة ونظرية العالم العادل والمعايير الاجتماعية.

١. التدعيم

يرى ميوسين وايزنبرج – برج ***Eisenberg-Berg&Mussan*** (١٩٧٩) أنه سواء كان الإيثار سمة إنسانية فطرية أم لا ، فمما لا شك فيه أن وجوده يتوقف على التشجيع أو عدم التشجيع من خلال التعلم والمؤثرات الاجتماعية (***Kagan & Segal, 198)*** وقد توجهت عدة دراسات أن التدعيم الإيجابي يمكنه أن يحسن سلوك المعاضدة الاجتماعية والإيثار لدى الأطفال في أجواء الفصول المدرسية .(***)*** . ***Ma & Leung, 1991***

وقد أوضحت جريوسيك ***Grusec*** (١٩٨٢) أنه إذا تم مكافأة الافراد على سلوك المعاضدة الاجتماعية في سياقات طبيعية ، فإنهم يميلون لتكرار هذا السلوك حسب ما تتنبأ به نظرية الإشراط الكلاسيكي ، وإذا لم يتلقوا مكافأة عن السلوك ، فهم أقل احتمالا للاستمرار فيه.

وقد أجرى رشتون وتشمان ***Techman & Ruston*** (١٩٧٨) دراسة جمعت بين التشريط والملاحظة. وفى سياق التجربة لاحظ الأطفال شخصا يتبرع بسخاء آخر. قام الأطفال تلقائيا بتقليد هذا السلوك في موقف لعب تجريبي ، ومن ثم تعرضوا إما إلى العقاب أو المكافأة على كرمهم هذا , وفق ذلك تبرع الذين كوفئوا بما معهم أكثر من الأطفال الذين عوقبوا ، وظل التأثير واضحا بعد أسبوعين .

٢. النمذجة

يمكن استثارة سلوك المعاضدة الاجتماعية بملاحظة ما يفعله الآخرون. ففي المواقف الغامضة ، يزودنا الآخرون بعلامات على السلوك المناسب . حتى إذا هرع شخص لمساعدة شخص مصاب ملقى في الطريق ، فإن الآخرين يتبعونه عادة . فهذا الشخص يعمل كنموذج ***model*** للآخرين بتجديده للسلوك الملائم في الموقف . ففي دراسة أجراها بريان وتست ***Test & Bryam*** (١٩٦٧) ، وظهرت تأثيرات النمذجة على إبداء المساعدة. ففي الدراسة ، مر المبحوثين في أحد الظروف التجريبية على رجل يساعد امرأة في تغيير إطار سيارتها عند أحد الطرق السريعة الخطرة . وبعد ربع ميل مروا على امرأة أخرى تحاول تغيير سيارتها ، ولكن كانت هذه المرة بمفردها ويبدو أنها في حاجة للمساعدة . وكان السؤال التجريبي : كم عدد الناس الذين سيتوقفون لمساعدتها في هذه المجموعة التجريبية ، مقارنة مع مجموعة تجريبية أخرى لم تمر من قبل بالنموذج الذي يقوم بالمساعدة . أوضحت النتائج أن النموذج كان فعالا . ففي المجموعات التي لم تشاهد النموذج ، توقف ٣٥ فقط من أربعة آلاف شخص بينما توقف أكثر من ضعف هذا العدد لتقديم المساعدة للمرأة من المجموعة التي شاهدت النموذج.(***In : Feldman, R.,*** ***1987***)

وقد أوضح هورنشتاين ***Hornstein*** (١٩٧٠) أن التقليد يعتمد جوهريا على ما يحدث للنموذج ، فإذا كوفئ إيجابيا فسلوكه أكثر احتمالا أن يقلد مما لو عوقب. ففي الدراسة ، أعاد النموذج " محفظة جيب مفقودة ". ثم أبدت النماذج إما سعادتها لتقديم المساعدة أو امتعاضها أو لم تظهر أي انفعال وطبقا للظروف التجريبية ، عثر المشاركون على محفظة ضائعة. كان أولئك الذين لاحظوا النماذج " السعيدة بتقديم المساعدة " أكثر احتمالا أن يعيدوا المحفظة لصاحبها من الذين كانوا في الظرفين الآخرين. وتعرف هذه الحالة بتعلم الخبرة البديلية ***Learning vicarious experience*** ، أي التعلم من خلال مشاهدة عواقب الفعل الذي يقوم به الآخرون.

علاوة على ذلك ، فلدى أغلب الإيثاريين أحد الأبوين (عادة الأب) يعتبر " نموذجا " للقيم الإيثارية ، وعلى استعداد للسير في طريق مساعدة الآخرين الواقعين في مأزق ***(Samuel, 1981.)*** ومن المحتمل أن يكون للنموذج الذي هو في وضع قوة وسلطة بالنسبة للطفل تأثير أكبر في الطفل من تلك النماذج التي لا تملك القوة أو السلطة . وبالمثل ، فالنموذج الذي يقدم الدفء والاهتمام بالطفل سيكون أكثر تأثيرا ,ولا داعي للقول بأن النماذج التي لا تكتفي بتقديم الوعظ والإرشاد ، بل وتمارس الإيثار سيكون لها تأثير أكبر (***Phares, 1988***)

٣- نظرية العالم العادل

إن أحد المحددات الرئيسية لسلوك المعاضدة الاجتماعية هو الحكم الذي نصدره عن الشخص ذي الحاجة , فأحيانا يحجم الناس عن المساعدة بل وقد يلومون الضحية. ووفقا لفرضية العالم العادل ***World Just hypothesis*** ، يعتقد الناس أن ما يحدث للآخرين يستحقونه ، بمعنى أن الأشياء السيئة لا تحدث إلا لمن يستحقها ، بينما لا يحدث للناس الطيبين إلا الأشياء الحسنة . ويصدق هذا بالنسبة للضحايا الأبرياء الذين يتعرضون للسرقة بالإكراه أو الاغتصاب .. فالفتاة التي تتعرض للاغتصاب وهى تسير ليلا ، قد تقول إنها تستحق ذلك لخروجها ليلا من بيتها بمفردها. (***Pemmington, etal., 1999***) . والشخص الذي لديه اعتقاد قوى بالعالم العادل يرفض – منطقيا – تقديم المساعدة. وقد بحث ميلر ***Miller*** (١٩٧٧) هذه النقطة في دراسته ، طلب فيها من الطلبة أن يتبرعوا بما حصلواعليه من مشاركتهم في التجربة لأسر محتاجة . وقد أجريت الدراسة قبل أعياد الميلاد مباشرة ، وأخبر بعض الطلبة بأن قسم علم النفس سيرسل المال للأسر المحتاجة في أعياد الميلاد ، وأخبر فريق ثان من الطلبة بأن المال سيرسل للأسر المحتاجة بانتظام على مدار العام . أعطى الطلبة ذوو الاعتقاد الضعيف بالعالم العادل نفس القدر من المال بصرف النظر عن المعلومات التي تلقوها عن من يأخذ المال . أما الذين لديهم اعتقاد قوى بالعالم العادل فقد خصصوا قدرا أكبر من المال للحاجة النوعية الطارئة (أي في أعياد الميلاد) ، وقدرا أقل للذين يتلقون إعانات مالية مستديمة طوال العام . وقد وجد بحث أحدث (***Warren & Walker, 1991)*** نتائج مماثلة . فالذين لديهم اعتقاد قوى كانوا أقل احتمالا لإعطاء المال في حالات الحاجة المستمرة لأنهم يشعرون بأن الفقراء قد جلبوا حظهم العاثر بأنفسهم.

٤- المعايير الاجتماعية

عادة ما نشعر بأننا ملزمون أخلاقيا بمساعدة طفل فى محنة أو شيخ كبير ضعيف أو شخص غريب يركب دراجة بخارية وقعت له حادثة . فالمعايير الاجتماعية تحدد نمط السلوك الطبيعي والمتوقع . ونحن غالبا نقدم يد العون للآخرين لأننا نعرف أن ذلك متوقعا منا ، وهذه التوقعات مكتسبة اجتماعيا من خلال ما يفعله الآخرون ويقولونه . وهناك عدة معايير سنتناولها فيما يلى :

أول المعايير هو معيار التبادل . ووفقا لهذا المعيار ، علينا أن نساعد من ساعدونا. إضافة لذلك ، إذا أسدى لنا شخص ما معروفا يتضمن تضحية شخصية كبيرة (مثل التبرع بأحد أعضائه أو بيع جزء من ممتلكاته لتسديد دين علينا) ، فإننا نشعر بواجب قوى لرد الجميل ، مما لو قدم لنا معروفا صغيرا كالطلب منه شراء شئ ما يمر عليه فى طريقه .
ويفترض معيار المسئولية الاجتماعية أن علينا دوما تقديم المساعدة لمن هو في حاجة إليها بصرف النظر عن إمكانية ردها في المستقبل فإعطاء نقود لمستجد في الطريق هو مثال على هذا المعيار. ويرى كامبل ***Campbell*** (١٩٧٥) أن البشر يطورون معيار المسئولية الاجتماعية التي تنتقل بواسطة الموعظة والقدوة الحسنة من جيل إلى الذي يليه. وهذا يقلل عمل الميول البيولوجية النشوئية نحو الأنانية والعدوان اللذين يهددان بتدمير الحياة الاجتماعية (***Samuel,*** ١٩٨١) ويستلزم معيار المسئولية الاجتماعية أن نقدم المساعدة على أساس الحاجة ، ولكن يعتمد تطبيق هذا المعيار فعليا على معيار العدالة ، أي عندما نصدر أحكاما تتعلق بلماذا هؤلاء الناس فى حاجة لمساعدة .

وهناك اختلافات ثقافية واسعة فى سلوك المعاضدة الاجتماعية والإيثار . فمثلا يوجد تقليد لدى الإسكيمو بأن يضحى كبار السن بحياتهم لصالح باقي أفراد الأسرة. ففي الشتاء القارس ، حيث تشح مصادر الطعام . ينسحب كبار السن بهدوء فى البيئة الجليدية حتى يلقوا مصرعهم وذلك لتوفير طعامهم لباقي أفراد القبيلة (***Phares, 1988*** . ويذكر فيسك ***Fiske*** (١٩٩١) أن بعض المجتمعات فى أفريقيا الغربية (في بوركينا فاسو بالتحديد) فيعطى أفرادها أعز ما يملكون – الأرض والمياه في وقت الندرة – لمن هم في حاجة حتى لو كان غريبا . وفى المقابل ، وجد ميلر وزملاءه ***Miller, etal*** (١٩٩١) أن الأمريكيين أقل احتمالا كثيرا للاعتقاد في الالتزام الأخلاقي لمساعدة المحتاجين . وعلى الجانب الآخر ، فالهندوسي (في الهند) يشتهرون بهذا الالتزام ، فهم لا ينتقون من هم في حاجة بالطريقة التي يتصرف بها الأمريكيون.

ورغم قوة المعايير الاجتماعية ، فأغلب الناس يولون اهتماما لتفسيرهم الشخص الذي يؤثر في مقدار ما نساعد به الآخرين. ومن المفيد أخذ دور المعايير الشخصية في الاعتبار عند تفسير سلوك المساعدة . فأولئك الذين يضعون أنفسهم بصورة روتينية في خطر من أجل الآخرين يتصرفون بطريقة تخرق المعايير الاجتماعية . وهم في ذلك يمتثلون لمعاييرهم الشخصية. فالمعايير الشخصية الإيثارية ترتبط بقوة مع القيم الوالدية عن المساعدة . وقد أوضحت الدراسات (***E.g., London, 1970***) أن أولئك الذين يبذلون مجهودا لمساعدة الآخرين – مثل الذين أنقذوا اليهود من النازية خلال الحرب العالمية الثانية – قد تأثروا بقوة بمعايير والديهم .

٣ .العوامل الموقفية :

وقعت حادثة مأساوية فى مارس ١٩٦٤ فى مدينة نيويورك كانت إيذانا ببدء موجة عارمة من البحوث عن سلوك المساعدة ركزت فى البداية على العوامل الموقفية . فقد كانت الآنسة كيتى جينوفيز ***Genovese*** عائدة لمنزلها من العمل فى وقت متأخر من الليل. وخلال سيرها فى منطقة سكنية راقية ، قام رجل بمهاجمتها بسكين . وقام المهاجم بطعنها بصورة متكررة ، وظلت تصرخ وتقاوم حتى مر. وعندما لم يجد أحدا جاء لنجدتها ، عاد لمهاجمتها بل والاعتداء عليها جنسيا . وخلال نصف ساعة من الهجوم إلى أن تم قتلها لم يتحرك أحد لمساعدتها رغم صراخها اليائس طلبا للمساعدة. وعندما قامت الشرطة بسماع شهادة الشهود فى اليوم التالي ، اعترف ما لا يقل عن ٣٨ شخصا برؤية وسماع هذه الجريمة ،ولم يحرك أحد منهم ساكنا ويهب لنجدتها . وقد سببت الحادثة احتجاجا قوميا عنيفا . وفى

استجابة لحادثة كيتى جينوفيز ، شرع الباحثون فى تناول سلوك المساعدة فى مواقف الطوارئ إلا أنه وقع تقدم اتسع مجالاها لتشمل دراسات المساعدة فى مواقف الحياة الفعلية وفى هذا الجزء نتناول ما توصلت إليه تلك الدراسات.

١. التكلفة – العائد

يوجد فى كل موقف مساعدة ثمن ما يتكبده القائم بالمساعدة . فمساعدة قطة محصورة فوق شجرة يعنى أنه قد يتمزق قميصك أو على الأقل تعلق به الأتربة . ومساعدة زوجين من المسنين لإيجاد القطار المناسب لسفرهما قد ينتج عنه فوات قطارك . كل شئ له ثمن . وبصورة عامة ، يقع الفرد فى مثل هذه الظروف فى حيرة بين هدفين ، مصلحته الشخصية أو الإيثار . ووفقا لفيرز (١٩٩١) ، أوضحت بعض الدراسات هذا الصراع ، ففي دراسة تايمز وآخرين ***Times, etal.,*** (١٩٧٦) ، تم الاتصال هاتفيا بطلاب جامعة ذكور، وطلب منهم الإجابة على استخبار للاتجاهات. وقد تم وصف الاستخبار بصورة مختلفة من حيث المدة المطلوبة لإنجازه ، حيث تراوحت من عشرين (٢٠) دقيقة إلي ثلاث ساعات . ولا غرابة أن ارتفع معدل الرافضين بارتفاع المدة المحتملة لإكمال الاستخبار ***(Phares, 1991)*** وهكذا ترتفع نسبة الإحجام عن تقديم المساعدة أو التدخل فى موقف الطوارئ إذا كانت التكاليف المتوقعة باهظة ، وإن لم توجد معوقات أخرى لتقديم المساعدة . والتكاليف قد تكون إنفاق الوقت أو المصادر (كالمال) أو المخاطرة بالتعرض للأذى الجسمي أو المعنوي ... الخ . (***Samuel., W, 1981***) وبجانب التكلفة التي يتحملها الشخص المحسن ، توجد مزايا عديدة للقيام بالمساعدة ، وتشمل : الشعور بالكفاءة ، إعجاب الآخرين ، السمعة الحسنة ، المكافآت. ويفترض دوفيديو وزملاؤه ***Douvidio, etal.,*** (١٩٩١) أنه كلما زادت التكلفة الصافية للمساعدة (أي بعد خصم المزايا) ، كلما قل التدخل .
إلا أن هناك عاملا يحد من تعويق التكلفة ، فقد استنتج أوتن و كيد ***Kidd & Utne*** أن المساعدة تكون أكثر احتمالا عندما تدرك على أنها تحسن بصورة فعالة من حالة الآخر

٢. الوضوح – الغموض

يرجح تقديم المساعدة إذا كان الموقف يستدعى بصورة واضحة التدخل ، وهذا ما يسمى بعامل "الوضوح – الغموض" . فالمواقف التي تظهر بوضوح أن شخصا ما يحتاج إلى المساعدة هي الأكثر احتمالا لحفز الناس على اتخاذ خطوة باتجاه المساعدة من تلك المواقف المتسمة بالغموض . وبمعنى عام ، نتوقع بالتأكيد أن الناس الذين يشاهدون شخصا فى خطر محدق هم أكثر احتمالا لتقديم المساعدة . أما إذا كان الموقف يتسم بالغموض ، فهناك احتمال أقل لتقديم المساعدة . ففي سلسلة من الدراسات ، أوضح سولومون وزملاؤه ***Solomon, etal.,*** (١٩٧٨) أنه عندما يسمع المارة مجرد أصوات الضحية وسط حالة طوارئ ، فإنهم اقل احتمالا لتقديم المساعدة منهم عند سماعهم ورؤيتهم لموقف الطوارئ ، وقد تم التوصل إلى تلك النتائج سواء فى المعمل أو فى الأجواء الميدانية.

ويرى صامويل (١٩٨١) أنه عندما تكون المواقف الطارئة غير غامضة وغير مهددة نسبيا للقائم بالمساعدة ، كما هو الحال عندما يسقط شخص فجأة فى طريق جانبي أو يتلقى صدمة كهربية عنيفة على مسمع ومرأى المارة ، فإن الضحايا تتلقى مساعدة فى أكثر من ٩٠% من التجارب بصرف النظر عن عدد الشهود الحاضرين.

والمواقف التي تستدعى بوضوح تختلف فى كيفية إظهارها لتحديد نوع المساعدة المطلوبة. وقد أوضحت البحوث أن الناس هم أكثر احتمالا لتقديم المساعدة عندما يعرفون بالضبط ما هو نوع المساعدة المطلوبة

كذلك ، فإن تقديم المساعدة يرتفع بصورة دالة . وهذا ما اتضح فى دراسة شوراتز وكلوزن ***Shwartz & Clausen*** (١٩٧١) - (عن : ***Phares, 1988, 541***) ففي الدراسة ، عندما طلب شخص مكروب المساعدة في إخراج قرص دواء من جيب معطفه ، كانت المساعدة أكبر منها عندما لا يكون من الواضح ما الذي يمكن للقائم بالمساعدة عمله.

٣. وجود أو غياب " نماذج" للمساعدة.

لقد سبق أن تناولنا تأثير النمذجة في الحث على تقديم المساعدة. ذلك أن وجود أو غياب أشخاص "كنماذج" يظهرون سلوك المساعدة من العوامل الموقفية المؤثرة في تقديم المساعدة. ففي إحدى الدراسات ، وجد أن التبرعات لمتولي الأرصفة في أعياد الكريسماس كانت تقريبا الضعف بعد أن يقوم شخص " نموذج " بالتبرع منها في حالة غياب النموذج . ويمكن أن يكون التأثير الإيجابي " لنموذج المساعدة " ناتجا عن عدة عوامل منها : تذكير الفرد بالشيء "الصحيح" الذي يجب القيام به ، ورفع مستوى شعوره بالذنب لإحجامه عن المساعدة ***Margan & King, 1975*** .

٤ – عدد المارة

نتذكر أن كثيرا من الناس قد شاهدوا الهجوم على كيتى جينوفيز ولكنهم لم يحركوا ساكنا . وقد أوضحت البحوث أن سلوك المعاضدة الاجتماعية يتأثر جذريا بما إذا كان شخص واحد أو عديد من الأشخاص قد شهدوا الموقف . فيبدو أن فرص الحصول على مساعدة تكون أكبر عندما يوجد شخص واحد فقط مما لو كان هناك أشخاص عديدون. ويعرف هذه الظاهرة بتأثير المارة . وقد بحثها إمبريقيا لاتانية ودارلى ***Darley & Latane*** (١٩٧٠) إن الجانب الأساسي فى تحديد الموقف هو ملاحظتنا لكيفية رد فعل الآخرين . فحيث أن كل شخص يحاول تجنب الظهور وكأنه أحمق ، أو يحاول الاحتفاظ ببرود أعصابه وهدوئه ، قد يستنتج الجميع أن كل شخص آخر قد قرر أن الموقف ليس طارئا.

٥. تفسير الموقف على أنه طارئ

بالطبع يحجم أغلب الناس عن المساعدة إذا لم يفسروا الموقف على أنه طارئ . ولكن إذا تم تفسيره على أنه طارئ تزداد احتمالية التدخل . افترض أنك في منزلك في وقت متأخر من الليل ، وسمعت صوت ارتطام مرتفع . أمامك الآن أن تفسير ما حدث : هل هو مجرد فرقعة محرك إحدى السيارات فى الشارع ، أو أنه طلق ناري ؟ في الحالة الأولى يمكنك أن تعتبر أن الأمر عادى وتصرف ذهنك عنه ، أما فى الحالة الأخيرة ، فقد تدرك أنه يوجد موقف طارئ من نوع ما . وبذلك تكون أكثر احتمالا لأن تتدخل مقارنة بالحالة الأولى.

٦. تشتت المسئولية:

تشتت المسئولية ***diffusion of responsibility*** يعنى أن الشخص الذي يمر بموقف طارئ يتملص من مسئوليته الشخصية عن التدخل ليلقيها على بقية الحاضرين أو على الأقل لا يشعر أنه المسئول الوحيد عن القيام بالتدخل . وهناك عامل يبدو مؤثرا في حدوث تشتت المسئولية هو نمط الدلائل الانفعالية التي ينقلها المارة الآخرون . فإذا تصرفوا بلا اكتراث في الموقف الطارئ ، فإنهم يؤسسون نماذج " للبرود " ، بحيث يكون المار على الحدث أقل احتمالا لأن يتدخل مما لو لم يكن يوجد مارة آخرون ***(Sonuel,1981)***

ومن خلال دراسة رائدة أجراها دارلى ولاتانيه ***Latane&Darly*** (١٩٦٨) تم تقديم نموذج من ضمن

مراحل لتقديم المساعدة في الموقف الطارئ. فلابد من شهود الموقف وتفسيره على أنه طارئ ، ثم تحمل المسئولية عن القيام بعمل ما ، ثم تقرير أفعال المطلوبة ، وأخيرا تقديم المساعدة . وفى كل مرحلة تبرز معوقات : فشهود الموقف يركن أن يتشتت الانتباه عنه بالانشغالات الذاتية ، وتفسير الموقف على أنه طارئ يمكن أن يشوبه الغموض أو الخصوصية الأسرية التي تحدثنا عنها في الفصل السابق (العدوان) أو الإهمال الجمعي . وتحمل المسئولية يمكن أن يعتريها التشتت.
وفى الخطوة الرابعة يمكن أن يعيق تقديم المساعدة نقص القدرات الشخصية. وعند تقديم المساعدة (فى آخر خطوة) قد يعيقها كف الحضور.

٧.التشابه

يرى مورجان وكنج ***King & Morgan*** (١٩٧٥) أن التشابه بين الشخص الذي يطلب المساعدة والشخص المسئول عن تقديمها قد يكون محددا مهما في تقديم المساعدة أو الإحجام عنها . وفى دراسة تجريبية ، وجد أن الأفراد لا يطلبون المساعدة من شخص آخر مشابه لهم عندما لا يتوقعون أن يبادلوه المساعدة بمثلها . كذلك في نطاق البحوث الخاصة بردود فعل متلقي المساعدة ، شعر المتلقون بعدم الارتياح لتلقيهم من شخص مشابه لهم ، وخاصة عندما تكون المهمة متركزة على الأنا. فالاعتراف بالنقص لشخص آخر مشابه للمرء من خلال طلب مساعدته يحدث مقارنة سلبية يحاول الأفراد تجنبها. ومع ذلك ، فهذا الإحجام عن طلب المساعدة من شخص آخر ذي علاقة وثيقة لا يحدث إلا عند وجود تهديد مرتفع محتمل للذات .
(***Nadler, A., 1991***)

٨.العلاقة السابقة

توضح البحوث أن النزعة للمساعدة تتأثر بما إذا كانت هناك علاقة سابقة بين القائم بالمساعدة ومتلقيها فقد وجد أن العلاقات المستقرة من قبل – حتى ولو كانت تلاشت بسرعة – تغير بصورة حادة من استجابات الأفراد (***Darley,*** ١٩٩١) ومن خلال معيار التبادلية ، يرى جولدنر ***Gouldner*** (١٩٦٠) أن الناس لابد أن يساعدوا الذين ساعدوهم أو على الأقل لا يمكنهم أن يؤذوا الذين ساعدوهم .
(In : Ma & Leung, 1991)

٩.الخطورة

بالطبع إذا تم تفسير حالة الشخص ذي الحاجة للمساعدة على أنها خطرة ، فإن احتمالية تدخل المارة بهدف المساعدة تزداد . وقد تم معالجة بعد الخطورة هذا في عدة دراسات وفى إحداها ادعى شخص أن لديه مشكلة جسمية في الشارع ؛ فقد أمسك بقلبه وهو ينهار على الأرض . وفى مرة أخرى ، تحسس رقبته وهو ينهار على الأرض . وقد لاحظ الباحثون أن المارة كانوا أكثر احتمالا لتقديم العون للشخص الذي يدعى وجود أزمة قلبية من الشخص الذي يدعى وجود مشكلة في رقبته ***(Phares, 1988)*** .

١٠. التعرض المستمر للمواقف التي تحتاج المساعدة

ماذا لو تعرض المرء باستمرار لمواقف تتطلب مساعدة كما في حالة التسول ؟ بالنسبة للمتسولين – كما يرى دارلى ***Darley*** (١٩٩١) – يبدو أن النزعة تكون في اتجاه مساعدة هؤلاء الناس في البداية ثم الإحجام عن مساعدتهم وبعد ذلك يتطور الأمر إلى عدم "ملاحظتهم" (اللامبالاة) . وإذا تطور الأمر أكثر من ذلك ، يحدث أحد أمرين إما نلزم أنفسنا بإجراء تحسين لحالتهم (مثل إيجاد وظيفة) ، أو اعتبار أن المشردين هؤلاء مختلفون عنا " لا يستحقون الخدمة ، وربما أقل إنسانية منا.

٦. عوامل الشخصية:

تناولنا حتى الآن التفسير البيولوجي وتفسير التعلم الاجتماعي والتأثيرات الموقفية فى تشكيل سلوك المعاضدة الاجتماعية. ولكن من الأهمية بمكان أن نعى أن السلوك محصلة كل من البيئة والفرد . فعوامل الشخصية يمكن أن تؤثر بدورها فى سلوك المعاضدة الاجتماعية . وسنتناول هنا أهم عوامل الشخصية المؤثرة فى ذلك السلوك وهى التقمص والحالة المزاجية والتوجه الديني وسمات الشخصية وأخيرا الفروق بين الجنسين.

١. التقمص

لم يحظ أي متغير ضمن مجال سلوك المعاضدة الاجتماعية بمثل ما حظي به متغير التقمص من دراسة وتنظير وجدل ، ويمكن تشبيهه بغرض الإحباط – العدوان – الذي تناولناه في الفصل السابق . ويقرر باتسون وأوليسون ***Oleson & Batson*** ١٩٩١ أن التقمص هو المصدر الذي اقترح عبر القرون لتفسير الإيثار. وبينما تفترض معظم النظريات النفسية أن المساعدة هي في جوهرها توجه ذاتي ***egoistic*** أي محكومة بالاهتمام بالذات ، يعتقد باتسون وأوليسون (١٩٩١) أن بعض سلوكيات المساعدة ذات طابع إيثاري حقيقي.

ويمكن تعريف التقمص ***empathy*** بأنه استجابة انفعالية لمحنة الآخر وفهمها. ورغم الجدل المستمر ، فهناك اتفاق عام على أن التقمص يضم مكونين معرفي وانفعالي ***(Esenberg, etal., 1994)*** يتمثل الجانب المعرفي في اتخاذ المنظور ***Perspective taking*** أي القدرة على اتخاذ وجهة نظر الآخر أما الجانب الانفعالي فيتمثل في الانشغال التقمصى ***empathetic concern*** أي التعاطف والشفقة.

ما علاقة التقمص بسلوك المعاضدة الاجتماعية ؟

يجادل باتسون بما يسمى بفرضية التقمص – الإيثار, فالشعور بالتقمص يثير الدافعية التي تقف وراء هدف محدد هو إفادة الشخص الذي تم الشعور نحوه بالتقمص . وإذا كان هذا صحيحا ، فإنه يتعارض مع الافتراض الشائع في علم النفس بأن الدوافع كلها موجهة بصورة جوهرية نحو هدف أناني هو زيادة الرفاهية الذاتية. بل إنه يناقض الافتراض الضمني بأن الطبيعة البشرية مجبولة على خدمة الذات أساسا. وتوحي هذه الفرضية بأننا نتفاعل مع الآخرين ، ليس لأنهم مصادر المكافأة والمعاقبة ، أو لأنهم مصادر للتسهيل والمنع في كل مسعى يستهدف صالحنا ، بل إننا قادرون بالفعل حسب الفرضية هذه – على السهر على رفاهية الآخرين لذاتها وليس من أجل ذواتنا . ***(Batson & Oleson, 1991)***

.

ولكن كيف يعمل التقمص على حدوث سلوك المعاضدة الاجتماعية ؟ يجيب فيرز ***Phares*** (١٩٨٨) بأن للتقمص دورا مهما في الحفز على الإيثار ، فالشخص المتقمص يكون مدفوعا بمساعدة ذي الحاجة . فإذا مررت بمستجدة محزنة ، فأنا بالتأكيد مدفوع إلى تقبلها وإذا كان لدى تقمص نحو شخص آخر مر بخبرة غير محزنة ، فسيكون لدى الرغبة في تخفيفها حيث أنني أمر بهذه الخبرة بدرجة ما . وعندما تطلب منظمات الإحسان المساعدة ، فإنها تلعب بشدة على مشاعرنا . وهى لا تفعل ذلك لمجرد تذكيرنا بوجود أطفال جوعي ، إنها تعرض علينا صورا لأولئك الجوعى ، وتحاول استثارة الاستجابة التقمصية التي ترفع من الدافع للقيام بإسهام ما, والمراهق الذي يرغب في أخذ بعض المال من والد غير متعاطف ،

يسأله : "ألم تحتج أبدا لمال عندما كنت في مثل عمري؟ "

٢.الحالة المزاجية

هناك تأثير للمزاج على تقديم المساعدة . ومن الناحية النظرية ، فإن المزاج الجيد يزيد من احتمال المساعدة . والأبناء يدركون هذا الحدس ، حيث يتحينون فرصة أن يكون الأب أو الأم في حالة مزاجية جيدة ليطلبوا منهم زيادة المصروف أو بعض المال الإضافي . كما أن الطلبة الناجحين ساعة معرفتهم بالنتيجة يكونون أكثر استعدادا لتقديم بعض المال للمستجدين في الشوارع منه في أي وقت آخر. وفى إحدى الدراسات وجد أن كلا المزاجين : الإيجابي (حيث عثر المبحوثين على مال) أو السلبي (حدث للمبحوثين شعور بالذنب) قد أفاد في زيادة تقديم المساعدة مقارنة بضابطة ***(Phares, 1988)*** .

قدمت ميدلارسكى ***Midlarsky*** (١٩٩١) نموذجا يربط بين تقديم المساعدة منهجه وتخفيف الضغوط عن الأشخاص الذين يقدمون المساعدة وشعورهم بأنهم أفضل حالا. وتذكر ميدلارسكى أن النمط الأكثر قوة للنتائج الإمبريقية هو أن مساعدة الآخرين يؤدى إلى زيادة في الصحة ***Well-being*** بين الناس الواقعين تحت الضغوط أكبر منه بين الناس غير الواقعين تحتها.

وبافتراض وجود تفاعل بين المزاج الطيب وسلوك المساعدة ، فلا عجب أن يؤثر المزاج السئ عكسيا على تقديم المساعدة . فأولئك الذين يكونون في مزاج سئ سينشغلون بصعوباتهم وصور قلقهم ، ومن ثم يكونون أقل انشغالا بمصاعب الآخرين ، وإذن يكونون أقل ميلا لتقديم المساعدة (***Pennington, etal***) والاستثناء الوحيد من هذا هو الشعور بالذنب.

ولكن لماذا يكون الذين لديهم شعور بالذنب مدفوعين لتقديم المساعدة ؟ يفترض بومستير وزملاءه ***Baumeister, etal.,*** (١٩٩٤) أن وظيفة الشعور بالذنب هو العمل على تماسك العلاقات البين شخصية ولهذا الرأي بعض الرواج , فالشخص الذي يضايق صديقه دون أن يقصد ، ينتهز أقرب فرصة لمساعدته حتى يصلح ما فسد من علاقتهما.

٣ .الالزام الدينى :

للوهلة الأولى يميل معظمنا إلى الاعتقاد بأن الأشخاص المتدينين هم أكثر احتمالا لأن يكونوا إيثاريين ومساعدين إذا قورنوا بغير المتدينين. ولكن لا يبدو هذا صحيحا على طول الخط؛ فقد استنتجت دراسة قام بها باتسون وجراى ***Gray & Batson*** (١٩٨١) أن نوع التدين هو الذي يتحكم في الاستعداد لتقديم المساعدة . فالذي ينظر إلى الدين كغاية في حد ذاته يكون أقل إقبالا لتقديم المساعدة وفقا لهذه الدراسة بالطبع من الذين ينظرون إلى الدين باعتباره جانبا إصلاحيا يركز على مساعدة ذوى الحاجة . وذلك أن الذين ينظرون إلى الدين كغاية في حد ذاته يعتقدون بقوة بأن العالم عادل (حيث أن الله هو خالقه وهو إله عادل ، وإذن لابد أن يكون العالم عادلا) . وقد عرفنا سابقا أن الذين لديهم اعتقاد قوى بأن العالم عادل لا يميلون إلى تقديم المساعدة ، ويحملون ذوى الحاجة والضحايا المسئولية عما يحدث لهم من كروب أو ضيق.

وقد وجد روكيتش (١٩٦٩) – اتساقا مع ما سبق – أن المبحوثين الذين وضعوا تقديرا عاليا للخلاص (كمؤشر على التدين) كانوا أقل احتمالا بصورة دالة من الذين قاموا بتقدير الخلاص بصورة منخفضة لإظهار الشفقة على المحرومين في المجتمع الأمريكي (مثل : الفقراء ، متلقي الإعانات الاجتماعية ، السود) . بل إن الذين قدروا الخلاص بصورة مرتفعة مالوا إلى الاعتقاد بأن مارتن لوثر كنج – داعية حقوق الإنسان الذي تم اغتياله – هو الذي جلب الموت لنفسه . واستنتج روكيش أن الأشخاص شديدي التدين لا يظهرون في الحقيقة سوى شفقة أقل من الأشخاص الأقل تدينا أو غير المتدينين ***In :***

(Sorrentino, 1981, P. 270).
وقد توصل سورينتينو ***Sorrentino*** (١٩٨١) إلى نتائج متناقضة ، حيث لم يظهر الأشخاص المتدينون إلا القليل من الشفقة كما يتضح من إجاباتهم على المؤشرات الاجتماعية (مثل إعطاء الخدمة الصحية المجانية للفقراء) ، ولديهم حاجة إلى الاعتقاد بأن العالم عادل أكبر من الأشخاص الأقل تدينا . ومع ذلك ، فعندما يتلقى الشخص صدمات كهربية مؤلمة (كجزء من التجربة) ، فإن الأشخاص قليلي التدين هم الذين يرتدون القبعات السوداء!

أما عندنا في مصر ، فإن الأمر يختلف ، فرغم عدم ارتباط الدين كقيمة بالتقمص لدى عينة من طلبة المرحلة الثانوية ، فقد ارتبط جوهريا بالدوافع المتمركزة حول الذات المفسرة لسلوك المعاضدة الاجتماعية (بالنسبة لطلبة ر = ٠.١٩٩ دالة عنده . وبالنسبة للطالبات ر = ٠.٤٢٤ ، دال عند ٠.٠٠١) . وهذه النتيجة تتسق إلى حد ما مع التدين كغاية فى حد ذاته التي ظهرت في دراسة باتسون وجراى . ولكن ارتبط الدين كقيمة كذلك بالدوافع الإيثارية (ر = ٠.٢٦ ، دال عند ٠.٠١ ولدى البنين ، ر = ٠.٣٢٥ ، دال عند ٠.٠٠١ ولدى البنات). بالإضافة إلى ارتباط القيمة الدينية بسلوك المعاضدة الاجتماعية ، ولكن لدى البنات (ر = ٠.٢٣٣ دال عند ٠.٠٥) دون البنين (أحمد الشافعي ١٩٩٦). وعموما ، فهذا الموضوع فى حاجة إلى مزيد من البحث والدراسة.

٤. سمات الشخصية

طبقا للبيانات الواردة من دراسات القوائم التي توضح وجود ارتباط في سلوك المعاضدة الاجتماعية بين التوائم المتماثلة (التي تأتى من بويضة واحدة) ، يعتقد روشتون ***Rushton*** (١٩٨١) أن الشخصية الإيثارية ليس لها أساس وراثي . إلا أن لاتانيه ودرالى أخفقا في إيجاد ارتباط بين عدد من مقاييس الشخصية مثل التسلطية ، الثقة ، الحاجة للاستحسان ، الاغتراب من جهة وسلوك المعاضدة الاجتماعية من جهة أخرى . ووجدت أيزنبرج- برج ***Eisenberg-Berg*** (١٩٧٩) أن سلوك المساعدة يرتبط ارتباطا إيجابيا مع وجهة الضبط الداخلية والحكم الأخلاقي الناضج ومتغيرات شخصية أخرى ، ولكن تظل الأدلة غير قاطعة. وبالمثل ، استنتج أحمد الشافعي (١٩٩٦) من دراسته على طلاب وطالبات المرحلة الثانوية في مصر أن النتائج الحالية لا تؤيد ولا تنفى وجود مجموعة من متغيرات الشخصية المرتبطة بمفهوم المعاضدة الاجتماعية ، فأغلب معاملات الارتباط لم تكن دالة ومع ذلك ، ظهر من التحليل العاملى ثلاثة عوامل ترتبط بمفهوم المعاضدة الاجتماعية ، يضم كل عامل تجميعة من متغيرات الشخصية . وربما يكون لدى نايت وزملائه. ***Knight, etal.*** (١٩٩٤) أفضل إجابة حتى الآن . فقد اقترحوا أن هناك عدداً من السمات الاستعدادية تحدد سلوك المعاضدة الاجتماعية كالتقمص ، ولكن السمات المسيطرة تختلف وفقاً للموقف . ويجمع هذا الرأي – بصورة بارعة – بين المؤثرات الموقفية والشخصية فى سلوك المعاضدة الاجتماعية.